

غَيْثُ الطَّالِبِينَ

في

إيضاح طريق المشايخ العارفين

تأليف المولى الأكمل ، والسيد المبجل ، المرشد الكامل ، والتقي الواصل
مربي السالكين ، وموصل المنقطعين ، وردة الدوحة الصيادية ، وتاج رؤوس العصابة الرفاعية
بدر البدور ، وفخر الصدور ، صاحب السيادة والرشادة والسباحة ، والعلم والفضل والرجاحة

السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي

رضي الله عنه وقدس سره الواعي

١٢٦٦ - ١٣٢٨ هـ

قال مُشْطَرًّا بيتين لسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي قدس سره :

منزلنا رحب لمن زارنا	ما عاقنا في سوحه عائقُ
شيدت مبانيه بأيدي الرضا	نحنُ سواءٌ فيه والطارقُ
فمن أتانا نال ما يبتغي	وقلبنا بربنا واثقُ
ودارنا لكل دار الرجا	وربُّنا الواسعُ والرازقُ

عني بنسخه وتنظيمه وتحقيقه ، ووضع عناوينه وفهرسته وتدقيقه
طفيلٌ مائدتهم الزكية المبهذولة المشهورة ، وخوידم نعال نائبهم بدائرتهم المباركة المعمورة
أفقر الوري ، وأحقر من ترى

عبد الحكيم بن عبد الباقي

السقباني الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين آمين

الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠ هجرية

وَقُلْتُ أَفْخَمُ شَأْنِ الْإِخْتِصَاصِ وَهُوَ فَخِيمٌ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَخْتَصِمُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

لَا تَسْأَلُ عَنْ مَزِيَّةِ الْإِخْتِصَاصِ	يَا ابْنَ وَدِّي فَتِلْكَ حِطُّ الْخَوَاصِ
نَقْلِبَ الشُّرْبَ لَوْ تَدْبُرْتَ تَبْرَأُ	وَتُقِيدَ الْعِرْفَانَ أَهْلُ الْمَعَاصِ
وَيَسْرُ مِنْ نَفْحَةِ الْغَيْبِ تَغْنِي	عَنْ فَنُونِ الْوُعَاظِ وَالْقُصَاصِ
وَيَمْحُضُ الْفَضْلُ الْقَدِيمُ تُوَافِي	لَحْمَى الْقُرْبِ بِالرِّجَالِ الْأَقَاصِ
فَاخْتِصَاصِ الرَّحْمَنِ لِلْعَبْدِ بِالرَّحْ	مَةِ مَنَحَ لَهُ يُشِيبُ النُّوَاصِ
فَتَحَقِّقْ بِالصَّدْقِ خُلًّا وَلَا زِمَ	بَابَ رَبِّ الْأَرْيَابِ بِالْإِخْلَاصِ
وَالْحَسَنِ الظَّنِّ لَا تُبَارِحْ حِمَاهُ	فَحِمَاهُ حِصْنُ الْمَسِيءِ الْعَاصِ
وَاخُذِ الْمَصْطَفَى ظَهِيرًا وَغَوْثًا	وَهُوَ نَعَمُ الشَّفِيعِ يَوْمَ الْقِصَاصِ
وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ فِي كُلِّ آتٍ	مَا تَلَا النَّاسُ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ

عَنْبَرُ الْإِطْلَاقِ

في إيضاح طريق مشايخ العارفين

تأليف المولى الأكمل ، والسيد البجل ، المرشد الكامل ، والتقي الواصل
مربي السالكين ، وموصل المتقطعين ، وردة الدوحة الصيادية ، وتاج رؤوس العصاية الرفاعية
بدر الهدور ، وفخر الصدور ، صاحب السيادة والرشادة والساحة ، والعلم والفضل والرجاحة

السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي

رضي الله عنه وقدم سره الواعي

١٢٦٦ - ١٣٢٨ هـ

قال مُشْطَرّاً يبتين سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي قدس سره :

منزلنا رجب لمن زارنا	ما عاقبنا في سوحه عائق
شيدت مبانيه بأيدي الرضا	نحن سواء فيه والطارق
فمن أتانا نال ما يبتغي	وقلبنا برنا واثق
ودارنا للكل دار الرحا	ورثنا الواسع والرازق

عني بنسخه وتنظيمه وتحقيقه ، ووضع عناوينه وفهرسته وتدقيقه
طفلي مائدهم الزكية المبدولة المشهورة ، وخويلد نعال تالهم بدائرهم المباركة المعمورة
أفقر الوري ، وأحقر من توى

عبد الحكيم بن عبد الكريم

السفاني الدمشقي غفر الله له ولوالديه ولأشياخه والمسلمين آمين

الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠ هجرية

﴿ فذلِكَ شَرِيفَةُ أَنْوَارِهَا مُنِيفَةٌ ﴾

دع جهل من ضلَّ الطريق وتاهها
واقطع حبال الزور والدعوى وكن
واعمل بسنة أحمد خير الورى
هي في الحقيقة لو دريت شريعة
رفعت لواء حقيقة نبوية
برزت لنا من خدر سدة عزها
وأنت يبرهان محجة حكمه
من حاد عنها كان أيسر أمره
لو كان موسى يتشا حياً لما
قد نظمت حداً لكل حقيقة
وبها تسلسلت الأسانيد التي
وأبت لعمرك زُخرف القول الذي
وجلت لأهل الدين نصاً صادقاً
وعليه قد درج الصحابة كلهم
غضت عليه بالنواجذ غضبة
رغمت أنوف ذوي الضلالة بالذي
كم قد تصوَّف مُحدث في ديننا
ورأى مخالفة الرسول طريقة
فأباده سيف الشريعة فأنطوى
فأعجب لها عثرات جهل بدوها
قام الغيبي بها يُريد تصدراً
شيكات سفسة تصاد بمثلها
قل للذي رام التسلق للعلل
خل العزائم يا خلِّي لأهلها

وتخذ الطريقة من شريعة طه
عبداً نأى عن نفسه وهواها
فهي الطريقة والضلال بسواها
أنوارها الغراء لا تنأى
قد شيد القرآن ركن علاها
حكّم بها أهل النهي تنأى
بيضاء أشرق في الوجود سناها
أن حارب الحسنى ومن والأها
أخذ الطريق لربه بسواها
وطريقة الله ما أرضاها
بعض الثقة العارفين زواها
يهواه مظلومس الفؤاد سفاها
من زده بالمنكرات تلاهى
والتابعون ومن أحب الله
للعلم تخشى دائماً مولاها
عرفت به بين الأتنام هداها
وأنى لبّ الزيف يرصد جهاها
جهلاً وظنّ بأنه يرصاها
بحجاب ظلمة بدعة أحياءها
حُقق وزيف ظاهر عفاها
ببضاعة تبست لما أدناها
بنهاء قوم جهلها أعماسها
بعزيمة دون الحضيض مداها
ودع العلى ما أنت من ذكرهاها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فجر من قلوب العارفين ينابيع الحكيم ، وجعلهم
أعلام الهدى بعد النبيين والمرسلين لجميع الأمم ، وأجرى على ألسنتهم
أوجز العبارات ، وأبلغ الإشارات ، والصلاة والسلام على سيدنا وسيدنا
ومولانا وشقيعنا وذخرنا وهادينا ونبينا محمد صاحب جوامع الكلم وسيد
سادات المخلوقات ، وعلى آله وأصحابه الذين أحسنوا اتباعه في الحركات
والسكنات ، وعلى التابعين لهم بإحسان ما دامت الأرض والسموات ،
آمين .

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد أبو الهدى تقيب أشراف
(حلب) الشهباء ، ابن السيد الشيخ حسن وادي بن السيد علي بن
السيد خزام بن السيد علي الخزام بن المولى العارف بالله السيد حسين
برهان الدين البصري الصيادي الرفاعي الخالدي غفر الله له ولوالديه ،
وأحسن بدار الجزاء جزاءهم بين يديه ، آمين :

لا يخفى أنه لما اندلست البدع والمحدثات في بعض الطرائق ، وانقلبت
بسببها من الطرق العلية على الغالب أكثر الحقائق ، وكثرت المحدثات في
مسالك القوم ، ترتب لأجلها على سلك الطريق المبارك اللوم ، وأفرط
بعض الناس في الطعن والاعتراض ، وأدخل على عصابة الصوفية ما هم

بُرءاء منه لكثرة الضغائن والأغراض ، فأردت أن أكتب كتاباً كافياً لحلِّ
 مشكلات طريق الصوفية الكرام ، موضحاً أصول سلوكهم وما هم عليه
 تربية لأعراضهم الطاهرة مما أحدثه في طريقهم الجهال والثرثام ، وتوكلت
 على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وجمعت هذا الكتاب المستطاب ،
 الناهج من مناهج الشريعة والطريقة طريق الصواب ، وسميته ﴿ غنية
 الطالبين ﴾ ، في إيضاح طريق المشايخ العارفين ﴿ سلكت به الطريقة
 الوسطى المرضية تفاؤلاً بخير ، خير الأمور أوسطها ﴾ وإشارة للتوسط بين
 تفريط المعترضين ، وإفراط أهل الغلو من المتصوفة الممقوتين ، ملتزماً فيه
 سلوك الطريقة الشرعية ، آخذاً بكل ما أخذ به أئمة طريق السادة
 الصوفية ، وهما هو بفضل الله كالذرة البتيمة ، موشح بالنصوص الثابتة
 الكريمة ، وقد رتبته على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، نسأل الله حسنها
 إنه على كل شيء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

المقدمة

ينبغي لكل مسلم أحسن الله إليه بنعمة الإسلام ، والاعتراف برسالة سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، أن يكون في الأحوال والأقوال والأفعال ، متابعاً للنبي المفضل ، عاصياً بالنواجذ على سنته السيئة ، وسنة خلفائه الراشدين أهل السيرة المرضية ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الآية ، وانقياداً لقول الله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ وقد حذر القرآن العظيم عن مخالفة سنة هذا النبي الكريم ، بقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّه ما نُوَلِّى ونُصَلِّه جهنم وساءت مصيراً ﴾ وغير ذلك من الآيات الكريمة ، والنصوص القرآنية العظيمة ، وأمرنا بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام ، وفقنا الله لأتباعه ، وجعلنا من أخصّ أتباعه ، آمين ، فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها » وقال عليه الصلاة والسلام : « من اقتدى بي فهو مني ومن رغّب عن سنتي فليس مني » وورد أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « عليكم بسنتي وسنة

الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وقال عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها وأتبع غير سبيل المؤمنين ولآه الله ماتوا وأصله جهنم وساءت مصيرا .

وعن عطاء - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وقال سهل التستري - رضي الله عنه : أصول مذهبنا (يعني الصوفية) ثلاثة : الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال .

وقال سيد الطائفة الصوفية الإمام الجنيد البغدادي - رضي الله عنه - : طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، إذ الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه إلا على المفتين آثار رسول الله ﷺ .

وقال الإمام داود الطائي - رضي الله عنه - : لا سبيل إلى معرفة الله إلا بالتباع بيه صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقال الإمام الحسن البصري - رضي الله تعالى عنه - : المؤمن متبع لا مبتدع إنا وجدنا السلف يقول قائلهم الحق ولا يخاف في الله لومة لائم .

وقال سيدنا الإمام الكبير السيد أحمد الرفاعي الحسيني قدس سره
 ورضي الله عنه لولده القطب الفرد الأنجب إمام وقته أبي إسحاق السيد
 إبراهيم الأعزب قدس سره : ما أخذ جَدَّكَ طريقاً لله إلا أتباع
 رسول الله ﷺ فإن من صَحَّتْ صحبته مع سر رسول الله ﷺ أتبع آذابه
 وأخلاقه وشريعته وسُنَّته ، ومن سقط من هذه الوجوه فقد سلك سبيل
 الهالكين .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - : إن سُرَّكَ أن تكون من الذين لا خوف
 عليهم ولا هم يحزنون فاتَّبِعْ ولا تبتدع ، ولا تتَّبِعْ غير سبيل المؤمنين ،
 واعلم أن كل طريقة تخالف الشريعة زندقه .

وقال صاحب الجوهرة :

وكل خير في أتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

﴿ تنبيه ﴾

الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين أصول وفروع ، فالأصول هي
 المعتقدات ، والفروع هي المعاملات الظاهرة ، وقد ذكر العلماء أن البدعة
 في الأصول أشد منها في الفروع وقالوا إن البدعة في الأصول لا يعرفها إلا
 من أحاط علماً بالأحاديث النبوية ، وتغلغل في معرفة الأدلة السمعية
 والعقلية .

قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه - : المحدثات من الأمور
 ضربان ، أحدهما إحداث ما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه

بدعة الضلالة ، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد فهذا محدث غير مذموم وهذا عين ما قرره الجَم الغفير من العلماء من أن البدعة إلى نوعين مقسومة ، بدعة محمودة والأخرى مذمومة .

وقال الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد السلام في كتابه (قواعد العقائد) كما نقله عنه غير واحد من الفضلاء الأماجد : البدعة مقسومة إلى واجبة ومحرمّة ومندوبة ومكروهة ومباحة ، قال : والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشرع فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة ، أو في قواعد التحريم فمحرمّة ، أو في التذب فمندوبة ، أو المكروه فمكروهة ، أو المباح فمباحة ؛ وللبدعة الواجبة أمثلة منها الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وذلك واجب لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها إلا بذلك ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ومنها حفظ غرائب الكتاب والسنة ، ومنها تدوين أصول الفقه ، ومنها الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم ، وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتأتى ذلك إلا بها ذكرناه ، وللبدعة المحرمّة أمثلة منها مذهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسّمة والردة على هؤلاء من البدع الواجبة ، وللبدع المندوبة أمثلة مثل إحداث الرُّطط والمدارس وكان إحداثها لم يُعهد في العصر الأول ، ومنها التواريخ والكلام في دقائق التصوّف وفي الجدل ، ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى ، وللبدعة المكروهة أمثلة كتحرق المساجد وتزويق المصاحف ، وللبدعة المباحة أمثلة منها المصافحة عقيب صلاة الصبح والعصر ، ومنها التوسّع في اللذائذ من المأكّل والمشارب والملابس

والمساكن وليس الطبالسة وتوسيع الأكرام ، وقد اختلف في ذلك بعض العلماء أنها من البدع المكروهة ، وجعلها آخرون من السنن المنعولة في عهد رسول الله ﷺ وما بعده . انتهى .

فعل ما ذكر تبين لك شأن كل بدعة تراها في أنطرق السائرة فلنك أن تعرض ماتراء وتسمعه فيها من البدع القولية والفعلية على قواعد الشرع بأن نرة كل بدعة إلى القاعدة التي تنهي إليها كما نقرر ، وسبب أن شاء الله ذكر ذلك مفضلاً ، وليعلم أن حديث : كل بدعة ضلالة لا يفيد أن كل ما لم يقع في زمن رسول الله ﷺ بدعة ضلالة ، فإن العلماء صرحوا ببيان معنى هذا الحديث الشريف تصريحاً كافياً ، وأوضحوه إيضاحاً شافياً ، ولطم أجنة من السنة وإجماع الأمة منها ما رواه كثير من عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث : « أعلم يا بلال » قال : أعلم يا رسول الله . قال : « أعلم يا بلال » قال : « أعلم يا رسول الله . قال : « إنه من أحسن سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضها الله ورسوله كان عليه مثل آثم من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً » فقد صرح صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث المبارك أن بدعة الضلالة هي ما لم يرض الله ورسوله عليه الصلاة والسلام من قول وفعل ، وأما الذي يرضيها فلا يكون بدعة ضلالة أصلاً ، ومثل ذلك ما رواه عن النبي ﷺ أنه قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده

كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزانهم شيئاً ،
فبُهِدَ صلى الله عليه وسلم على أن البدعة نوعان حسنة وسيئة .

قال الشافعي - رضي الله عنه - : « ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو
إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضلالة » . وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً
من ذلك فهو البدعة المحسنة ، ويدلُّ لذلك ما روي عن ابن مسعود رضي
الله عنه « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون
سيئاً فهو عند الله سيئ » . رواه أبو داود .

والحاصل أن البدع الحسنة تتفق على ندبها ، وهي ما وافق كتاباً أو سنة
أو إجماعاً أو أثراً ولم يلزم من فعله محذور شرعي . بل من البدع ما هو فرض
كغاية كتصنيف العلوم ونحوها ، وأما البدع السيئة فهي ما خالف الكتاب
والسنة والإجماع صريحاً أو التزاماً ينتهي إلى التحريم نارة والكراهة نارة .
انتهى

فعل هذا المقياس يقتضي أن يكون إنكار المنكر وموافقة الموافق ،
والوقوف على جادة الاعتدال المشروع مع السلامة من الميل إلى جانب
التضييق أو الإفراط فإن كلا الطرفين طريق هلاك والعباد بالله تعالى ،
على أن التضييق استخفاف ، والإفراط غلو ، وكلاهما أشدُّ داهية من
الأخر ، والسلامة بالتأبع السنة السنية المحمدية ، والتشمك بآثار عصاة
السلف أصل السيرة الزكية ، والتسري من البدع السيئة والمحدثات
والتحقق تشككاً بطريقة شريعة أشرف المخلوقات عليه من الله أكمل
الصلوات وأتم التسليمات ، وهذا أو أن الشروع في ذكر الباب الأول ،
وعلى كرم الله ولطفه المعول .

الباب الأول

﴿ في أصل طريق السادة الصوفية : واختلاف مشاربهم الزكية ﴾

كُنْ اعَارِفُونَ مِنْ أَهْلِ هَذَا الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ ، وَالْمَنْهَجِ الْمُبَارَكِ الْمُسْتَقِيمِ ،
أَنْ أَصِلَ هَذَا الطَّرِيقَ الْمُبَارَكَ نَبِيًّا عَلَى أَرْبَعِ أَرْكَانٍ ؛

الأول : الوفاء بالعهود ، والثاني : انضاض بالوجود ، والثالث : الصبر
على المقصود ، والرابع : التوقف عند الحدود . ولكل من هذه الأركان معانٍ
تدلُّ على الله - يُقَرَّبُ مِنْ اللَّهِ - وَيُتْلَزَمُ بِحَسَبِ تَبَاعٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمِنْ
الرُّكْنِ الْأَوَّلِ يَتَّبِعُ لِمُعَاقِلِ أَنْ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى مَسَاحِدِ
الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، عَنْ أَنْ الْوَفَاءَ بِالتَّحَدُّ فِي سَبْعَةِ فَوَائِدِ :

﴿ رُكْنُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ﴾

الأولى إعظام جلال الله الذي وصل إليه عهده بواسطة نبيه صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا قَرَأَ فِي قَلْبِهِ إِعْظَامَ جَلَالِ اللَّهِ تَبَيَّنَ عَقْلُهُ ، وَتَحَفَّظَ قَلْبُهُ
لَا مَشَاكِلَ أَوْامِرِ اللَّهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَبِذَلِكَ يَصِلُ إِلَى خُرُوجِ النِّجَاحِ فِي
أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَيَجْتَمِعُ لَهُ شَتَاتُ أَمْرِهِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ .

والثَّانِيَةُ الثانية معرفة قدر رسول الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي
قَرَأَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِوَسْطِيَّتِهِ أَنْ هَذَا لِلْإِيمَانِ ، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ ، وَفِيهَا شَأْنُ التَّمَكُّنِ بِتَبَاعِهِ عَلَيْهِ الْمَصَلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْحَيَاءُ مِنْهُ أَحَدُ

الله رفيع مكانته أن ينحرف عن سنته ، لو أن يبادر إلى مخالفته ، فإن من عرف قدر المنعم وأدرك قدر النعمة أيضاً عظم النعمة بنوام الطاعة للمنعم ، والتفويض إليه بكل ما يرضيه .

والفائدة الثالثة احترام الوساطة التي من الله تعالى عليه بسببها أن عرفه عظم جلاله ، ورفيع قدر نيته صلى الله تعالى عليه وسلم فأحكم رابطة الحب إعظاماً لطرفي الأصلين الرفيعين للوساطة ، وأقام لك في قلبه دعائم البرّ وبذلك ينقطع العاقل عن الأغيار الذين يقطعون عن طريق الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، فلا يزال حينئذ مقبلاً بسبب الوساطة على إحكام ما بينه وبين الله من الرابطة .

والفائدة الرابعة محبة كل من أصحاب شرف العهد المنسوبين إلى الله ورسوله عليه السلام ، ووراث شريعته وطريقته الأعلام ، وفي ذلك من بركة التعاون على البر والتقوى ما هو ظاهر باهر ، وفيه أيضاً السلامة من قرين السوء الذي يصرف قلب قرينه بتسويلاته الأبلسية إلى الغفلة والحالة الدنيا ، وفيه الوقوف تحت راية الفلاح بالاندراج في حزب الله الدين قال فيهم ﴿ أوتيتك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ والأمن من خيبة تحلة قرين سيء نسرله لأحله أثواب الندامة يوم القيامة ، فيقول بعد أن يبكي كثيراً ويضحك قليلاً ﴿ يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً ﴾ وفيه شرف الانسحاب لأمر رب الأرباب بقوله تعالى : ﴿ واتبع صليل من أناب ﴾ .

والفائدة الخامسة علو اهمة التي يلحق بسببها التوضيح بأعلام الأمة ، على أن الهمة لا تصح إلا بسائق طلب متين يتعلق بمطلوب عزيز ، وهذا

انسر لا يكتشفه إلا أصحاب الوفاء بالعهود الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فأنحرفوا عن الأغيار والتجؤوا إليه :

ويناسب هذا ما نقله شيخنا ومولانا إمام الصوفية ، ومقتدى السادة الأخندية ، القوث الأكبر ، والعلم الأشهر ، سيدنا السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه في كتابه (البرهان) بآية الله : لا يقرب المحب من محبوبه حتى يبعد من عدوه ، وهو بعض المريدين وكوته في بعض الأبار ليستقي الماء فخرجت ملوثة بالذهب فرمى بها في البئر وقال : يا عمريري وحقت لا أريد غيرك . من أثبت نفسه مريداً صار مراداً ، من أثبت نفسه طائفاً صار مطلوباً ، من عكف على الباب دخل الرحاب ، ومن أحسن القصد بعد الدخول تصدر في غرفة الوصلة ، دخل على كريم الله وجهه ورضي الله عنه مسجد رسول الله ﷺ ورأى أعزاً في المسجد يقول : إلهي أريد منك شوية . ورأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه في زاوية أخرى يقول : إلهي أريدك . شتان ما بين المرأتين ، شتان ما بين الحمسين ، تلعب الأموال بالنعقون ، تلعب بالهضم ، كل ينظر بجناح همه إلى أمه ومقصد قلبه . فإذا بلغ غاية همته وقف فلم يجاوزها ، قال تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾ أي على نيته وهمة . انتهى .

وقد ورد في الخبر الرفيع الشأن ، علو الهمة من الإيمان ، وعلى قدر ترقى الهمة إلى مرتبة الوفاء بعهد الله يكون ازدياد نور الإيمان ، وانكشاف حجب القلب المساترة له عن درك الحقائق التي استودعها الخالق في كل من المخلوقين .

والفائدة السادسة الصحيحة لكل من المخلوقين ، تقرباً للرب العالمين ،

باحث على الخفاء بعهد الله ، بالتقديم بتعظيم ما كان عليه رسول الله ﷺ
 شغفة على خلق الله ، وعملاً بقول رسول الله ﷺ : « إن الدين النصيحة »
 إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة « وقد كنت قد أوضحت في بعض
 رسائلي معنى هذا الحديث الشريف حسب قرره أئمة الدين رضي الله عنهم
 أجمعين ، فقلت : النصيح لله تعالى هو الإقرار والتصديق بوحدة الله وكماله
 وقدرته وتزويده عن كل نقص مع الخضوع له والرجاء منه في كل حال ،
 والالتزام بما أمر به ، والامتناع عما نهى عنه ، والنصيحة لكتابه تعالى حفظه
 من التحريف والتأويل الباطل ، وتعظيم أحكامه الشريعة والتأويلات
 للنصيحة ، وقراءته وتلاوته بالأدب والتجويد ورعاية معانيه وتعلمها
 لدي القدرة من عباد الله تعالى .

والنصح لرسوله ﷺ التصديق بكافة الأحكام التي جاء بها ﷺ مع
 حسن التخلق بأخلاقه الجميلة الشريفة ، والعمل بطريقته وشريعته ،
 والترغيب بالوسائل المدحوخة للناذب بأدابه عليه الصلاة والسلام .

والنصح لأئمة المسلمين (يعني من حاز الإمامة الكبرى والخلافة
 العظمى) هو أنه إذا غفل الأمير حسب الشريعة عن قضية لازمة في منتهى
 الإصلاح أمر الرعية ، وتشبيد الأركان الدينية ، يعرض له الناصح حقيقة
 الحال بحسن التعبير بلا غرض ولا آمال ، وأن يجمع له القلوب النافذة عنه
 ويجلبها بالأساليب المدحوخة لمحبه ويدفع عنه حركة الفساد ، ويقطع
 بحسن تصيحته عنه السنة أهل البغي والاعتاد ، ويشتغل بمصالحه وقضاء
 مصالحه على مقتضى إمكانه .

والنصح للمسلمين هو الشغفة عليهم والتعظيم لكتبهم والمرحمة

لصغيرهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم ، وهذا هو المقصود من قوله تعالى في كتابه الكريم ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله ﴾ .

والفائدة السابعة الانتصار لله والحب في الله والبغض لله ومعنى الانتصار لله الانتصار لأوامر الله تعالى بأن يعظمها في نفسه وأن يسوق إلى تعظيمها غيره . وقال خير واحد : الانتصار لله تأييد كل أمر يؤيد إلى الله . وقال مولانا السيد مراح الدين المخزومي الرفاعي رضي الله عنه : الانتصار لله مجاهدتك نفسك في الله ، وإرشاد غيرك إلى الله ، وتعظيمك ما كان عليه رسول الله ﷺ . ولهذا قال المشايخ قدس أرواحهم : لن يتم النصر لمجاهد في الله حتى ينتصر لأوامر الله في نفسه وغيره ، وقالوا : الانتصار لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتلوا قوله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ الآية .

وذكر صاحب (مكناسة القنوب) في الباب الخامس عشر من كتابه عند قوله تعالى - ﴿ كتتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ مائتة قال الكلبي : هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم وفيها دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق ، وإن هذه الحبرية مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متضادة في ذاتها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم ، ومعنى أخرجت للناس أي أنفعهم ومصلحتهم في جميع الأعصار حتى قُبِرَتْ وعُرِفَتْ . وقوله تعالى - ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون

عن المنكر وتؤمنون بالله ﴿ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِيُضْمِنَ بَيَانَ كَوْنِهِمْ خَيْرًا مَعَ
مَنْ شِئْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ مَا أَهْلُوا عَلَى ذَلِكَ وَأَنْصَفُوا بِهِ ، فَإِذَا تَرَكَوا
الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ زَالَ عَنْهُمْ ذَلِكَ فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ خَيْرَ النَّاسِ
لِلنَّاسِ لِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقَاتِلُونَ الْكُفْرَانَ يَسْلُمُونَ
فَأُجِرَ عَنْهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، كَمَا قَالَ ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَضَعُ النَّاسَ
وَيُشْرِئُ النَّاسَ مِنْ يَضُرُّ النَّاسَ » ، ﴿ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ أَيُّ تَصَدَّقُونَ بِتَوْحِيدِ
اللَّهِ ، وَيُشِيرُونَ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَضَرُّونَ أَنْ يَحْمَدَ نَبِيَّ اللَّهِ ، لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ
بِسُحُودِ ﷺ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ، لِأَنَّهُ يَرَعَى أَنْ الْآيَاتِ الْمُعْجَزَاتِ أَنْ يَهْمَ مِنْ عِنْدِ
نَفْسِهِ ، وَقَالَ ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَكْرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » يَعْنِي أَضْعَفُ فَعَلِ
أَهْلُ الْإِيمَانِ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : التَّغْيِيرُ بِإِيدِ الْأُمُورِ ، وَبِاللِّسَانِ لِلْعَلَاةِ ، وَبِالْقَلْبِ
لِلْغَوَامِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كُلُّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُغَيِّرَهُ كَمَا قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾
الْآيَةِ . وَمَنْ التَّعَاوَنَ الْحَسَّ عَلَيْهِ ، وَتَسْهِيلَ طُرُقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ ، وَسُدَّ سَبِيلَ
الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ ، يَقَالَ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : « مَنْ
اتَّهَرَّ صَاحِبُ بَذْعَةٍ مَلَكَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَمَانًا وَإِيمَانًا وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبُ بَذْعَةٍ أَمَنَهُ
اللَّهُ يَوْمَ الْفُرْعِ الْأَكْبَرِ وَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَهُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي
الْأَرْضِ وَخَلِيفَةُ كِتَابِهِ وَخَلِيفَةُ رَسُولِهِ » عَنْ حَدِيثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَأْتِي
عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَنْ تَكُونَ فِيهِمْ حَبِيبَةٌ حَمَارٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مَوْسَى يَأْمُرُهُمْ
وَيَنْهَاهُمْ .

قال موسى : يا رب ما جزاء من دعا ألقاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ، قال : أكتب له بكل كلمة عبادة حسنة وأستحيي أن أعدبه منزلي .
وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « يا ابن آدم لا تكن ممن يترحم الشبهة ويطول الأمل ، ويرجع إلى الآخرة بغير عمل ، يقول قول الغيبين ، ويعمل عمل المنافقين . إن أعطي لم يفتح ، وإن لم يعط لم يصبر . ويحب الصالحين وليس منهم ، ويفض المناقضين وهو منهم ، يأمر بالخير ولا يفعله ، وينهى عن الشر ولم ينه عنه . »

وعن علي كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيأتي قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان موافق العقول ، يقولون من قول خير البرية لا يميزون حادجهم بمرفوق من الدين كما يسرق السهم من الرمية » فقال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أُسري بي إلى السماء رجلاً تفرس شفاهم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا جبريل ؟ » قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر ويسبون أنفسهم كما قال الله تعالى في حقهم : ﴿ الْأَمْمَرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسْبُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ الْكُتُبَ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴾ يعني تشتركون كتاب الله ولا تعقلون برأيه . فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون ، يجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينهوا ، ويقيمون الصلاة ﷻ الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر . فقال : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَنكَرِ اللَّهِ إِذْ أَمَرَ بِالْعَمَلِ أَلَا يُنْظَرُ ﴾

فعلوه ﴿ يعني لا ينهى بعضهم بعضاً ﴾ لبشوا كانوا يفعلون ﴿ . روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يغفل كبيركم ، ولا يرحم صغيركم ، ويدعو بخياركم فلا يستجاب لهم ، ويستصرون فلا ينصرون ، ويستغفرون فلا يغفر لهم » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عذب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء » قالوا : يا رسول الله كيف ؟ قال : « لم يكونوا يعرضون لله ولا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » . وقال أبو ذر الغفاري : قال أبو بكر المصدق رضي الله عنه : يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله » فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : « الأمرؤن بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله » ثم قال : والذي نفسي بيده إن العبد ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلاثمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليتزوج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الخطف يحين كنيا أنثى إلى واحدة منهن فنظروا إليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر ؟ وكلما أنثى إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر » .

وأما الحب في الله والبغض في الله فهو عين الانتصار لله سبحانه . لأن

صاحب هذا المقام يدور مع الحق منحرفاً عن غرض نفسه بحب من أحبه الله ، ويبغض من أبغضه الله ، على أن حب من أحبه الله ينفع المرء عند الله . وقد سأل رسول الله ﷺ هذا الشأن من ربه في دعائه فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك » . وقال الشيوخ : من كمال الإيمان بالله حب ما أحبه الله ، وبغض ما أبغضه الله . وقد كان رسول الله ﷺ لا يتحصر من مظلمة ظلمها قط مالم تكن حرمة من عارم الله تعالى ، وكان لا يبغض لنفسه الزكية ويبغض إذا انتهكت عارم الله ، وهذا هو الوفاء بعهد الله سبحانه وتعالى .

﴿ الركن الثاني الرضا بالموجود ﴾

الركن الثاني من الأركان التي بُني عليها أصل هذا الطريق المبارك الرضا بالموجود كما تقرّر آنفاً وهو : أي الرضا شام الذبول تحت مجاري الأقدار الربانية بالسليم المحض لكل ما أنفذه سبحانه وتعالى علماً بأن الله تعالى قدرته هو الفعال المتصرف في كل أمر قليل أو كثير ، وهو على كل شيء قدير .

وقال بعضهم : الرضا من الله هو أن ينسب إليه سبحانه كل فعل حسن وجليح ، وأن ينسب أي العبد إل نفسه كل فعل سيء فيج : وأن يتم شأن هاتين الشئتين بامتثال أوامر الله ومخالفة النقيض ، وعلى ذلك درج أكابر أصحاب الخوفة رضي الله عنهم أجمعين .

ويؤيده قول هذا الفاضل ما رواه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله عز وجل أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هدته

فاستجيدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطمعته فاستطعموني
 أطمعكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسبوني أكنسكم يا عبادي
 إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم
 يا عبادي إنكم كنتم عصاة خاطئين . تضرعون ولن تغفلوا فني فتغفلوا يا عبادي لو
 أن أولئك وأنتم وإنسكم وجنكم كنتموا على شئ قلب رجل واحد منكم
 سئل ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولئك وأنتم وإنسكم وجنكم
 كنتموا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو
 أن أولئك وأنتم وإنسكم وجنكم قدموا في صعد واحد فالتفتي فاعطيت
 كل واحد مسئلة ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل
 البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم بها فمن وجد
 غيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

وإن من شأن الخوف رضي الله عنهم الرضا عن الله تعالى في كل حالة
 يكونون عليها فلا يكون عندهم سخط شيء ، مما يجزيه عليهم ، ولا ازدراء
 لما أعطاه كائن ما كان ، وإن الحق سبحانه وتعالى أعلم بمصالحهم منهم
 فلا يفعل بهم إلا خيراً ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ الآية ،
 والحكمة الإلهية كاملة لا تقتضي أن يعطي أحد غير ما أعطى من أعلى
 وأولى ، فلو أعطى غير ذلك فقد حال كما يشير إليه الحديث القدسي : إن
 من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنته لفسد حاله ، إذا علمت
 ذلك وعلمت أن كل من أعطي شيئاً فهو الأكمل في حقه والأصلح حكمة
 بالغة عن حكيم عليم . فالأكمل في حق الأنبياء النبوة ، وفي حق الولي
 السلاية ، وفي المؤمنين الإيمان ، وفي العالم العلم ، وفي حق المحترف

أدوية ، وفي حق غير المخترف عندها ، وهكذا وهنا أسرار يعلمها أهل
 الله تعالى فطلب العبد الانتقال من الحالة التي هو فيها اختيار غير ما اختار
 الله له ، وهو مؤذن بأنه يدعي أنه أعلم بمصالحه من الله وكفى به جهلاً
 وكفراً ، وكل ما ذكرناه مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ أعطى كل شيء خلقه ثم
 هدى ﴾ فيهم ، وقد جمع صاحب (آداب الأقطاب) في الرضا سنة
 صالحة وجاهي بقصتها .

قال : فله أكثر المتصوفة في ذكر الرضا واختلفوا فيه فمنهم من قال :
 حاب ومنهم من قال : مكتسب . وقالوا : الراضي بالله لا يعترض على
 مفاديره . قال أبو علي الدقاق : الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء
 قال المشايخ - الرضا باب الله الأعظم - يعني من لزم الرضا فقد أُلقي
 بالترجيح الأولى ، وأُقرم بالتفريب الأعلى ، فأرضوا لا يرفع من العبد شيء
 بعد أرضاه عنه ، وفداً قال تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقد
 جاء أن موسى عليه السلام قال : رضي دُني على عمل إذا عملته رضىت
 علي فضاء : إنك لا تطيق ذلك . فخر موسى عليه السلام ساجداً
 متضرعاً ، فأوحى الله تعالى إليه يا ابن عمران رضائي في رضاك بقصاتي .
 وقد شملت رابعة متى يكون العبد راضياً فقالت : إذا شُرته القضية كبر
 سره النعمة . وقيل للحسن بن علي عليه السلام إن أبا ذر يقول :
 الفقر أحب إلي من الغنى ، والنعم أحب إلي من الصحة . فقال : رجب
 الله ثب ذر أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله تعالى لا يمتحن
 غير ما حناره الله عز وجل له . وسئل أبو عثمان عن قول النبي ﷺ :
 « أمّا لك الرضا بعد القضاء » فقال : لأن الرضا بعد القضاء هو الرضا .

وقال أبو سليمان الناذلي : أرجو أن أكون عرفت طريقاً من الرضا ترواه
أدخلني النار لكنت راضي بذلك . قال المحاسبي : الرضا سيكون القلب
تحت مجاري الأحكام . وقال الحريري : من رضي بشئ قدره رفعه فوق
غايته . وقال أبو تراب النخعي : لا يزال الرضا من الدنيا في قلبه
مقدار . قال رسول الله ﷺ : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً » وقال
أبو عثمان : منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته وما نقلني إلى
غيره تسخطته .

وقال في (مكتشف الغيوب) في شأن الرضا : أما أفضل الرضا من
الآيات فقوله تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقد قال تعالى :
﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ ومتبني الإحسان رضا الله عن
عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى ، وقال تعالى : ﴿ وسأكثر عليه
في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ﴾ فقد رفع الله الرضا فوق جنات
عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال : ﴿ إن الصلاة تنبي عن
الضحى والذكر وتذكر الله أكبر ﴾ فكيف أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر
من الصلاة فريضان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان
الجنة . وفي الحديث : إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني
فيؤمنون رضاكم فماذا هم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل : وأما رضا العبد
فتذكر حقيقته : وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب
عنا ذكرناه في حب الله للعبد ، ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تقتصر
أنفهام الخلق عن دركه ، ومن يرضى عليه فيستقل بهدراكه من نفسه ، وعلى
الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنها سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر .

فكانهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأماقي لما ظفروا بتعظيم الشظر ، فلما أسروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلَبِئْسَ مَزِيدٌ ﴾ قال بعض المفسرين : يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين :

إحداها : هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثله ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾

والثانية : السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلاً ، وهو قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾

والثالثة : يقول الله تعالى : إني عنكم راض فليكون ذلك أفضل من الهدية والتمائم ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي من النعيم الذي هم فيه فهذا أفضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما فضله من الأخبار فقد روي أن النبي ﷺ سأل طلائفة من أصحابه : « ما أنتم ؟ » فقالوا : « مؤمنون » فقال : « ما علامتكم ؟ » فقالوا : « نصبر على السوء ، ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بموافق القضاء » فقال : « مؤمنون ورب الكعبة » . وفي خبر آخر أنه قال : « حكيماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » وفي الخبر « طوبى لمن عدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضي به » وقال ﷺ : « من رضي من الله تعالى بالقليل من السرور رضي الله تعالى منه بالقليل من المعسر » وقال : « إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإن صبر اجتاه فإن رضي اصطفاه » وقال أيضاً : « إذا كان يوم القيامة أتيت الله تعالى لطائفة من أمتي اجتعة فيصطرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف

شاوروا ، فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون : مارأينا حساباً . فتقول لهم : هل جزئتم الصراط ؟ فيقولون : مارأينا صراطاً . فتقول لهم : هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : مارأينا شيئاً . فتقول الملائكة : من أمة من أئمتكم ؟ فيقولون : من أمة محمد ﷺ . فتقول لهم الله جلّوتنا ما كانت نعمتكم في الدنيا ؟ فيقولون : خصتنا كانتنا فيها فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله ، فيقولون : وما هما ؟ فيقولون : كنا إذا حلونا نسبحي أن نعصيه ونرضى بأمر مما قسم لنا . فتقول الملائكة : بحق لكم هذا ،

وقال ﷺ : « يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بشرب فقركم وإلا فلا » وفي اختيار موسى عليه السلام أن يني إسرائيل قائم له . سل لنا ريثك أما إذا نحن فعنته يرضى به عنا . فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا . فقال : يا موسى قل لهم يرضون مني حتى أرضى عنهم ويتأسب هذا المعنى قوي :

إن كنت عن برئعي أحسن الرضا من ربه فدرجتي السرايا بفعله
فلئن يعاقب عبده فبعذله ولئن يُبْلَغُه المني فيخضله

❖ ❖ ❖

❖ الركن الثالث الصبر على المفقود ❖

والركن الثالث من الأركان التي بني أصل الطريق عليها الصبر على المفقود ، وهو الصبر عن كل شيء دون الله ، ولقد أحسن القائل :

الصبر يجمل في الأمور جميعها إلا عليه فإنه لا يجمل

❖ ❖ ❖

ومعنى الصبر هو ثبات داعي الدين والعقل في مقابلة داعي الشهوة والغضب ، فإذا تجاذب الحية داعيان متضادان فدفع الداعي إلى الإقدام والمبادرة ومال إلى داعي التأخير فوافقه دخل في أعداد الصابرين الذين أكرمهم الله بسمعة معيَّنة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ولا يتم شأن الصبر للعبد إلا بالتقاساة والمجاهدة وقهر النفس ، وفي الصبر من التخلق بأخلاق الله تعالى شأن حميد لا يخفى بركته على منشئ أبداً ، وقد أمرنا بذلك بيَّنه حبيب الله عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿ تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالصُّبُورِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مَسْحَانِهِ وَتَعَالَى ، قَالَ الْعَلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ : هُوَ الَّذِي لَا تَحْسِلُهُ الْعَجَلَةُ عَلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الْفِعْلِ قَبْلَ أَوَانِهِ ، بَلْ يَتَوَلَّى الْأُمُورَ كُلَّهَا بِقَهْرٍ مَعْلُومٍ ، وَيُجَرِّمُهَا عَلَى سَنَنِ مَحْنُودٍ ، وَلَا يُؤْخِرُهَا عَنْ أَجَائِهَا ، لِقُدْرَةِ مَا تَأْخِيرُ مَتَكَاسِلَ ، وَلَا يُقَدِّمُهَا عَلَى أَوْقَاتِهَا تَقْدِيمَ مُسْتَعَجِلٍ ، بَلْ يُوَدِّعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ عَلَى الرَّجَاءِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ وَكَيْ يَنْفَعِي ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُقَدَّسَةٍ وَدَاعٍ عَلَى مُضَادَّةِ الْإِرَادَةِ ، فَإِنَّ الْمُقَاسَاةَ شَأْنَ الْعَبْدِ فِي صَبْرِهِ تُغْلِبُ بِاعْتِ الْعَجَلَةِ إِلَيْهِ ، وَبِاعْتِ التَّعَجُّلِ فِي حَقِّ اللَّهِ مَعْلُومٍ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّبْرِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ ، وَالْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، مَا يَسَّرُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ ، قَالَ الْفَرَزَاكِيُّ : ذَكَرَ الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مَوْضِعًا ، وَأَضَافَهُ الْقُرْآنُ أَكْثَرَ الْمُدْرَجَاتِ وَالْخَيْرَاتِ إِلَى الصَّبْرِ وَجَعَلَهَا ثَمَرَةً لَهُ ، وَجَعَلَ لِلصَّابِرِينَ بَيْنَ أُمُورٍ لَمْ يَجْمَعْهَا لغيرِهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ فالله في الرحمة والصلوات يمدوغة للصَّابِرِينَ ، واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطور

وأما الإخبار فقد قال ﷺ : « الصبر نصف الإيمان » وقال ﷺ : « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حفظه منها لم يبال بها فاته من قيام الليل وصيام النهار ولما تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يرافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعددي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكامل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ وللمحزين الذين صبروا أجرهم ﴿ الآية ﴾ ، وروى جابر أنه سئل ﷺ عن الإيمان فقال : « الصبر والمجاهدة » وقال أيضاً : « الصبر كنز من كنوز الجنة » وسئل مرة ما الإيمان ؟ فقال : « الصبر » وهذا يشبه قوله ﷺ : « الحج عرفة » معناه معظم الحج عرفة ، وقال أيضاً ﷺ : « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : تخلق بالخلق وإن من أخلاقي أني أنا الصبور . وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال : « أمؤمنون أنتم ؟ » فسكتوا فقال عمر : نعم يا رسول الله . قال : « وما علامة إيمانكم ؟ » قالوا : نشكر على الرخاء ، وبصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء . فقال ﷺ : « مؤمنون ورب الكعبة » ، وقال ﷺ : « في الصبر على ما تكره خير كثير » ، وقال المسيح عليه السلام : إنكم لا تتركون ما تكرهون إلا بصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله ﷺ : « لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً والله يحب الجبارين » . وكان ﷺ كثير الصبر واتجهل للأذى ، وكان يقابل الشيء بالإحسان ، وقد أصدر من قوم في شأنه عليه السلام حال لا تناسب عظم قدره الكريم يقول عاقياً ﷺ : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

قال القاضي أبو الفصّل رحمه الله تعالى : نظر ما في هذا القول من
 جماع الفضل ، ودرجات الإحسان ، وحسن الخلق ، وكرم النفس ،
 وغاية الصبر والخشوع ، إذ لم يقتصر صل الله عليه وسلم على السكوت عنهم
 حتى سامح وعفا ، ولم يقابلهم بالخفا ، ثم لم يكشف بذلك حتى منحهم
 بمحض الخيرة والعناية ، فدعا لهم بالعترة وأخذاية ، فقال : « اللهم
 اغفر » وفي رواية « اللهم اهد » وبين انتسابهم إليه ، ولخصوصيتهم
 لديه ، فقال : « قومي » ولم يكشف بجميع ذلك حتى أتى عنهم
 بالاعتذار ، وجاء عدم المزاينة على ما صنعوه من الأوزار ، فقال :
 « فإنهم لا يعلمون » .

وذكر في (آداب الأنظار) ما نصه : جاء في تفسير قوله تعالى :
 ﴿ فاصبر صريحا جليا ﴾ أن يكون صاحب النصية في القوم لا يندري من
 هو ، وجاء في الحديث إن رسول الله ﷺ سئل عن الإيمان فقال : « الصبر
 والسياسة » وقال : « الصبر جلوس الله يوم القيامة » وأوحى الله عز وجل
 إلى بعض أنبيائه : أنزلت بعدي بلائي فدعاني في فاطمته بالإجابة فشكاني
 فقالت عبيدي كيف أرحمك ؟ من شيء به أرحمك . وقال أجبني : الصبر
 تحرّج المرید من غير تعب . وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : الصبر
 من الإيمان بمنزلة الرأس من البدن . وقال أبو النور : الصبر الساعد عن
 المخالفات الشكوى عند تحرّج غصص السلية ، وإظهار النفس مع حلول
 النقص بساحات الفيلة . وقال ابن عطاء : الصبر الوقوف مع البلاء
 بحسن الأدب . وقيل : هو الفناء في الشئ من غير شكوى . وقد قال
 الله تعالى : ﴿ ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون ﴾

وقال بعض المشايخ : الصبر هو الثبات مع الله تعالى ، وتلقي البلاء بالرحب والسعة . وقال الخواص : الصبر على احكام الكتاب والسنة . وقال ربيع : الصبر ثلثة الشكوى . وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : الصبر مطية لأكثرى . وقال أبو محمد الحريري : الصبر أن لا يفرق بين حاد السعة والسعة مع سكون الخاطر فيها . وما أحسن قول بعض الشعراء :

صبرت ولم أطلع مراك على صبري وأخطت ما بينك وبين موضع الصبر
خافه أن يشكو ضميري غيبي إلى آدمي مرأ فتجري ولا أدري



فيعجبني قول القائل من البحر والثقافة : صابري ، البيت إلى آخره
صبرت وجعلته ديداً وقبلاً

يكتفي الصبر الربيع أحيتني على الحجر وأولاه من ألم الطجر
ومن أين لي صبر على الطجر (نساء) إذا كنت موعوداً بعملني فكجري
صبرت عليهم وأضياً ما تضرعوا به وصابرت جهدي في الهوى ووهي أمري
(ماصبر حتى يعلم الصبر أنني صبرت على شيء أمر من الصبر)



وخسن ما روي عن بعضهم وهو : الصبر لله عناء ، والصبر بالله بقاء ،
والصبر في الله بلاء ، والصبر مع الله وقاء ، والصبر عن الله جفاء

﴿ الركن الرابع الوقوف عند الحدود ﴾

والركن الرابع من الأركان التي بُني عليها أصل التطبيق الوقوف عند الحدود ، قال العزيمون : الوقوف عند الحدود التي حدّها الله ورسوله ﷺ باب شرف لا يُخلق ، وقالوا : الوقوف عند حدود الله تحصن لا يُقلب ، وجاء لا يُقلب ، والوقوف عند الحدود : هو جمع بين إحياء السنّة وإماتة البدعة . وقد قال بعضهم : الوقوف عند الحدود مقام من أحبّ الله ورسوله . مثلاً ﴿ قل إن كنته لمحزون الله فأتبعوني بحسبكم ﴾ الآية ، وقد ورد أنّ أقواماً على عهد رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله إنا لنحبّ ربنا فنأمر الله هذه الآية . وقال جنم من العلماء العاملين رضي الله عنهم : الوقوف عند الحدود الأمانة على الأوامر والنواهي .

قال في (مكاشفة القلوب) قال الله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ﴾ أي امتنعن من قبولها واشفقن منها ، أي خفن من الأمانة أن لا يؤدّينا فيلحقن بالعقاب ، أو جفن من الحياة فيها . وبمعنى الأمانة في هذه الآية الطاعة والنهْيُ الذي يتعلق بأدائها الثواب والعقاب .

قال القرطبي : "الأمانة نعم جميع وظائف الدين على التصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور ، واختلف في تفاصيل بعضها ، فقال ابن مسعود هي في أمانة الأمور كالودائع وغيرها . وذري عنه : أنها في كل الفرائض وأشبهاها أمانة المال . وقال أبو الذرراء : غسل الجنابة أمانة . وقال ابن عمر : أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال : هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسها إلا بحق فإن حفتفتها حفتفتك . قال الفرغ أمانة .

والأذن أصالة ، والعين أمانة ، واللسان أمانة ، والبطن أمانة ، واليد أمانة ، والرجل أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له .

قال الحسن : إن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأضطربت وما فيها ، فقال الله لها : إن أحسنت أجرتك وإن لم تأتيني بعثت بك . فقالت : لا . قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال له ذلك . فقال : قد تحسبها ، ولا يخفى أن عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال عرض تحيّر لا عرض إلزام ، ولو ألزمهم لم يمتنعن من حملها .

وقال القفال وغيره : العرض في هذه الآية ضرب مثل : أي أن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لتقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب ، أي أن التكليف أمر عظيم ، حقه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال ، وقد كُلفه الإنسان كما قال تعالى - ﴿ وحملها الإنسان ﴾ أي ألزم بحملها آدم بعد عرضها عليه في عالم الأدر عند خروج ذريته من ظهره ، وأخذ الميثاق عليهم ﴿ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ أي وهو في ذلك الحمل ظنوم لنفسه ، جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه .

وعن ابن عباس قال : عرضت الأمانة على آدم فقبل أخذها بها فيها ، فإن أطيعت غفرت لك ، وإن عصيت عذبتك . قال : قبلتها بها فيها ، فما كان إلا ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تدركه الله برحمته فتاب عليه وهدى . والأمانة مشتقة من الإيمان

فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه . قال ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له
ولا دين لمن لا عهد له » وقال الشاعر :

بألمن رضي الحياة مبيعاً وأزور عن صون الأمانة جانيه
ورفض الديانة . والمروءة فاغتدى تترى عليه من الزمان مصائبه

❦ ❦ ❦

وقال آخر :

أخلق بمن رضي الحياة شيمة إن لا يرى إلا صريح حواشي
عزالت الأراء ينزل يؤسها أبداً بغادر ذممة أو ناكث

❦ ❦ ❦

وقال رسول الله ﷺ : « يُطْبِعُ الْمُؤْمِنَ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ إِلَّا خُلُقَ الْحَيَاةِ
وَالْكَذِبِ » وقال رسول الله ﷺ : « لَا تَزَالُ أُتَى بِخَيْرٍ مَا تَرَى الْأَمَانَةَ مَعْتَبَةً
وَالصَّدَاقَةَ مَغْرَمًا » وقال ﷺ : « أَدْ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَكَ وَلَا تَحْزَنْ مِنْ
خَانِكَ » . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ
قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائْتَمَنَ
خَانَ » أي إذا ائتمته أحد بكلمة خائنه بإفشاءها للناس ، أو بوثيقه خائنه
بإنكارها وعدم حفظها أو استعمالها بغير إذنه . فحفظ الأمانة صفة الملائكة
المقرين ، والأنبياء والمرسلين ، وشيعة الأبرار المثقين ، قال الله سبحانه
وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَوْفُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ قال المفسرون :
هذه الآية مشتملة على كثير من أهميات الشرع ، والمخاطب بها عموم
المكلفين الولاية وغيرهم ، فيجب على الولاية إنصاف المظلوم وإظهار حقه
وذلك أمانة ، وحفظ أموال المسلمين لأسيما البتامة ، ويجب على العبداء

تعليم العوام احكام دينهم فهي امانة احتار لحفظها العلماء ، ويجب على
الاولاد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو امانة عنده . قال رحمه الله : « كلكم
راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

قال الأصم شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه في كتابه
« المعارف » : أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن
علي قال : أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الغروي قال : أخبرنا
أبو نصر عبد العزيز بن محمد التريفي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن
محمد الجراحي قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد الحنطوي قال :
أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال : حدثنا مسلم بن حاتم
الأنصاري قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن
زيد عن محمد بن الحسين قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال
في رسالته رحمه الله : « يا أيُّها الذي أدركت أن تصبح وتُمسي وليس في قلبك
غشٍ لأحد فضع ثم قال يا أيُّها الذي أدركت أن تصبح وتُمسي فضع
ومن أحيائي كان معي في الجنة » . وهذا أتم شرفاً ، وأكمل فضل أخبر
به الرسول ﷺ في حق من أحيأ شئته ، فالصوفية هم الذين أحيوا هذه
الشئنة ، وظهرت الصدور من الغل والغش عما أمرهم . وبذلك ظهر
جوهرهم وبك فضلهم ، وإيا قادروا على إحياء هذه الشئنة ونهضوا بواجب
حقها ثم ردهم في الدنيا وتركها على أربابها وظلّمتها ، لأن مثار الغل والغش
عبء الدنيا أو عبء الرفعة والمنزلة عند الناس ، والصوفية رهدوا في ذلك
كله . كما قال بعضهم : طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم
المزابل . فلما سقط عن قلوبهم عبء الدنيا وحُب الرفعة أصبحوا وأصوا

ويُرس في قلوبهم غش لأحد ، فقول القائل : كُنْتُ بِأَرْوَاحِهِمْ الْمُرَابِلِ
إشارة منه إلى غاية التواضع وإن لا يرى منه تمييز على أحد من المسلمين
لحقارته عند نفسه ، وعند هذا ينسُد باب الغل والغش ، ويجرت هذه
الحكاية فقال بعض الفقهاء من أصحابنا : وقع لي أن معي كُنْتُ
بأَرْوَاحِهِمْ الْمُرَابِلِ . أن الإشارة بالمرابِل إلى النفوس ، لأنها مأوى كل
رجس ونجس كالزبلة ، وكسها بنور الروح الموصل إليها لأن الصوفية
أرواحهم في محال القرب ونورها يسري إلى النفوس ، ويوصل نور الروح
إلى النفس تطهر وتطمئن ويذهب عنها المنعوم من الغل والغش ولحقه
والجسد ، فكأنها تنكس بنور الروح . وهذا المعنى صحيح وإن لم يرد
القائل بقوله ذلك ، قال الله تعالى في وصف أهل الجنة : ﴿ وَبَرَعْنَا مَا فِي
صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ .

قال أبو حمزة : كيف يبقى الغل في قلوب الثقات بالله ، وانفتحت على
محبه ، واجتمعت على مودته ، وانكست بذكره ، إن تلك قلوب صافية من
هواجس النفوس وظلمات الظلمات ، بل كجنت بنور التوفيق فصارت
إخواناً ، والخلق حجابهم عن القيام بإحياء سُنَّة رسول الله ﷺ قولاً وفعلًا
وحالاً صفات نفوسهم ، فإذا تبدلت النفس ارتفع الحجاب وصححت
المتابعة ، ووفقت الموافقة في كل شيء مع رسول الله ﷺ ووجبت المحبة
من الله عند ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يَعْبِدْكُمْ اللَّهُ ﴾ جعل متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد لله ، وجعل جزاء
العبد على محبة الرسول ﷺ محبة الله إياه ، فأوفر الناس حظاً من متابعة
الرسول ﷺ أوفرهم حظاً من محبة الله ، والصوفية من بين طوائف الإسلام

فَقَرُّوا بِحَسَنِ الْمَتَابَعَةِ لِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا أَقْوَالَ أَقْوَالِهِ فَقَامُوا بِهَا أَمْرَهُمْ وَوَقَفُوا عَمَّا
 تَهَامَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
 فَانْتَهُوا ﴾ ثُمَّ اتَّبَعُوهُ فِي أَعْمَالِهِ مِنْ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّهَجُّدِ
 وَالتَّوَاقُلِ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَرُزِقُوا بِبَرَكَةِ الْمَتَابَعَةِ فِي الْأَقْوَالِ
 وَالْأَفْعَالِ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ مِنَ الْحَيَاءِ وَالْحِلْمِ وَالصَّفْحِ وَالْعَفْرِ وَالرِّفْقَةِ
 وَالشُّفْعَةِ وَالْمَدَارَةِ وَالتَّصَبُّحَةِ وَالتَّوَاضُّعِ ، وَرُزِقُوا قِسْطًا مِنْ أَحْوَالِهِ مِنْ
 الْخَشْيَةِ وَالسَّكِينَةِ وَافْيَاءِ وَالتَّعَظُّيمِ وَالرِّضَا وَالنُّصْرَةِ وَالزَّهْدِ وَالتَّوَكُّلِ ،
 فَاسْتَوْفَوْا جَمِيعَ أَقْسَامِ الْمَتَابَعَةِ وَأَحْيَا سُنَّتَهُ بِأَقْصَى الْغَايَاتِ .

وَقَالَ سَيِّدُنَا السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرَّيفَاعِيُّ الْكَبِيرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ
 (التَّوْبَانِ) مَالَهُ : دَرَجُ السُّلُوبِ عَلَى الْحُدُودِ بِالْإِتِّجَارِ ، بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ
 يَتَجَاوَزُ الْحُدُودَ إِلَّا الْجَاهِلُ ؟ هَلْ يَدُوسُ عُنْدَهُ فِي الْجَنِّبِ إِلَّا الْأَعْمَى ؟ مَا هَذَا
 التَّطَاوُلُ ؟ وَذَلِكَ التَّطَاوُلُ سَاقِطٌ بِالْخَبَرِ ، سَاقِطٌ بِالْعِشْيِ ، سَاقِطٌ
 بِالنَّوْمِ ، سَاقِطٌ بِالْوَجْعِ ، سَاقِطٌ بِالْفَقَاةِ ، سَاقِطٌ بِالْهَرَمِ ، سَاقِطٌ بِالْعَتَاةِ ،
 أَيْ هَذَا التَّطَاوُلُ مِنْ صِنْعَةِ صَبَوْتِ (مَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) الْعَبْدُ مَتَى تَجَاوَزَ
 حُدُودَهُ مَعَ إِحْوَانِهِ يُعَدُّ فِي الْحَضَرَةِ نَاقِصًا ، التَّجَاوُزُ غَلَمٌ يَقْصُ يُنْشَرُ عَلَى
 رَأْسِ صَاحِبِهِ ، يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْدَعْوَى ، يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْغَفْلَةِ ، يَشْهَدُ عَلَيْهِ
 بِالرَّهْوِ ، يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِالْخُجَابِ ، يَتَحَدَّثُ الْقَوْمُ بِالنَّعَمِ لَكِنْ مَعَ مَلاحِظَةِ
 الْخَادِمِ الشَّرْعِيَّةِ ، الْخُفُوقِ الْإِلَهِيَّةِ تَقْطُنُهُمْ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ ، الْوَلَايَةُ
 لَيْسَتْ بِفِرْعَوْنِيَّةٍ وَلَا بِنِمْرُودِيَّةٍ قَالَ فِرْعَوْنُ : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ، وَقَالَ قَائِدُ
 الْأَوَّلِيَّةِ وَسَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ : « لَسْتُ بِمَلِكٍ » تَزِعُ تَوْبُ التَّعَالَى وَالْإِمْرَةِ
 وَالْفُوقِيَّةِ ، كَيْفَ يَتَجَرَّ عَلَى ذَلِكَ الْعَارِفُونَ ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ

أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿ وَصِفْ الْإِفْتِقَارَ إِلَى اللَّهِ وَصِفِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ عِلْمُ الْقَوْمِ ، تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ فَإِنَّ جَذَبَاتِ الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَلَّتْ ، أَصْرَفُوا الشُّكُورَ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، الْعَاقِلُ لَا يَشْكُو لَا إِلَى مُلْكٍ وَلَا إِلَى مُلْطَمٍ ، الْعَاقِلُ كُلُّ أَعْمَالِهِ لِلَّهِ ،

إِذَا سَاهَدَ مَاتَتْ نَفْسُكَ بِمَا فَعَلْتَهُ وَتَخَلَّفَتْ بِهِ خِلَافَةً لَكُمْ عَلَى ، إِذَا رَأَيْتُمْ وَاعِظُوا أَوْ قَاصُوا أَوْ مَدَرَسُوا فَحَذَرُوا مِنْهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ وَكَلَامُ أُمَّةٍ الَّذِينَ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَدْلًا وَيَقُولُونَ حَقًّا وَاطْرَحُوا مَنَازِلَهُ ، وَإِنْ أَتَى بِيَا تَمَّ بَابُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاضْرِبُوا بِهِ وَجْهَهُ ، الْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ كَانَ الْعِرَاقُ أَخَذَ الشَّيْخَ وَعِيَةَ الْعَرَفِيَّ ، مَاتَ الْقَوْمُ اللَّهُ اللَّهُ بِعَتَابَتِهِمْ ، اخْلَعُوا عَنْهُمْ بِحُسْنِ التَّخَلُّقِ ، اعْقِدُوهُمْ بِصِحَّةِ الْمَصْدَقِ ، لَا تَلْبِسُوا تَوْبَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ﴾ .

إِذَا رَخَّسُوا لَا تَحْمِلُونِي عَدَا بَيْنَ يَدَيِ الْعَزِيزِ سُبْحَانَهُ وَقَدْ سَبَقَكُمْ أَصْحَابُ الْأَعْمَالِ الْمَرْضِيَّاتِ ، كُلُّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفُسِ الْفَقِيرِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ إِيَّاكُمْ وَصَبَّحَ الْأَوْقَاتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ سَبَقَ إِنْ قَطَعَهُ الْفَقِيرُ فَطَعَهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا ذَكَرَ الرَّحْمَنَ تَقَرُّصًا لَهُ شَيْطَانًا ﴾ عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ فَإِنَّ الْأَدَبَ بَابُ الْأَرَبِ . انْتَهَى .

حُكِّيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ لَمْ يَحْرِفْ مَا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي

نفسه ، ولم يتأذّب بأمره ونهيّه كان من الأدب في عزلة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

وقد قال أئمة القوم : إن الوقوف عند حدود الله لا يتوصل إليه إلا بجناحي الخشية والخوف ، وقد بالغ القوم في ذكر الخوف وأطال الإمام الغزالي في تفصيل شأن الخوف فقال :

حال الخوف ينظم من علم وحال وحاصل ، أما العلم فهو العلم بالسبب المنطوق إلى المكروه ، وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في بئر فيخاف القتل مثلاً ويجوز العفو أو الإفلات ، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المنقضية إلى قتله ، وهو تفاحش جنابته ، ويكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً متفقاً ، ويكونه محضاً بمن جنته على الانتقام خالياً عما يتشفع إليه في حقه ، وكان هذا الخائف عاطلاً عن كل وسيلة وحسنة تحرم أثر جنابته عند الملك ، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب بسبب نفوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب بضعف الخوف ، وقد يكون الخوف لا عن سبب جنابة قارئها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراض غالباً وإن كان الافتراض بالاختيار ، وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه يعمل على السيلان والإغراق وكبد النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحترائ القلب وتألمه وتلك الاحترائ هو الخوف ، فكذا الخوف من الله تعالى نارة يكون لمعرفة الله ومعرفة صفاته وأن لو أهدك

العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع - وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي ، وتارة يكون بهما جميعاً ، وبحسب معرفته بعبود نفسه ومعرفته بجلال الله وتعاليه واستغاثته وأنه لا يسأل عما فعل تكون قوة حوجه فأخوف الناس لمرية أعرفهم بربه ونفسه ، ولذلك قال ﷺ : « أما أخوفكم لله ، ولذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . ثم إذا كملت المعرفة أوزنت حال الخوف واحترق القلب ، ثم يغيب أثر الحرق من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات ، أما في البدن بالنحول والصفار والفضية والرعقة والبكاء وقد شئت به المראה فيغطي إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يقوى فيوزن التقنوط واليأس ، وأما في الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات تلافياً لما حرق واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكي ويصح عليه ، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه ؟

وقال أبو قاسم الحكيم : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه . وقيل لذي النون - من يكون العبد خائفاً ؟ قال : إذا نزل نفسه منزلة الحقيم الذي يحتمي بخافة طول السقم ؟

وأما في الصفات فهو أن يفتح الشهوات ويكدر المذات فتصير المعاصي المحسوبة عنده مكروهة ، كما يصير العمل مكروهاً عند من يشتهي إذا عرف أن فيه شيئاً فاحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والمذلة والاستكانة وينافقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب أهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره . ولا يكون له شغل إلا اتراقة والمحاسبة والمجاهدة والضمة بالأنفاس

واللحفظات ، ومذاخنة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات ، ويكون حاله حال من وقع في محالب سمع ضاري لا يدري أنه يغفل عنه غفلت أو يهجم عليه فيهلك ، فيكون ضامره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا مشغع فيه (غيره) ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه ، وهكذا كان جماعة من الصحابة والتابعين ، وقوة المراقبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحترافه ، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى وصفاته وأفعاله وبعبوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأحوال ، وأقل درجات الخوف ما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع المحظورات ويسمى الكف الخاضع عن المحظورات ورعاً ، فإن زادت قوته كف عما يطرق إليه إمكانية التحريم ، فكيف عما لا يتيسر أيضاً بجرائمه ويسمى ذلك تقوى الله ، إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وقد جمعه إلى أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى ، فإذا انضم إليه التجرد في الخدمة قصار لا يبنى ما لا يسكنه ، ولا يجمع ما لا يكتبه ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه فهو الصدق ، وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً ، ويدخل في الصديق التقوى ، ويدخل في التقوى الورع ، ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فإذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام وينجده له بسبب الكف إسم العفة ، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فإنه إسم للكف عن المحظور والشبه جميعاً ، ووراء إسم الصديق والمقرب ونجوى الرتبة الأخيرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم ، فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل إما أنك تقول الإنسان إما عربي أو

عجبي والعربي إما قرشي أو غيره ، والقرشي إما هاشمي أو غيره ،
 والهاشمي إما علوي أو غيره ، والعلوي إما حسبي أو حسيني ، فإذا ذكرت
 أنه حسبي مثلاً فقد وصفته بالجميع ، وإن وصفته علوي وصفته بما فوقه مما
 هو أعم منه ، وكذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه متفي وورع
 وعفيف ، فلا ينبغي أن يظن أن كثرة هذه الأسمي تدل على معاني كثيرة
 متباينة فيختلط عليك كما يختلط على كل من طلب التعان من الالتفاف ولم
 يتبع الالتقاط المعاني ، فهذه إشارة إلى مجاميع معاني الخوف وما يمكنه من
 جانب العلم كالمعرفة الموجبة له ، ومن جانب السفلي كالأعمال الصادرة منه
 كفاً وإقداماً .

وقال الإمام اھمام شيخ الإسلام الشيخ عبد العزيز النذيري رضي الله
 عنه في كتابه (طهارة القلوب) في شأن الخوف والخشية وحال أهله رضي
 الله عنهم في قول الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
 قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رُءُوسِهِمْ سُجُودٌ ﴾ المؤمن
 حقاً من كانت هذه صفاته ، الوجل عند ذكر الله ، والخشوع عند سماع
 كتاب الله ، والتوكل على الله ، ولزوم طاعة الله ، والجود بما أعطاه الله ،
 وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يدخل النار من بكى من
 خشية الله حتى يبلغ اللبن في الضرع » وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل
 النار من سهرت في سبيل الله » لا يدخل النار من غضبت عن معارم
 الله ، لا يدخل النار من بكى من خشية الله ، قرأ عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ ﴾ ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ ﴿ خَرُّوا
 سُجَّدًا عَلَيْهِ » وسمع مرة أخرى فقرأ سورة الطور فوقف فلما بلغ قوله

تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَّالَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ استند إلى الحائط ساعة ، وذهب إلى منزله فعرض شهراً والناس لا يدرون سبب مرضه ؛

وكان سليمان التوري إذا جلس مع الناس كأن النار أداخت به لما يرى من شدة خروجه وجرحه ؛ ولما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ صنع سليمان الفارسي مبة ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام ؛ وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : أبكوا فإن لم تشكروا فبئسكم ، فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلّى حتى يتكسر صلبه ؛

واجتمع أصحاب الحديث يوماً على باب الفضيل رجع الله فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ويرجف فقال : عليكم بالقرآن ؛ عنكم بالصلاة ؛ هذا زمان بكاء ونضج ؛ وعداء كدعاء العريق ؛ هذا زمان احفظ لسانك ؛ واخف مكانك ؛ وعالج قلبك ؛ وخذ ما تعرف ودع ما تذكر ؛ وبعد أخذ الفضيل من حديث عتبة بن عامر لما ذكر النبي ﷺ اختلاف الزمان ، فقال : ما النجاة ؟ بإسول الله ، قال : « أسك عليك لسانك ولسعك يثك وايتك على خطيئتك » وكان الفضيل يوماً يمشي فقبل له إني أين ؟ قال : لا أبري . وكان والهاً من الخوف ؛

ووقف قوم يعاهد وهو يبكي فقالوا له : ما يبكيك . قال : روعة مجدها الخائفون في قلوبهم . قالوا : وما هي . قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقضت عليه أنها رأته في المنام كأن الصراط قد مدّ على جهنم وهي تفر على أهلها ، وذكرت أنها رأته رجلاً مزمواً على الصراط فأخذتهم النار ، قالت : ثم رأيتك بالمرير

المؤمنين قد جيء بك فوق عمر معشياً عليه وبقي زماناً يضطرب وهي
تصبح في أذنه رأيتك والله قد نجوت . قال أبو عاتق : شهدت ثلاثين
رجلاً أتوا إلى مجلس الذكر صباحاً فتصدعت قلوبهم من خشية الله فأتوا
كلهم في مجلس واحد

قُبُوراً عليّ حديث من قتل الهوى إن الساسي روح كل حزين



قال منصور من عاد دخلت الكوفة فبينا أنا أمشي في ليلة مظلمة إذ
سمعت بكاء رجل بصوت شجي من داخل دار وهو يقول : إلهي وعزتك
وحلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ولكن عصبك بجيلي . فالآن من
عذابك من يستغفني . وبجل من اعتصم إل قطع حبلك عني .
واديعة وأغنياء يا الله قال منصور . فأتاكى كلامه وبكائه فوقعت
وفرات ❦ يا أيها الذين آمنوا اتقوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون ❦ فسمعت للرجل اضطراباً شديداً وصباحاً فوقفت حتى انقطع
البصوت ومضيت . فلما أصبحت أتيت إلى الدار فوجدت الرجل قد مات
والناس في تجهيزه وعجزوا تبكي هنأت عنها ؟ فقبل لي هي أمه فتقدمت
إليها وسألته عن حاله ؟ فقلت : كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكتسب
الحلال فيشتم كسه أثلاثاً ثلث يخطر عليه وثلث ينفقه عليّ وثلث يتصدق
به . فلما كان البارحة مر به إنسان وهو يقرأ آية من القرآن فطارق الدنيا .

وسمع مروق بن محمد قارناً يقرأ ❦ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً
ونسرق المجرمين إلى جهنم وردا ❦ فشقق شهقة لحق منها الأعيرة . وسمع

يحيى التمسك رجلاً يقرأ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ ففصاح صحيحة
مرضى منها أربعة أشهر يُعاد من أطراف البصرة .

ولقد قيل إن الخائفين على مراتب ، تحقّق المعارف إجلال وتعظيم لما
غلب على قلوبهم من ذكر جلال الله عزّ وجلّ وعظمته من غير فكر في شيء
من أفعاله ؛ وهذا خوف الأنبياء والملائكة وخوفاً الأولياء .

وأما خوف أكثر المؤمنين فلذكر الوعد والوعيد وأحوال القيامة مع فكرتهم
في الجنائيات والتفريق وأثامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات الباطنة
ما يرمو على المعاصي الظاهرة كالعجب والرياء والحسد والكبر ونحوها ، فإن
وأشد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة ، فإن
العد لا يدري هل سبق له في علم الله السعادة أو الشقاوة ؟ والخاتمة تجري
على ما حوت عليه السابقة ، فمن سبق له في علم الله السعادة ختم له بخاتمة
الإيمان ، ومن سبق له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الكفر
والخذلان ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ وقال
رسول الله ﷺ : « يصبح الرجل مؤمناً ويصبي كافراً ويمسي مؤمناً
ويصبي كافراً » وأكثر ما يكثر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات
الباطنة والظلمة المجاهرين بالمعاصي ، فمن كان في ظاهرة الصلاح ومكر
به فلاقات باطنة . وقال سهل بن عبد الله : خوف الصديقين خوف سوء
الخاتمة عند كل خطرة وحركة . وكان سفيان الثوري كثير البكاء والجزع
فقيل له يا أبا عبد الله : عنيت بالرجاء فإن خوف الله أعظم من ذنوبك .
فقال : أو على ذنوبي أبكي ؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال
بأمثال الجبال من الخطايا . ومرضى بعض العارفين فقال لبعض إخوانه :

تقعده عند رأسي حتى أموت فإن متَّ على الإسلام فاشترى بجميع ما أملكه
لوزاً وشكراً وفرقة على صبيان البلد ، وقيل هذا عرس فلان ، وإن لم يكن
كذلك فأعلم الناس حتى لا يفتروا بجنازي ، فقعده عند رأسه حتى مات
عن الإيمان فاشترى اللوز والشكر وفرقة على صبيان البلد ، هذه كان خائفاً
مسلم ، ومن لم يخف من سلب الإيمان فهو على خطر . وشكى نبي من
الأنبياء الجوع والفقر إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه : عبدي أنا
رحيت أن عصيت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا ؟ فأخذ المزاب
ووضعه على رأسه وقال : يي يارب قد رضيت . ويقال في قول الله تعالى
إخباراً عن أهل الجنة : ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ﴾ أي وكنا ونحن
في الدنيا من أهلنا خائفين مشفقين من سوء الخاتمة ﴿ فمن الله علينا ووفانا
عذاب السوم ﴾ أي منَّ علينا ووفانا على الإيمان .

وكان علي بن أبي النجم يكي ويقول : اللهم إن ابتليتني بكل معصية
فلا تهتلي بأن أجحدك فتخدلني في النار . وكان حبيب المعجمي يكي
ويقول : من ختم له بلا إله إلا الله دخل الجنة ثم يكي ويقول : ومن لي
بأن يختم لي بلا إله إلا الله ؟ هذا ما قرره العارفون في أصل أركان
الطريق .

ويعجبني ما أجده الإمام الكبير مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي الله
عنه بقوله في كتابه (البرهان المؤيد) : الطريق واضح صلاة وصوم وحج
وزكاة وانسرحيد والشهادة بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام أول
الأركان وهذا هو الطريق .

فإذا أتى الرجل طريقه على أركان الإسلام الخمسة المذكورة واجتنب

محارم الله هيئت له نسائم القرب ، فطاروت بقلبه إلى حضرة الرب :

أشمت منك نسياناً لمحت اعسرفه أظن ليته جرت فيك أوداننا
أرى شؤونك فيها أنت تقبله كأن حُسنك فيه ظلُّ سكنا



هذا أصل الطريق المبارك وإنما اختلاف طرق أهله رضي الله عنهم فإنا
مثاله كأناس يدخلون الحرم المكي يقصدون الكعبة المشرفة من أبواب
متعددة فطرقهم والأبواب التي طرقيها مختلفة ومقصدهم واحد ، وكذلك
القوم رضي الله عنهم ، اجتمعوا محارم الله وانتشلوا أومره وقاموا بإحياء سنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ونهضوا بواجبات حقوقها ، إلا أن منهم من تغلب
عليه الطالع من طريق الصوم ، ومنهم من تغلب عليه الطلب من طريق
الصلاة ، ومنهم من طريق الذكر ، ومنهم من طريق الفكر ، وهذا معنى
مأذكر من أن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق .

ويعجبني ما ذكره جدها الخامس السيد العارف بالله الشيخ حسين برهان
الدين الرفاعي الصيادي رضي الله عنه حين سُئل عن أقرب الطرق إلى الله
فقال للسائل : الطريق إلى الله الشرع ، وأما ما سمعت من الطرق إلى الله
بعدد أنفاس الخلائق مثلك فطرق الضلّال الداخلين في دائرة الشرع كقول
المتأمل : « الله » يقبوله عند قومه ، أو كصلاة في جوف الليل وقوله
عندها ، أو كصدقة وغير ذلك ، فإذا شرعت فذلك دخلت حبة في
دائرتها تجد الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق .

شريعة المختار للطرائق	دائرة تجمع للحقائق
بعدد أنفاس الخلائق انطوت	طرائق الوصول بها للمخاليق



وقال سيدنا ومفتونا الغوث الأكبر مولانا السيد أحمد الرفاعي الأشهر رضي الله عنه في (برهانه) الأولياء قناطر الخلق يعبر المرفقون عليهم إلى الله تعالى ، أولئك العاملون المخلصون الخالصون استخلصهم تعالى لعبادته ، وقربهم من حضرته ، فها حجب قلوبهم حجاب الغين طرفة عين ، أخرجوا البين من البين ، أقاموا طلائع الكتم على الأسرار ، وقاموا الليل وصاموا النهار ، بعضهم غلب عليه الفكر ، وبعضهم غلب عليه الذكر ، وبعضهم جمع ثنات الأمر ﴿ رجال لانتهيتهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ أوصيكم كل الوصية بعد علم واجبات الدين بصحبتهم فإب تزيق مجرب ، عندهم رأس الأمر كله ، عندهم العبد والعطاء ، والذوق والوفاء . والتجرد من الدنيا ، والتجرد من الآخرة ، والتجرد إلى الحولي ، وهذه الحصا لا تحصل بالقراءة والدرس والمجالس لا تحصل إلا بصحبة الشيخ العارف الذي يجمع بين الحال والمقال ، يدل بقوله ، وينهض بحاله ﴿ أولئك الذين عداهم الله فبهذاهم اعتده ﴾ .

وذكر العارف بالله الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتابه (العوارف) تفصيلاً حسناً في اختلاف طرقهم رضي الله عنهم فقال : قوم من الصوفية حُصُوا بالاجتناب الصُرف ، وقوم منهم حُصُوا بانطباع بشرط مقدمة الإنابة ، فالاجتناب المحض غير معلى بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد بباديه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه سبق كشوفه اجتجاده ، وفي هذا أحد بطائفة من الصوفية رُغبت الحجب عن قلوبهم بربادهم سطوع نور اليقين ، فثأر مازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال ، فأنجلوا على الأعمال بالدانة والغيث فيها قرة أعينهم ، فسهل

الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذهاب النازل بهم من
صفر العرفان فحصل وعبد فرعون ﴿ فقالوا لن نُؤثرك على ما جاءنا من
البيّانات ﴾ قال جعفر الصادق : وجد روح العناية القديمة بهم فالتجّسّسوا
إلى السجود شكراً ﴿ وقالوا آمنا برب العالمين ﴾ أخبرنا أبو زرعة طاهر بن
أبي الفضل إجازة قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف إجازة قال :
أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت منصوراً يقول : سمعت أبا
موسى الرضائي يقول : سمعت أبا سعيد الخراساني يقول : تهل الخالصة
الذين هم المرادون تولاهم الله تعالى وأكمل لهم النعمة وعيّن لهم الكرامة
فأسقط عنهم حركات الطلب ، فصارت حركاتهم في العمل والخدمة على
الألفة والمذكر والتنعيم بمناجاة والانفراد بقربه ، وهذا الإسناد إلى أبي
عبد الرحمن السلمي قال : سمعت علي بن سعيد يقول : سمعت
أحمد بن الحسن الحصري يقول : سمعت فاطمة المعروفة بجبريرة تلميذة
أبي سعيد تقول : سمعت الخراساني يقول : المراد محمول في حاله ، معان على
حركاته ومعينه في الخدمة ، مكفي مصون عن التواهد والتواظف ، وهذا
الذي قاله الشيخ أبو سعيد هو الذي أثبتته حقيقته على طائفة من الصوفية
ولم يقنّوا بالإكثار من التواظف ، وقد رأوا جمعاً من المشايخ قلّت نوافلهم
فقطّسوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ، ولم يعلموا أن الذين تركوا
التواظف واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين ، فلما
وصلوا إلى روح الحقائق وأدركتهم انكشاف بعد الاجتهاد امتنّوا بالخال
وطرحوا نوافل الأعمال ، فأما المرادون بقى عليهم الأعمال والتواظف وفيها
قوة أعينهم وهذا أنهم أكمل من الأول ، فهذا الذي أوضحناه أحد طريقتي
الصوفية :

فَمَا الطَّرِيقُ الْآخَرُ صَرِيقُ الْمُرِيدِينَ وَهُمْ الَّذِينَ شَرَطَ لَهُمُ الْإِنَابَةُ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ طَوَّنُوا بِالْاجْتِهَادِ أَوَّلًا قَبْلَ الْكَشْفِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ يَدْرَجُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَدَارِجِ الْكُتُبِ بِأَنْوَاعِ الرِّيَاضَاتِ وَالْمَجَاهِدَاتِ وَسَهْرِ الدِّيَاحِرِ ، وَظُلْمِ الْمَوَاجِرِ ، تَتَاجَعُ فِيهِمْ بَرَاثَةُ الطُّلُبِ ، وَتُنَحْجِبُ دُونَهُمْ لَوَاعِجُ الْأَرْبِ ، يَتَقَلَّبُونَ فِي رَمَضَاءِ الْإِرَادَةِ ، وَيَنْخَلَعُونَ عَنْ كُلِّ مَأْلُوفٍ وَعَدَةٍ ، وَهِيَ الْإِنَابَةُ الَّتِي شَرَفَتْهَا أَحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُجْمُ وَجَعِلَ الْهَدَايَةَ مِنْ مَغْدِقَاتِهَا ، وَهَذِهِ الْهَدَايَةُ أَنْفَاقُ هَدَايَةٍ خَاصَّةٍ لِأَهْلِ هَدَايَةِ إِلَيْهِ غَيْرِ الْهَدَايَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي هِيَ التَّهْلُكَةُ إِلَى أَمْرِهِ وَفِيهِ بِحَقْتَضَى الْمَعْرُوفَةِ الْأَوَّلَةِ وَهَذَا حَالُ السَّائِكِ الْمَحْبِبِ الْمُرِيدِ ، فَكَانَتْ الْإِنَابَةُ عَيْنَ الْهَدَايَةِ الْعَامَّةِ فَتُزَمُّرُ هَدَايَةُ خَاصَّةٍ ، وَاعْتَدُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ اعْتَدُوا لَهُ بِالْكَابِدَاتِ فَخَلَعُوا مِنْ مَضِيقِ الْعُسْرِ إِلَى فُضَاءِ الْبُسْرِ ، وَبَرَزُوا مِنْ وَهْجِ الْاجْتِهَادِ إِلَى رُوحِ الْأَحْوَالِ خَبِقَ الْجَهَادُهُمْ كَشُوفُهُمْ ، وَالْمَرَادُونَ سَبَقَ كَشُوفُهُمْ اجْتِهَادُهُمْ .

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الثَّقَفَةُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ حُدَّ بْنَ أَحْمَدَ قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الْخَرِيرِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ يَقُولُ : مَا أَخَذَنَا التَّصَوُّفُ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَلَكِنْ عَنِ الْجُوعِ وَتَرْكِ الدُّنْيَا وَقَطَعَ الْمَأْتُلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خُزَيْفٍ : الْإِرَادَةُ سَمُو الْقَلْبِ لِقَابِ الْمَرَادِ ، وَحَقِيقَةُ الْإِرَادَةِ اسْتِدَامَةُ الْجَدِّ وَتَرْكِ الرَّاحَةِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : الْمُرِيدُ الَّذِي مَاتَ قَلْبُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ يُرِيدُ اللَّهُ وَحْدَهُ ،

ويريد قرنه ، ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه . وقال أيضاً : عشوة قلوب المريدين أن يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أخذادها . فهذان الطريقتان يجسمان أحوال الصوفية ودونها طريقتان آخران ليسا من طرق التحقيق بالتصوف ؛ أحدهما مجذوب أتر على جذبه سارة إلى الاجتهاد بعد الكشف ، والثاني مجتهد متعبد ماخلص إلى الكشف بعد الاجتهاد ، والصوفية في طريقهم بأن يزيدهم وصحة طريقهم بحس المتابعة ، ومن قلن أن يبلغ غرضاً أو يظهر بمراد لا من طريق المتابعة فهو غيول مغرور .

أخبرنا شيخنا أبو النجيب السهروردي قال : أخبرنا عظام الدين عمر بن أحمد الصفار قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن قال : سمعت فضيل بن أبي نصر يقول : سمعت فيلاً غلام الرقاق يقول : سمعت أبا سعيد السكري يقول : سمعت أبا سعيد الخراساني يقول : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . وكان يقول الجنيب : علمنا هذا مشبك بحديث رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : من أقر أنثى على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ، ومن أقر الخوى على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالبدعة .

حكى أن أبا يزيد السطامي قال ذات يوم لبعض أصحابه : قم بنا حتى نطرح إلى هذا الرجل البصري فندشوه نفسه بالولاية ، وكان الرجل في ناحية مقصوداً مشهوراً بالزهد والعبادة قال فمضينا ، فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بصاقه نحو القبلة ، فقال أبو يزيد : انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه ، وقال : هذا رجل ليس بعامون على أدب من آداب

رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على مايلذعه من مقامات الأولياء
والصديقين ؟

وسئل خاتم السجلي ماذا رأيت منه عند موته ؟ فقال لما أمسك لسانه
وعرف جبينه أشار إلي أن وضعتي للمصلاة فوضته فتسبت تخليل لحية
فقبض على يدي وأدخل أصابعي في حية يخلها !

وقال مهمل بن عبد الله : كل وجيد لا يشهد له الكتاب والسنة باطن
هذا حال الصوفية وطريقهم ، وكل من يدعي حالاً على غير هذا الوجه
فمدح مفتون كذاب .

ومن الطائفة المباركة الصوفية قوم يقال لهم الملامية ، قال في
المعارف . أخبرنا أبو زرعة إجازة قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن
خلف إجازة قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن قال : سمعت أبا عثمان المغربي
يقول : الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ محال ، وهذا إخلاص
انعزام ، وإخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدوا منهم المطاعات
وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك إخلاص
الخواص ، وهذا الذي فضله الشيخ أبو عثمان المغربي يفرق بين الصوفي
والملائي لأن الملائي أخرج الخلق عن عمله وحالته ولكن أثبت نفسه فهو
مخلص ، والصوفي أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص
وثنان ما بين المخلص والمخلص . قال أبو بكر الزقاق : نقصان كل
مخلص في إخلاصه رؤية إخلاصه ، فإذا أراد الله أن يخلص إخلاصه
أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصاً . قال أبو سعيد
الخرزاز : رياء العارفين أفصل من إخلاص المريدين ، ومعنى قوله لأن

الإخلاص معلول برؤية الإخلاص ، والعارف منزأ عن الرباء الذي يطل العمل ، ولكن لعنه يظهر شيئاً من حاله وعلمه بعلم كامل عبده فيه لجذب مرید أو معاناة الخلق من أخلاقي النفس في إظهاره الحال والعمل ، وللعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ناقص العلم صورة رياء وليس مرید ، إنما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه .

قال رويس : الإخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضاً في الدارين ولا حظاً من الملکین . وقال بعضهم : صدق الإخلاص سريان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق ؛ والملائي يرى الخلق فيحتمى عمله وحاله وكل ما ذكرنا من قبل وصف إخلاص الصوفي . ولهذا قال الزقاق : لا بد لكل شخص من رؤية إخلاصه وهو نقصان عن كمال الإخلاص ، والإخلاص هو الذي يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتي به على النمام . قال جعفر الخليلي : سألت أبا القاسم الجنيد قلت : بين الإخلاص والصدق فرق . قال : نعم ، الصدق أصل وهو الأول ، والإخلاص فرع وهو تابع وقال : بينهما فرق لأن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل ، ثم قال : إنما هو إخلاص ومخالصة الإخلاص ، ومخالصة الكاشفة في المخالصة ثمرة مخالصة الإخلاص وهو حال الصوفي ، ومخالصة الكاشفة في المخالصة ثمره مخالصة الإخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق في العین عن الآثار ، والتخلص عن لوث الاستدار ، وهو نقد حال الصوفي ، والملائي حقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة

خلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتي والصوفي ، ولم يزل في خراسان منهم طائفة وهم مشايخ يمهّدون أساسهم ويعرّفونهم شروط حياتهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم ، وقيل ما تقدّم أول السنة أهل العراق هذا الاسم . حكى أن بعض الملامية استدعى إلى سماع فامتنع فقبل له في ذلك قال : لاني إن حضرت يظهر عليّ وجد ولا يؤثر أن يعلم أحد حالي . وقيل إن أحد بن أبي الخوارزمي قال لأبي سليمان اندازني : إني إذا كنت في الخلوة أجد لعلامتي لذة لا أجدّها بين الناس . فقال له : إنك إذا ضعيف . فاللامتي وإن كان متمسكاً بعروة الإخلاص مستترشاً بساط الصدق ولكن عليه بقية رؤية الخلق ، وما أحسنها من بقية تحقيق الإخلاص والصدق ، والصوفي صفي من هذه البقية في طريقي العمل والترك للمخلوق وعزهم بالكلية وراهم بعين الفناء والزوال ولاج له باصية التوحيد وعابن سرّ قوله تعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ كما قال بعضهم في بعض غلباته . ليس في الدارين غير الله ، وقد يكون وجه إخفاء الملامتي الحال على وجهين ، أحد الوجهين لتحقيق الإخلاص والصدق ، والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره ، فإن من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره اطلاع أحد عن شيء لمحبوبه . وهذا وإن علا فإنه في طريق الصوفي علة ونقص ، فعلى هذا يتقدم الملامتي على المتصوّف ويتأخّر عن الصوفي ، وقيل : إن من أصول الملامية أن الذكر على أربعة أقسام ، ذكر باللسان وذكر بالقلب يذكر بأمر وذكر بالروح ، فإذا صحّ ذكر الروح سكنت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة ، وإذا صحّ ذكر السر

سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الخفية ، وإذا صبح ذكر القلب
فقر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء ، وإذا غفل القلب عن
الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ، وتكل واحد من هذه
الأدكار عندهم آفة ، فآفة ذكر الروح أطلاج السر عليه ، وآفة ذكر السر
أطلاج القلب عليه ، وآفة ذكر القلب أطلاج النفس عليه ، وآفة ذكر
النفس رؤية ذلك وتعظيمه أو طلب ثواب به أو ظن أنه يحصل إلى شيء من
المقامات به ، وأقل الناس قيمة عندهم من يريد إظهاره وإقبال الخلق عليه
بذلك ، وممر هذا الأصل الذي بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات ،
وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم ، وذكر القلب من الآلاء ، والنعماء ذكر
أثر الصفات ، وذكر النفس منحصر للمعاملات ، فحصى قوهم أطلاج السر
على الروح يشيرون إلى التحقق بالقناء عند ذكر الذات ، وذكر الخفية في
ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الخفية وهو وجود الخفية ، ووجود
الخفية يستدعي وجوداً أو بقية وذلك يناقض حال القناء ، وهكذا ذكر السر
وجود خفية وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب ، وذكر القلب الذي
هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر بعدم ما لأنه اشتغال بذكر النعمة وفهول عن
المعنى ، والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطي ضرب من بُعد المسئلة
وأطلاج النفس نظر إلى الأعوان من اعتماد بوجود العمل وذلك عين
الاعتلال حقيقة ، وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض والله
أعلم ،

ومن هذه الطائفة المباركة أيضاً قوم يقال لهم أهل التجريد ومقامهم هذا
تجريد النفس عن علائق الأكوان ، فلا ينصرف أحدهم إلى غرض من

الأغراض ولا إلى شأن من الشؤون الكونية . ولا يطلب مقاماً ولا يعول
على إرادة منزلة من المنازل ولا على مرتبة من المراتب .

وقد تمكن في هذا الشأن سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه
وقد نقل في شأنه صاحب (سواد العجائب) مولانا الشيخ عبد الكريم
الرفاعي القروي «أنه : سألت الشيخ العارف بالله ركن الدين بن
نهبان الشيماني عن سبب اشتهاه السيد أحمد الرفاعي بأن العالمين ؟
قال : لأن علم الغوثية العظمى والفطرية الكبرى رُفِعَ له مرتين في
الأكراد ، وهو أن الغوث أحمد بن خليف البلخي الحسيني فزِيلَ ببغداد لما
مات رُفِعَ لواء الغوثية للسيد أحمد الكبير فوقف في باب الله وتذلل وتقليل
على عبدة جده رسول الله ﷺ وقال : الغوث الغوث فقل الحق منه مقامه ،
فتمكن في مقام غوثيته بالتزويج إلى ماهو فوق الغوثية والفطرية فَرُفِعَ لواء
الغوثية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو في صحراء العراق وله من العمر
خمسة وثلاثون سنة ، فأقام ببغداد وظهر أمره لأنه لما أُخرج من بلدته جيلان
بلدة من بلاد العجم كان عمره عشرين سنة . وقيل ثمان عشرة سنة ،
فمكث خمساً وعشرين سنة متجراً سائحاً في صحاري العراق وبلادهم ثم
صار يأتي إلى بعض العسورات . فالتغل بالقيام أربعين سنة بصلي
الصبح بوضوء العشاء ، وكان في هذه الأربعين سنة يأتي تارة إلى المنابر
وأخرى يذهب إلى البصرة ، ومكث منها إحدى عشرة سنة مقيماً في البرج
المسمى برج العجمي خارج سور بغداد وإقامته فيه سُمِّيَ برج
العجمي ، ثم توفي الخضر ثم أمر الشيخ أبو سعيد المخزومي بولائه
الخرقة فألبسه إياها وأدخله بغداد ، وقد كان مع كل مجاهداته يحسن

التلّفي عن العلماء وبعد أخذ العلوم الشرعية سلوكاً ، فمادخل بغداد إلا وهو على جانب عظيم من العلم ، ولقد بجيلان بكسر الجيم وهي بلاد متفرقة وراء طهران في سنة سبعين وأربعمائة ، وتفقّه بأي الوقاء على بن عقيل وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوزاني وأبي الحسين عماد بن القاضي أبي يعنى ، وأخذ عنهم الطريقة عن شيعه الشيخ المعارف حماد الديلمي صاحب التبليغ منصور البقائحي الرياني خاله الأستاذ السيد أحمد الرفاعي ونسب الطريقة من يد القاضي أبي سعيد بن المبارك المحزومي وتعلّقت به القنوب وعسري الصحاري ، فكانت نظير إليه بأجنحة الأسواق ، لما قام له من خمس الفين أيام سلوكه عند أهل العراق ، فلما دخل بغداد وبسجته الموهبة الأزلية رتبة الغوثية أقيمت الدنيا تحت رجليه وبين يديه وعلا صوته وكبر شأنه . قال الشيخ أبو عبد الله الهروي : أمر الشيخ بالزواج حالة سلوكه ففعل وأقام بعياله وأولاده على حال التجريد والفقير ، فلما دخل بغداد طاول الخليفة صولة ودولة وقد خدمته حان تجريده مدة أربعين سنة فكان يصلي الصبح بوجوه العشاء ، وتصلر على بساطة الغوثية العظمى ثمان سنين على الصحيح وقيل سناً ، وتوفي في بغداد سنة إحدى وستين وخمسةائة عن إحدى وتسعين سنة فرفع عن الغوثية والتصرف في الأكاوان مرة ثانية تليسه أحد الرفاعي ، فوقف على الباب فأحاط به الداء من كل جانب يقول له ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ فلزم الباب عتلاً وامتدت مدة غوثيته الثانية ست عشرة سنة وأشهر على الصحيح فلهاذا اشتهر بين أولياء الله في الكوثين بابي الغلنين . انتهى .

وقد نقل هذا التمكن عن سيدنا الإمام علي الرضا بن سيدنا الإمام

موسى الكاظم رضي الله عنهما فإنه تحقق هذا المقام تحقّقاً كاملاً . وكان
 من أصحاب هذا الشأن إمام الصوفية سيدنا الإمام الحنيد البغدادي رضي
 الله عنه ، وقد انتسب لهذا المقام الشيخ أبو السعود بن الأشبل قدّس سرّه
 إلا أنه لم يدرب به في مقامه هذا محور التصرف كالإمام الحنيد والإمام الرقاعي
 والنسب الصالح من أجداده أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم بل بقي
 الشيخ أبو السعود في مقام الإعراض عن التصرف ولم تخلع عليه خلعتَه ،
 وعلى كل فهو أكمل مقاماً ممن يقبل مبشراً على التصرف زاهياً بخلعته .
 وقد ذكر الإمام الشعراني في كتابه الجواهر والدرر مانتبه : سألت شيخنا
 رضي الله عنه عن أن آخر فوت عامي ؟ فقال رضي الله عنه : إن كنت
 على بصيرة أنه فوتك وحذرك ليس لأحد فيه شيء ، فأخبره ، وإن كنت على
 طم في ذلك فلا تدخر ، ثم إذا أخرت فلا تجلو إما أن يكون الأخيارك عن
 امر إلهي فانت عيّد محض والواجب عليك الوقوف على حد ما أمرت به ،
 وإما أن يكون الأخيارك عن اطلاع أن هذا القدر المدخر لفلان لا يصل إليه
 إلا على يدك فتسكه هذا الكشف . فقلت له : فإن عرفت أنه لفلان
 ولا بد ولكن لم أطلع على أنه على يدي . فقال رضي الله عنه : إمساكك
 لنفسك هذا إنما هو لشع في الطبيعة وفرح بالموجود فلا ينبغي لك حينئذ
 إمساكه . فقلت له : فإن كشف لي أن ذلك المال مثلاً لا يصل لصاحبه إلا
 عن يدي في زمان معين ؟ فقال رضي الله عنه : أنت حينئذ بالخيار فإن
 شئت أمسكته إلى ذلك الوقت وإن شئت أخرجته عن يدك فإنك ما أنت
 حارس ولا أمرك الحق بإمساكه . وإذا وصل ذلك الوقت المعين فإن الحق
 تعالى يرده إلى يدك حتى توصله إلى صاحبه . وهذا أولى لأنك بين الزمانين
 تكون غير موصوف بالأدعز لأنك خزنة الحق تعالى ما أنت خازنه ،

وتفرغت حينئذ إليه وفرغت قلبك من غيره ، ثم قال رضي الله عنه : وهذا كان شأن الشيخ أبي السعود بن الشبل من أصحاب السيد عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنها ، فكان يقول : نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا . قلت : من الأدب قبله فقلت له : إني أسمع بالشيخ أبي السعود هذا فهل كان من الأكابر ؟ فقال رضي الله عنه : كان الشيخ عمي الدين رضي الله عنه يقول : الشيخ أبو السعود عندي أكمل من الشيخ عبد القادر ، وقد اطلعت على مقامات كثير من الرجال فما عرفت هذا الرجل قرار . انتهى .

ومن هذه الطائفة المباركة قوم اختطفهم إلى ساحة بساط الحق جوازيب المحبة والشوق والعشق فأذهلهم هذا التشنج بعد أداء الواجبات عن سلوك غيره من الطرقات ، فتارة تهب عليهم نسائم الجبال فتزههم واردة الدلائل ، وتارة تزعمهم عواصف رياح الجلال فتأخذهم من حال إلى حال ، إذا مشهم طائف تذكروا وإذا نظروا إلى المصنوعات اعتبروا ، هم كمال قبل فيهم - أمطرت عليهم سحبائب الأشجان ، وألغوا الركب والأبدان ، وسربلوا الخروف والأحزان ، وشربوا بكأس اليقين ، وراضوا أنفسهم رياض الشقين ، كحلوا أعينهم بالسهل ، وغصوها عن النظر ، وأزعموها البحر ، وأشعروها الفكر ، فقاموا ليهم أرقاً ، وبهذرت دموعهم فرقاً ، حتى ضنيت منهم الأبدان ، وتغيرت منهم الألوان . صحبوا القرآن بأبدان ساحلة ، وشفاء ذابلة . ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة . فحال بينهم وبين نعيم الشقيين ، وشغلهم عن مطامع الراغبين ، فاضت عبراتهم من وعيده . وشابت فرائضهم من هيبته ، فكانت زفرات إنذار تحت أقدامهم ،

وكان السعيد نصب قلوبهم ، جعلوا التراب لدجسته وسادا ، والركب
 مهادا ، جعلوا القرآن صراطهم المستقيم . وكان بهم إلى الخير داعيا ، وإلى
 النجاة دليلا هاديا ﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾
 اسمع صفات القوم ، بأسير الغفلة والنوم ، كان أيوب السجستاني يحيى
 الليل كله ، فإذا كان وقت الصبح رفع صوته كأنه قام في ذلك الوقت من
 النوم ؛ وهكذا إبراهيم التيمي عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء
 العشاء ، وكانت رابعة يحيى الليل كله ، ذهب السادة ، وبقي أهل
 الوعدة ، واشوقا إلى تلك الأرواح ، سلام الله على تلك الأشباح ، كان
 المصري يقوم من أول الليل إلى وقت السحر ثم يهضمي فيكي حتى يطلع
 الفجر ، كانوا مع الطاعات يهضمون ، وأنهم مع التفريط تضعفون ، هان
 بالله عليهم السهر لما علموا أن تلك يرهم . وسمع أصواتهم ﴿ الذي
 يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ أول نقدة في مهر المنة الضا
 والثلث بالبالا ، كان حسان بن أبي سنان كأنه سوط ، وكان إبراهيم بن
 آدم كأنه سفوف ، وكانت رابعة كأنها تن بالمر ، وكان سري قد يس
 جلده على عظمه .

جزى الله المسير إليه خيرا وإن ترك الميطايا كالمراد



كان داود الطائي ينادي في الليل هَمَّكَ عَقَلْ عَلَيَّ الحُوم ، وحال بيني
 وبين الرقاد ، وشوقي إلى ثقاك حال بيني وبين اللذات وأنا في سجنك
 يا كريم . صدق الحوم في الطلب فجاءت المعونة ، وفهروا أنفسهم فباتت
 مسجونه ، وزرعوا حب التقي وقاموا يسقونه ، ووجدوا نعمة ذكر مولاهم

فما طلبوا دونه ، إنهم ليستهون كي تستهون ، ولكن لأغية لهم دونه ،
يجهنهم ويخونه :

علل سقاماً بجسم أنت متلفه أبرد غراماً بقلب أنت مُضمره
ولا تكفني على بُعد السدبار إلى صري الضعيف نصري أنت تعلمه
نثر قلبي فقد أرسلته قداماً إلى لقالك والأشواق تضدمه



قال أبو جعفر الصمد : تمت في البرية يوماً فعطشت ووضعت فرايت
رجلاً واقفاً شتخصاً فأنحأ فاه ، فقلت له : ما هذه الوجفة ؟ فقال : مالئ
والدخول بين الموالى والعبيد ، ثم أشار بيده نحو الطريق فمشيت نحو
إشارته قليلاً وإذا أنا برغيفين ولحم حار وكور ماء بارد فأكلت وشربت ثم
رجعت إليه فقلت له : ما التصوف ؟ فقال : لا يج لاح فامسظم ،
وأنتباح ، إذا أقيقتهم الخوف ناحوا ، وإذا أعجبهم الوجد صاحوا ، وإذا
أدهشهم الحب ساحوا ، وإذا غلبهم الوجد باحوا .

وحرمه الود مالي عنكم عوض ليس لي في سوى لقياكم عوض
ومن جتوني بكم قالوا به مرض فقلت لأزال عني ذلك المرض



ويذكر صاحب (آداب الأقطاب) في أدب الشوق ما نصه : قد فرّق
المشايع بين الشوق والاشتياق ، فالشوق يسكن باللقاء ، والاشتياق
لا يسكن باللقاء . قال النضر اباضي : الخلق كلهم في مقام اشتوق وليس
ضم مقام الاشتياق ، فمن دخل في حال الاشتياق هاج فيه حتى لا يرى له
أثر ولا قرار . قال أحمد الأسواري لعبد الله بن المبارك : رأيت في المنام

كأنك تموت بعد سنة فاستعد للخروج . فقال عبد الله بن المبارك : لقد
أجلتني أجل بعيد أعيش أنا إلى سنة . قال معاذ بن جبل : الشوق
فضام الجوارح عن الشهوات . وقد حكى أنه قدم لبعض العجائز قرابة
فيكت فقبل لها في ذلك فقالت : ذكرت بقدم هذا قديمي على الله
تعالى . وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال : احتراق الأحشاء وتقطع
الأكباد . وقيل له : الشوق أعلى أم المحبة ؟ فقال : المحبة ، لأن الشوق
منها يترك . وقال بعضهم : الشوق حب ينشأ من بين آباء الحشا يسبح
عن انقرفة فإذا وقع اللقاء طفي ، وإذا كان الغائب على الأسرار مشاهدة
المحبوب لم يظهر الشوق . وقيل لبعضهم : هل تشتاق ؟ قال : لا إنما
الشوق إلى غائب وهو حاضر . وقال أبو خفيف : الشوق ارتياح القلوب
بالوجد .

قال أبو يزيد : إن لله عبداً لو حججهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا في
الجنة كما يستغيث أهل النار في النار ، فقلوب المشتاقين نبوة بور الله عز
وجل وإذا غرك اشتياقهم أنضاء النور ما بين السماء والأرض ، فيعرضهم
الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون أشهدكم أنني إليهم أشوق
قيل : إن المشتاقين يحبون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من
روح الوصول أجل من الشهد . قال أبو عثمان الخيري في قوله تعالى :
﴿ فإن أجل الله لآت ﴾ هذه تعزية للمشتاقين ، معناه أي أعلم أن
اشتياقكم إلي غائب وأنا أجلت لفائقكم أجلاً وعن قريب يكون وصولكم
إلى من تشاقبون إليه . أوحى الله عز وجل إلى بني إسرائيل : قل لشبان
بني إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم من بعد الجفاء .
وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : لو تعلم المدبرون عني كيف

انتظاري لهم ورتقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم فأتوا شوقاً إليّ
وانقطعت أوصالهم من عيني ، بادأورد وهذه إرادتي للمذنبين فكيف إرادتي
للطيبين عليّ ، مكتوب في التوراة شوقناكم فلم تشاقوا ، وخوفناكم فلم
تخافوا ، ونحننا لكم فلم توددوا . بكى شعيب حتى عسى فرأه الله تعالى
بصره . ثم بكى حتى عسى ، فأوحى الله إليه إن كان هذا البكاء لأجل
الجنة فقد أبحتها لك ، وإن كان لأجل النار فقد أجزتك منها . فقال :
لا يلى شوقاً إليك فأوحى الله إليه . لأجل ذلك أبعثك جنتي سئل
الجنيد : عن أي شيء يكون كساء المحب إذا لقي المحبوب ؟ فقال :
يكون ذلك سروراً به ووجلاً من شدة الشوق إليه انتهى .

لا يخفى أن العشق والله يفعل فوق ما ذكر ، ويحدث في القلب شؤراً
فوق ما سطر ، كيف لا وقد :

رأيت عاشقاً أوداه عشق يمي فاعستراه فما صقار
□ ♦ □

الله أكبر والله المثل الأعلى .

عجب الله لا يلو به شيء ولا تزويه في الأكوان دار

♦ ♦ ♦

وقد نقل الرواة من أخبار من عشق الأغيار ما يدل على رفيع مقام الحب
لواحد الجبار ، منها ما قيل : أن الصمة بن عبد الله بن الطفيل الششيري
الشاعر الشهير أحد شعراء الدولة الأموية كان هو امرأة من قومه وكانت ابنة
عمه ، فحفظها إلى أبيها فاشتط عليه عمه في المير فسأل أباها أن يعونه فأبى
فسأل عشرينه فأعطوه مائة من الإبل ، فأبى بها إلى عمه فقال : لا أقبل هذه
إسأل أباك أن يبدلها لك ، فسأل أباها أن يبدلها له فأبى فسأته بغيره فأبى وحلف

عمه لا يأخذها إلا كاملة ، فلما رأى فعل أبيه وعمه قطع فقال الإبل وغلا عنها
 فعاد كل بغير إلى أمه ، وقال : ماريت الأم منكما ، وأنا الأم منكما إن أقمت
 بسكما ، ورجل إلى الشام . فقالت ابنة عمه حين رآته . ماريت كالיום :
 رجل يأخه أهله بغير . فأقام بالشام حتى مات .
 ثم ندم على خروجه فقال :

أتبكي على ربنا ونفسك باعدت مزارك من ربنا وسعيهما فمعا ؟
 في حمى أن نأبى الأشر غناهما ونخرج إن داعي الصباة أسعا

❦ ❦ ❦

قال بعضهم : رأيت الصفة الفضيري بالشام وهو جالس يحدث نفسه
 ويكي ويقول - والله ما صدقتك فيها قالت : قلت : من تعني ؟ فقال -
 التي أقول فيها :

أما وجلال الله لو تذكرتني كذكرك ما كفكتك للعين مدمعا
 فقالت بل والله ذكرأ لو أنه يُصب على صم الصفا لتصدعا

❦ ❦ ❦

إنها لو ذكرتني كما ذكرتني لكان حالها كحالي . وقال رجل من أهل
 طبرستان - بين أنا أمشي في بستان لي إذا أنا بالصفة الفضيري مطروح في
 البستان وهو يحزك شفتيه فأصغيت إليه فإذا هو يقول :

تعر بصرك لا وجدك لا ترى سنام الحمى أخرى الليلي الغواير
 كأن فؤادي من تذكره الحمى وأهل الحمى يغربه ريش طائر

❦ ❦ ❦

ولم يزل يردد هذا حتى فاقنت ووجه . ومثل ذلك ما وقع لعروة بن حزام
 الشاعر الإسلامي الشهم العاشق الشهير . وحكايته أن أياه قد مات وتركه

في حجر عمه عقال ، فترى هذا وابتة عمه عفرا وكأنا بلبيان جميعاً وأحبها
 وأحبته ، وكان عمه يعلم بزواجها إلا أن أمها كانت تكرهه لغيره ، فقال
 له عمه يوماً : اضطرب في الأرض لعل الله يرزقك مالاً فتزوج به عفرا .
 فترجعه إلى ابن عم له فكساه وأعطاه مائة من الإبل ، وجاء في خلافة رجل من
 أهل الشام فحطّبت عفرا فأبى أبوها فلم تزل به زوجته حتى زوجها له فدخل
 بها وارتحل بها إلى الشام ، وعمد أبوها إلى قبر عتيق فجثته وسأل الحني كتيان
 أمرها عن عروة ، فلما قدم عروة تحسره أسوها أنها قد ماتت وقال :
 هذا قبرها ، وكان عروة يأتي في كل وقت إلى ذلك القبر ويسكني . ثم قالت
 له أهل الحني خبرها فارتحل إلى الشام ونزل على زوجها فأكثمه وأقام مدة
 وهو لا يعرفه ولم تعلم به عفرا ، ثم أنه دفع خاتمه يوماً إلى جارية عفرا
 وقال : ادفعي هذا الخاتم إلى هؤلاء فأتت وقالت : أما تستحي ؟
 فسكت أياماً ثم أعاد عليها القول فأتت . فسكت أياماً وأعاد عليها القول
 أيضاً فأتت . فسكت وأنه يوماً بتعيب لبن فشرب ورمى الخاتم في فضله
 فدخلت به إلى عفرا فلما شربت بان الخاتم فعرفته فشبهت حتى كانت
 روحها تخرج وسألت الجارية فأخبرتها الخبر ، فلما جاء زوجها قالت له :
 أتدري من ضيفك ؟ قال : لا . قالت : هو عروة بن حزام ابن عمي وقد
 كتبك نفسه جاء منك . فدعاها الرجل ورحب به وقال : نشدتك الله إلا
 رحبت في هذا المكبان ولا أخرجت منه ، وأخرج وتركه مع عفرا وأوصى
 خادماً له أن يسمع ما يقولان ، فلما خليا تشاكيا وبكيا ، ثم أتته بشراب
 لبشره فقال : والله ما دخل حوفي حرام قط ولا ارتكبتة عمري ، ولو
 استحللت حراماً لاستحللتك منك يا عفرا وأنت حظي من الدنيا وقد
 أحسن هذا الرجل وتفضل وأنا مستحي منه . والله لا أقيم هنا بعد

علمه بي أبدأ ، وأنت راحل إلى مني ، ثم بكى وانصرف ولما جاء زوجها
 أخبره الخادم بها سمع فقال : يا عفرا إمنعي ابن عمك من الرجل ،
 فقالت : ما يفعل هو أشدُّ حياء من ذلك . فدعاه الرجل وقال : يا أخي
 أتى الله في نفسك فإنيك إن رحمت هلكك ، وأنا والله ما أمتعك من
 الاجتماع معها أبداً ، وإن شئت فزفقتها لك . فشكره عروة وقال : لا بد
 من سفرني فإن وجدت قوة وإلا عدت . فزوجه الرجل ورجل وقال :

لعمرك أي يوم (تسرى) وسأفني لخلف الأهواء معطجبار
 هو نافي خلفي وقدامي الجوى وإني وإنها لمحتلضان
 متى تحملي شوقي رشوقك نضلي ومالك بالحمل الثقيل يدين
 جعلت لمرآة اليمامة حكمة وعرفا فجد إن هما شغباتي
 فما تركا زينة يعرفانها ولا شربة إلا وقد سقاني
 وقالاً شيباك الله والله مالسا بها ضمنت منك الضلوع بذان

* * *

ودات عروة في طريقه قبل أن يصل إلى أهله ، وقيل : إنه وصل وحج
 فلما وقف بعرفات بكى حتى خفت فإذا هو قد مات : فقال ابن عباس :
 هذا قبل الحب لأعقل ولا قوة . فهذا حال من عشق فانياً ، وأحب
 مايقرب إلى الله ، فكيف بمن أحب الله ، واجتنبه الشوق إلى الله ، وعشق كل
 مايقرب إلى الله ، أو يدنى عن الله .

أولئك أهل الله ، والصفة الأولى :

أكرم بقوم رسول الله فأنسدهم إذا تغلبت الأهواء والشيع

* * *

رضي الله تعالى عنهم أجمعين - ونفعنا بهم وبركاتهم والمسلمين أجمعين

آمين .

الباب الثاني

في ذكر خرقه الصوفية ، وسند تشرُّفنا بالخرقة الرفاعية العلية
وفيه نبذة يسيرة تُشير إلى جلالة قدر الغوث الأكبر
مولانا السيد أحمد الرفاعي الحسيني الأظهر قدس سره الأنور

سند هذه الخرقه المباركة ينتهي إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ورضي الله عنه من طريق الحسن البصري رضي الله عنه ، وإليه
ينتهي سند لبس الخرقه الذي عليه طوائف الصوفية قدسَتْ أسرارهم ،
وقد كتبت في كتابي الذي سَمَّيْتُهُ (العناية الربانية في مُلَخَّص الطريفة
الرفاعية) تلخيصاً كافياً في هذا الباب ، يجمع ملخَّص ما عليه ساداتنا
الرفاعية من القول في شرح خرقه الصوفية ، وها أنا سأدرجه تَبَرُّكاً فأقول :

صحيح الجلال السيوطي قدس سره لبس الحسن البصري رضي الله
عنه الخرقه من سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما صرح
بذلك الإمام عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الوسطى ، وبطريق
الاستئناس ذكر جماعة أن عمرو بن الخطاب وعدياً رضي الله عنهما ألبسا
أولساً القُرَبي خرقه بإذن نبوي . قلت : وإن صحَّ هذا فلا يكون إلا
استئناساً للقبوم لأن خرقه الصوفية تصل إليهم أسانيداً من الحسن
البصري رضي الله عنه فذلك يكون ما صححه الحافظ السيوطي دليلاً
وحجة للقبوم ، وذلك لأن علياً كرم الله وجهه كساه رسول الله ﷺ ثياباً

من الثوابه الشريفة فعلى هذا اتصلت أسانيد الخرقه . وذكر الشيخ العارف
العلامة ناصر السويدي البغدادي في كتابه (معراج السالكين إلى المقام
الأمين) وهو الكتاب الذي استفاد من شقيقه جدنا الخامس العارف
المكين : مولانا السيد حسين برهان الدين قدس سره مانصه : سأله
أحياء الله الحياة الطيبة عن معنى لبس الخرقه فقال : حقيقة التزوي بزئي
المُرشد في الأفعالي والأحوال ، وقد وصفوا هذا الأمر بوصف الكسوة
وعظموا شأنه وجعلوه كالنحوس ، والتجود بالمحسوس أيضاً ليتعين عند
من سلك طريق القوم أن الشرط عندهم أن يتزكوا صاحبهم بزئهم ، فعنى
تزكياً بزئهم ترتب عليه العمل بأفعاليهم ، والتحلُّق بأخلاقهم ، والموقوف
معهم في أحواله ، ألا ترى الرجل الجندي متى لبس كسوة الجند تعيَّن
عليه خوض المعارك والمبارك واختراق الصفوف والموقوف أمام السهام ،
وإذا رآه أحد عرف بالبداهة أنه من ترتب عليه هذه الأفعال بدليل كسوته
لأغبر ، وإذا لبس لباس العامة لم يُنظر من راء بذلك النظر ، ولا تفرُّ على
خاطر من راء هذه الأفعال ، وينسلخ عنه واجباتها بمجرده فخرده من كسوة
الجند ، وكذلك من لبس الخرقه ، ولذلك قال سيدنا السيد أحمد الكبير
الروفاي رضي الله عنه لغير راي عليه جهة صوف : يقولدي أنظر بزئي من
تزيت وبخلعة من تلبست ، لبست لباس الأنبياء والمرسلين ، وتزيت
بزئي الأولياء والصالحين ، فاحفظ حق زئهم بالتحلُّق بأخلاقهم والعمل
بأفعاليهم وآفاخلعه عنك . وإن تلقوم خروافي حَكَم قلبية في لباس الخرقه
بطورتها حالة الإلباس للمريد ، فيصلح الله تعالى شأنه كما طوى
رسول الله ﷺ الأمن والإيمان في بُردته الشريفة التي أنسها كعباً الصحابي

صاحب بابت سعيد . وهناك ورقة محمدية أخذها أهل القلوب عن الرسول المحبوب صلى الله عليه وسلم انتهى -

وهذا أوجه ما أراه على أن مقاصد القوم بحكمة باليات لا دخل للمحسوس بها وإن كان المحسوس للأصل قائم بالية لا غير . وقالوا - خرقه التصوف هي مايلسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأصوب ؛ منها التزبي يرى المراد ليتلبس بأهله بصفاته كما يتلبس ظاهره بنباهه وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً ؛ ومنها ومبول بركة الشيخ الذي ألبسه من يده المباركة إليه ؛ ومنها بل مايلب على الشيخ في وقت الإنسان من الخيال الذي يرى الشيخ بصيرته النافذة المنورة مايتحتاج إليه لرفع حجب العائقة بتصفية استعداده ؛ فإنه إذا وقف على حال من يتوب على يده علم بوز الحق مايتحتاج إليه فيستزل من الله ذلك حتى يتصف قلبه فيسري من باطنه إلى باطن المريد ؛ ومنها الموصلة بين وبين الشيخ ليضي بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائمة ؛ ويشكره الاتباع على الأوقات في طريفته وسيرته وأخلاقه وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال ؛ فإنه أب حقيقي كما قال عليه الصلاة والسلام : « الأباء ثلاثة أب ونذك وأب علمك وأب ربك » وما أحسن ما قيل :

أرى فضل أستاذي على فضل والدي وإن زدت براً وإن زادت لطف
فهذا مرب العقل والعقل جوهري وهذا مرب الجسم والجسم من صلبه

* * *

ونذكر السهروردي قدس سره في كتابه العوارف ما نصه : ويد الشيخ في لبس الخرقه تنوب منابه يد رسول الله ﷺ وتسليم المريد تسليم لله

ورسولته ، قال الله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقه ويعرفه حقوق الخرقه فالشيخ للمريد صورة يستشفق المريد من وراء هذه الصورة المطالبات الآقية والمراضي النبوية . ويعتقد المريد أن الشيخ باب فتحة الله تعالى إلى جناب كرمه منه يدخل وإليه يرجع . ونزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنيوية . ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به ويرجع في ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه . والشيخ باب مفتوح من المكلفة والمحاذة في النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواء فهو أمانة الله عنده . ويستغث إلى الله خوارج المريد كما يستغث خيالج نفسه ومهام دينه ودنياه . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمَنْ يَكُفِّرُ اللَّهَ إِلَّا وَحْيٌ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يَرْسَلُ رَسُولًا ﴾ فإرسال الرسول يختص بالأنبياء والوحي كذلك ، والكلام من وراء حجاب بالإهام والغواف والشام وغير ذلك للشيخ الراسخين في العلم . واعلم أن للمريدين مع الشيخ أوان ارتضاع وأوان فطام . وقد سبق شرح الولادة المعنوية ، فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة ، والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه قال الله تعالى ثابتيًا للأمة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْأَلُوهُ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أَوْ تَكُلِّمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْأَلْتَهُمْ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين . فلا ياذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد عليه بأنه أن له أوان الفطام ، وأنه بقدر أن يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه أن

يفتح له باب الفهم من الله ، فإذا بلغ المرید رتبة إزال الخواص والمهام بالله والقهم عن الله بتعريفاته وتبليحاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان القطام ، ومنى غارق قبل أوان القطام بأنه من الاعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة أهوى ما يزال المعلوم غير أوانه في الولادة الطبيعية ، وهذا التلزم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقي ، والمرید الحقيقي يلبس خرقه الإرادة ، واعلم أن الخرقه خرقتان خرقه الإرادة وخرقة التبرك ، والأصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقه الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة ، فخرقة الإرادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمحتشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم . وسر الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الولد يُؤمِّره الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى يصدق الاقتدار وحسن الاستقامة ، ويكون للشيخ نفوذ بصبرته الإشراف على السواقين فقد يكون المرید يلبس الخشن ككتاب الشكليات المتزهدين وله في تلك الهيئة من النبوس هوى كامن في نفسه يُؤمِّر بعين الزهادة ، فاشبه ما على هذا لبس الناعم والنبفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من الملبوس في قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته عن قدر حسابها وهواها ، فلبس الشيخ مثل هذا الداكن إلى تلك الهيئة ثوباً يكسر بذلك على نفسه هواها وغرضها . وقد يكون على المرید ملبوس ناعم أو هيئة في الملبوس نشرت النفوس تلك الهيئة بالعادة ، فلبسه الشيخ ما يفرج النفس من عاداتها وهواها ، فتصرف الشيخ في الملبوس كتصرفه في المعلوم ، وكتصرفه في صوم المرید وإفطاره . وكتصرفه في أمر دينه إلى ما يرى له من المصلحة من

دوام الذكر أو دوام التفضل بالصلة أو دوام التلاوة أو دوام الخدمة ،
 ويصرفه فيه برقة إلى المكسب أو التفوق أو غير ذلك ، فللشيخ إشراق
 على البواطن وتنوع الاستعدادات ، فيأمر كل مرید من أمر معاشه ومعاده
 بما يصلح له ، ولتنوع الاستعدادات تنوع مراتب الدعوة قال الله
 تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ ﴾ فالحكمة رتبة في الدعوة ، والموعظة كذلك ، والمجادنة كذلك ،
 فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ، ومن يدعى بالموعظة لا تصلح
 دعوته بالحكمة ، فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ، ومن هو
 على وضع المفسرين ، ومن يصلح لدوام الذكر ، ومن يصلح لدوام
 الصلاة ، ومن له عرق في التخشّن أو في النعم فيخلع المرید من عادته ،
 ويخرجه من مهبط هوى نفسه ويضعه باختياره ويُدبسه باختياره لئلا يصلح
 له ومهبطه تصلح له ، يداوي بالخرقة المخصوصة والطهارة المخصوصة
 عواده ، ويتوكل بذلك تقرب إلى رضا مولاه ، والمرید انصاف الملتهب
 بباطنه بنار الإرادة في بدم أمره وجدة إرادته كاللوع الحريص على من يرقبه
 ويداويه ، فإذا صادف شيخاً انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به
 لا ملأه عليه ، ويبعث من باطن المرید صدق المحبة بتألف القلوب
 وتسام الأرواح ، وظهور سر السابقة فيها باجتماعهما لله في الله وبالله ،
 فيكون القميص الذي يلبس المرید خرقه يشر المرید بحسن عناية الشيخ
 به ، فيعمل عند المرید عمل قميص يوسف عند يعقوب عليها السلام ؛
 وقد نقل ابن إبراهيم الخليل عليه السلام حين أنقى في النار جزء من ثيابه
 وقذف في النار عرياناً ، فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة

وَأُلْبِسَهُ إِثْبَةً . وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ إِسْرَافِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا مَاتَ وَرَثَهُ
 إِسْحَاقُ ، فَلَمَّا مَاتَ وَرَثَهُ يَعْقُوبُ . فَجَعَلَ يَعْقُوبُ ذَلِكَ الْقَمِيصَ فِي تَعْوِذِهِ
 وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِ يُونُسَ فَكَانَ لَا يَفَارِقُهُ ، فَلَمَّا أُلْقِيَ فِي الْبِشْرِ عُثْرَانَا جَاءَهُ
 جِبْرِيلُ وَكَانَ عَلَيْهِ التَّعْوِذُ فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ مِنْهُ وَأُلْبِسَهُ إِثْبَةً . أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ
 الْعَلَمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَزْوِينِي إِجَازَةً قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ
 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ ، أَخْبَرَنَا الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو
 إِسْحَاقَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ قَتَجَوْبَةَ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ :
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنِيُّ بْنُ عَلَوِيَّةٍ قَالَ : حَدَّثَنَا
 إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ ، عَنْ ابْنِ السَّيِّدِيِّ عَنْ
 أَبِيهِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : كَانَ يُونُسَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَنْ لَا يَعْلَمَ أَنَّ
 قَمِيصَهُ لَا يَرُدُّ عَلَى يَعْقُوبَ بِصَرَّةٍ وَلَكِنْ ذَاكَ كَانَ قَمِيصَ إِسْرَافِهِمْ وَذَكَرَ
 مَا ذَكَرْنَاهُ . قَالَ : فَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ أَرْسَلَ بِقَمِيصِكَ فَإِنَّ فِيهِ رِيحَ الْجَنَّةِ
 لَا يَفْصَحُ عَلَى مِثْلِهِ أَوْ سَقِيمٍ إِلَّا صُحَّ وَعَوِي ، فَتَكُونُ الْحَرِيقَةُ عِنْدَ الْمُرِيدِ
 الصَّادِقِ مُصْحَمَلَةً إِلَيْهِ عَرَفَ الْجَنَّةَ لَمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِالصَّحْبَةِ اللَّهِ ،
 وَبَرَزَ لِبَسِّ الْحَرِيقَةِ مِنْ غَنَايَةِ اللَّهِ بِهِ وَفَضْلِ اللَّهِ ؛

فَأَمَّا حَرِيقَةُ التَّوَكُّلِ يَطْلُبُهَا مَنْ مَقْصُودُهُ التَّوَكُّلُ بِزَيْدٍ الْقَوْمِ ، وَمِثْلُ هَذَا
 لَا يَطْلُبُ بِشَرَائِطِ الصَّحْبَةِ بَلَى يَوْصَى بِإِلْزَامِ حُدُودِ الشَّرْعِ وَتَحَاطُّطِ هَذِهِ
 الطَّائِفَةِ لِعَوْدَةِ عَلَيْهِ بِرُكْنَتِهِمْ وَيَتَأَذَّبُ بِأَدَابِهِمْ . فَسَوْفَ يَرْتَقِي ذَلِكَ إِلَى الْأَهْلِيَّةِ
 الْحَرِيقَةِ الْإِرَادَةِ فَعَلَى هَذَا حَرِيقَةُ التَّوَكُّلِ مَبْدُودَةٌ لِكُلِّ طَالِبٍ ، وَخَوْفَةُ الْإِرَادَةِ
 مَبْنُوعَةٌ إِلَّا مِنَ الصَّادِقِ الرَّافِعِ .

قُلْتُ : وَهَذَا تَفْصِيلٌ حَسَنٌ . وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْعَوَازِفِ مَا يَسْتَأْنِسُ بِهِ

للإتباس الخرقه مانصه : أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه عن الحافظ
المقدسي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الأديب بنيسابور
قال : أخبرنا أخاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال : أخبرنا
محمد بن إسحاق قال : أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله المصري
قال : حدثنا أبو الوليد قال : حدثنا إسحاق بن سعيد قال : حدثنا أبي
قال : حدثني أم خالد بنت خالد قالت : أتني سنة ثياب فيها
خبيصة ^(١) سوداء صغيرة فقال : « من ثرون أكسو هذه » فسكت الغوم ،
فقال رسول الله ﷺ : « انثوي بأُم خالد » قالت : فأتني فالتبستها بيده
وقال : « أبل وأحلفي » يقول مرثين وجعل ينظر إلى غلم في الخبيصة
أصغر وأحر ، ويقول : « يا أُم خالد هذا مناه والمستأجر الحسن بلسان
الخبشة » انتهى .

ومن العلوم أن أشياخ خرقه الصوفية تنتهي نسبتهم كما تقرر إلى الإمام
أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وقد تفرعت منه طوائف الخرقه من طريق
الحسن البصري رضي الله عنه ، ولا زالت تنفرع إلى سنة السعابية ثم حتم
على ماظهر أمر النفرع وصدوت الفروع التي سببها ذكرها بالنسبة من
بعضهم أصولاً ، فنقول أشياخ الخرقه بعد الإمام مولانا وسيدنا أمير المؤمنين
علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه ، سيدنا الإمام أبو سعيد الحسن
النصري رضي الله عنه ، فهو شيخ المصوفية ورئيس رجاله خرقته
وامامهم الذي يرجع إليه ، وعظيم حزمهم ، وقائد ركبهم ، وقد ذكره
أكابر السلف بالمناقب العظيمة ، والمآثر الفخيمة ، وأثنى عليه أعظم

(١) الخبيصة : الميا

المسلمين خلفاً بعد سلفه ، ووقع على قبول طريقه ، وصحة حاله ،
ورفعة كماله الإجماع ، وانتهى إليه شرف هذا الشأن ، تلقى العهد ،
وتلقى الذكر ، وليس الخرفة من أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه . قال
سفيان الثوري رضي الله عنه : الحسن البصري أحل أصحاب عليّ بن أبي
طالب عليه السلام ، وكان يصلي خلف عليّ وكان ليلة قُتِلَ كرم الله وجهه
يصلي خلفه ، وهو أحد أعيان الفضلاء بعد العبادة رضي الله عنهم ، وكان
يغلظ على الظالمين النصيح ولا يخاف في الله لومة لائم . ولا مرض الحجاج
مرض موته وسقط الله تعالى عليه الزمهور فكانت الكواكب تجعل حوله
مملوءة نارا وتدنس منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها ، فشكى مايجده
إلى الحسن البصري ، فقال له : قد غيبتك أن تعرض للمصالحين ، ثم لما
مات الحجاج سجد الحسن شكراً لله تعالى وقال : اللهم كما أمتة فامت
عنا سُنَّة . ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير المخزومي رضي الله عنه قال
الحسن البصري رضي الله عنه : اللهم أنت على فاسق تغيب والله لو أن
من بين المشرق والمغرب أشركوا في قتله فكُتِبَهم الله تعالى في النار . فما كان
بعد قليل إلّا ودمر الله الحجاج وأخذ فيه سهم دعاء الإمام الحسن البصري
رضي الله تعالى عنه . قال الزُّهري رحمه الله : العلماء أربعة ابن المسيب
بالمدينة (المشورة) ، والحسن البصري بالبصرة ، والشعبي بالكوفة ،
ومكحول بالشام رضي الله عنهم .

وُلِدَ الإمام الحسن البصري المستتر بثبنا من خلافة عمر رضي الله
عنه ، وتوفي سنة عشر ومائة . قال أهل الطبقات فيه : كان إماماً قدوة
صالحاً زاهداً قاضياً جامعاً علماً رفيعاً فقيهاً حجة مأموماً عابداً ناسكاً جليلاً

ومسياً وكان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمع من كل فن أئمة مع علمه وزهد وورع وعصادة ، أبوه مولد زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأمه مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها ، وربها عابت أمة في حاجة فيكي ، فتعطيه أم سلمة ورضي الله عنها ثديها تغلله به إلى أن نجى ، أمة فيذكر تدبها عليه ، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك

ذكر الإمام الشعري في طبقاته الوسطى أن حرس البصري رضي الله عنه صلى الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة ، وكان أكثر مشيه حافياً ، وكان له هبة عظيمة ، وكان يقول : والله لو كنت ممن أعلن على قتل الحسين أو رضي به وعرضت على الجنة ما دخلتها حياء من رسول الله ﷺ وخوفاً أن ينظر لي نظرة غضب . وقال : كان يدخل على المولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الله لومة لائم . وروى الحسن يوماً رجلاً وسياً حسناً الميعة عليه يسأل عنه فقيل له : إنه يتمسخر للمملوك ويحبونه ، فقال له أبوه أو قال له ذرة ما رأيت أحداً يطلب الدنيا بما يشبهها إلا هذا . قلت : يعني أن الدنيا رذيلة فأخذها بالوزائل أنسب من أخذها بالفضائل . وكان أكثر كلامه حكماً وبلاغاً ولما حضرتة الوفاة أغمي عليه قبل موته ثم أفاق فقال : لقد نبهتموني من جنات وعميون ومقام كريم . وقال رجل قبل موته لأبن سبرين : رأيت كيان طائراً أخذ خصاصة بالمسجد . فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسين . فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسين ، ففتح الناس جنازته فلم تقم صلاة العصر بالمسجد وما علم أنها تركت فيه منذ كان الإسلام إلا يومئذ لأنهم تبعوا الجنازة حتى لم يبق من يصلي في المسجد ، قلت : وله رضي الله عنه مع الحجاج وقعات عظيمة واجهه فيها بكلام

صادق وسلمه الله تعالى من شره ، وما روي من تفخيم الخجاج له أنه جاء ذات يوم راكباً على برذون أصغر فأقام الجامع ، فلما دخله رأى فيه حلقة متعددة فتصعد حلقة الحسن فلم يقم له بل وسع له في المجلس فجلس إلى جنبه ، قال الراوي : فقلنا : اليوم ننظر الحسن هل يتغير عن عادته في كلامه وحيثه ؟ فلم يغير شيئاً من ذلك بل أخذ على نسق عاداته من غير زيادة ولا نقص ، فلما كان في آخر المجلس قال الخجاج : صدق الشيخ عليكم بهذه النجاسة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ولولا ما ابتلينا به من هذا الأمر لم يعلمونا عليها أو قال لم يسبقونا إليها ، ثم افتر عن لفظ أعجبه به الحاضرون ثم نهض فمشى طريقه . انتهى .

وقد أطلق القوم على أن إمام طريق التصوف من التابعين الحسن البصري رضي الله عنه ، وقد انتهت إليه أسانيد الصوفية على الغالب . قال محمد بن الحسن : كان الحسن البصري قدوة وإماماً في الشريعة والطريقة والسنة . وقال غيره من القوم : اجتمعت سيرة الهداية في الحسن البصري ، فمن أحب أتباع سنة رسول الله ﷺ والعمل بها كان عليه أصحابه رضي الله عنهم فليقتد به فإنه نعم القدوة . وكان يقول : أكرم إخوانك هو الذي يدوم لك وقد وليس بأخيك من احتجت إلى مداراته . وكان إذا جلس بين الناس يجلس قليلاً كالأسير ، وإذا تكلم يتكلم كلام رجل قد أمر به إلى النار ، وكان يقول : من ليس التصوف نواضعاً لله زاده نوراً في بصره وقلبه ، ومن نيسه إظهاراً للنزعة في الدنيا والتكبر به على الإخوان في نفسه كُور في جهنم مع الشياطين ، وكان يقول : ما كل الناس

بصلاح لبس الصوف لأنه يطلب صفاء ومراقبة لله عز وجل . وقيل له مرة : ما سبب لباسك الصوف فنكت فقول له : **الأنحبيب** ، فقال : إن قلت وهذا في الدنيا زكيت نفسي ، وإن قلت فقرأ وضيقاً شكوت ربي والله تعالى أعلم . وقد كان رضي الله عنه أعلم أهل عصره بالشيء السني وأعملهم بها . ولهذا نفع الله به المسلمين ، وأيد به واتباعه كلمة الحق والدين . وقد كانت طريقته المباركة تتداول بين أعيان الأعصار . وأفراد الرجال الأتقياء ، كسيدنا الحبيب العجمي رضي الله عنه . وسيدنا كميل بن قعود رضي الله عنه . وسيدنا ميمون بن مهران رضي الله عنه . وجماعة من أعيان التابعين وتابعيهم العارفين ، كسيدنا الإمام داود الطائفي رضي الله عنه . وسيدنا الإمام معروف الكرخي رضي الله عنه . وسيدنا الشيخ سري المقطبي رضي الله عنه . وفشت طريقته المباركة على أيدي هؤلاء الرجال . وانتسب لهم الأكابر من أهل العلم والحال .

﴿ إمامة الجنيـد في الطريق ونبهة من أقوال العلماة بشأنه ﴾

حتى شئ الله تعالى على المسلمين بمجدد أمر الشريعة ، ورافع لواء الطريقة ، ناج العارفين ، إمام المصالحين . مرشد الثقيلين ، مؤيد شريعة سيد الكونين ، شيخ الطائفتين ، المتصدّر لإحياء سنة النبي الهادي ، مولانا الإمام أبي القاسم الجنيـد البغدادي رضي الله عنه ، فأحكم مبادئ الحفيظة ، وأيد عزاز الطريقة ، ووطئ منهاج الصدق والكرامة ، وتوشح في هذا الطريق بزودة الإمامة . وصار مقدّم كل عالم . وإمام كل عارف ، وقال بتقديمه وإمامته الموافق والمخالف .

قال الإمام الملقاني في كتابه (هداية المرید بخوهره التوحيد) عند قوله :
ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداية الأئمة
فواجب تقليد خبر منهم كذا حكى المقوم بلفظ يفهم

♦ ♦ ♦

قال : وأما قوله - كذا أبو القاسم - فيعني به أن أبا القاسم الجند سيد
أهل التصوف علماً وعملاً من هداية الأئمة أيضاً ، أي طريقه مقوم مثل
طريقهم في الصحة والهداية ، خالف من الابتداع والربح في الاعتقاد ،
دائر بين سبيل التسليم والتقويض والتبني من النفس ، ومن كلامه :
السطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه إلا على المفتقين أشار
رسول الله ﷺ ، ومن كلامه أيضاً : رأيت في المنام أني أتكلم على الناس
(يعني يعظهم) فوقف عليّ ملك فقال : ما أقرب ما تقرب به المشتربون إلى
الله سبحانه ، فقلت : عمل خاطئ بميزان وفي : قولي وهو يقول : كلام
موفق والله أعلم ، انتهى .

وقد تبين من هذا أن علماء الشرع رضي الله عنهم ، أوجبوا تقليد الإمام
الجند البغدادي في طريقه ، وأوضحوا بأنه إمام مذهب التصوف ، وأن
طريقه مقوم صحيح سديد لا بدعة ولا زيغ فيه ، ولا شك ولا ريب
يعتريه ، وبه أعظم الله شرف الطريق ، وقاد إليه أهل القبور من كل فج
عميق ، ونشرت عنه طرق الصوفية الكرام ، ورجع إلى بيعته أسانيد
لخواص منهم والنعمان ، وهو في هذا الطريق الإمام المرجوع إليه : والمرشد
الأكبر الذي يُعول عليه ، نعم يوجد في بعض أسانيد رجال بعض الطرق
سلاسل شيوخ لا وصله لهم بالإمام الجند ، ولا بشيخ الصوفية إمام خرقه

القوم الحسن البصري رضي الله عنه ويستسيرون إلى آباد آخر ، فإنه وإن كان
أمر تلك النسبة مستند إلى سبب صحيح وأصل ملبح محفوظ عندهم ،
ومن حفظ حجة على من لم يحفظ إلا أنه خلاف المعبر المشهور ، والمقواتر
المذكور ، وعلى هذا فلا بدّ لهم من أسانيد آخر ترجع إلى سند الإمام الجليل
رضي الله عنه ، ارتباطاً بالجليل المقواتر الوصلة نفعا الله برجاله أجمعين ،
ويُعلم أن الأسانيد التي تُصل بالإمام الجليل مع كثرتها أعمها بركة ،
وأكثرها شهرة ، وأنفذها تداولاً سنداً ، الأول السند المتصل به من
خليفته وصاحبه العارف بالله مولانا الشيخ أبي بكر الشبلي ، والسند الثاني
السند المتصل به من طريق خليفته القاضي أبي محمد ربيع البغدادي رضي
الله عنهم أجمعين .

وقد جمع الله تعالى بركاتي الوصلتين المنتهيتين للإمام الجليل من هذين
السندين لسيدنا وشيخنا ومقرعنا السيد أحمد الرفاعي الحسيني الكبير رضي
الله عنه وقدم أسرارها ، وتبّد إلى منتهى الدوران بالتأييد آثاره ومناره
آمين ، وسيأتي ذكر ذلك كما سنذكر شرفنا بسند خرقة الميابة ، وهذين
السندين المذكورين تنتهي أسانيد الطرق على الغالب ، وهذا نحن نذكر
للطالب أسماء الطرق المباركة ، وأسماء فروعها ، وكيفية انضمامها برجال
الخرقة فنقول :

﴿سند الطريقة العلية الرفاعية وفروعها﴾

الطريقة العلية الرفاعية تنتهي إلى سيد الأولياء ، وإمام الأصفياء ،
 شيخ الأمة ، المستغاث به في المهمة ، تاج الأقطاب ، وإمام الأحياء ،
 السوي الأجل ، والعلم الأطول ، بحر المعارف ، ومُتَدَي كُلِّ عارف ،
 شيخ المشايخ ، والجميل الراشح ، الإمام الأشهر ، الغوث الأكبر ، سيد
 أولياء زمانه ، وإمام هذا الشأن ومؤيد أركانه ، غلم مشايخ العرب
 والعجم ، المشرف على أعلام حجه بتقيل يد النبي ﷺ السيد الشهير مولانا
 أبي العلامين السيد أحمد الرفاعي الحسيني الكبير رضي الله عنه ، ابن السيد
 أبي الحسن علي ، ابن السيد يحيى ، ابن السيد ثابت ، ابن السيد حازم ،
 ابن السيد أحمد ، ابن السيد علي ، ابن السيد الحسن أبي القكارم المعروف
 برفاعة المكي ، ابن السيد المهدي ، ابن السيد محمد أبي القاسم ، ابن
 السيد الحسن ، ابن السيد الحسين ، ابن السيد أحمد الأكبر ، ابن السيد
 موسى الثاني ، ابن السيد الإمام إبراهيم الفريضي ، ابن السيد الإمام
 موسى الكاظم ، ابن السيد الإمام جعفر الصادق ، ابن السيد الإمام
 محمد الباقر ، ابن السيد الإمام زين العابدين علي ، ابن السيد الإمام
 الحسين السبط الشهيد بكربلا ، ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن
 أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه ، ورزقه من زوجته السلول الطاهرة
 النبوية ، سيدة نساء البرية ، بضعة الرسول المعظم فاطمة الزهراء رضي
 الله عنها ، بنت سيد الأنعام ، ومصباح الظلام ، عليه أفضل الصلاة
 والسلام ، وعلى آله الكرام ، وأصحابه الأعظم ، وأتباعه الأعلام آمين .
 أخذ رضي الله عنه طريقة القوم عن الشيخ علي الواسطي القاري ،

وهو أخذها عن الشيخ أبي الفضل بن كاسح ، عن الشيخ غلام بن
 تركان ، عن الشيخ أبي علي الورزباني ، عن الشيخ علي العجمي ، عن
 الشيخ أبي بكر الشبلي ، عن الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي ، عن
 خاله الشيخ سري السطفي ، عن الشيخ أبي محفوظ معروف الكرخي ،
 عن الشيخ داود القفائي ، عن الشيخ حبيب العجمي ، عن الشيخ أبي
 سعيد مولانا الحسن البصري ، عن سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين
 علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين ، عن النبي
 الأعظم ، والرسول الأكرم ﷺ .

وأخذ رضي الله عنه أيضاً الطريقة وتيس الخرقه من خاله سيدنا الشيخ
 منصور الرباني البطاحي المعروف بين القوم باباز الأشهب ، وهو أخذ
 عن خاله الشيخ أبي منصور الطيب ، وهو أخذ عن ابن عمه الشيخ أبي
 سعيد يحيى النجاري السواسطي الأنصاري ، عن الشيخ أبي علي
 القرمزي ، عن الشيخ أبي القاسم السندوسي الكبير ، عن الشيخ أبي
 محمد رويس البغدادي ، عن الشيخ الجنيد البغدادي ، عن الشيخ سري
 السطفي ، عن الشيخ معروف الكرخي ، عن الإمام علي بن موسى
 الرضا ، عن أبيه الإمام موسى الكاظم ، عن أبيه الإمام جعفر الصادق ،
 عن أبيه الإمام محمد الباقر ، عن أبيه الإمام زين العابدين علي ، عن أبيه
 الإمام الخاتم سبط الرسول عليه الصلاة والسلام ، سيدنا الحسين الشهيد
 بكرملا ، عن أبيه الإمام ، علم الإسلام ، معدن الكرامة والوقار ، صهر
 سيدنا الرسول المصطفى ، أسد الله الغالب ، أمير المؤمنين مولانا علي بن
 أبي طالب - كرم الله وجهه - عن النبي ﷺ وهو عليه الصلاة والسلام

قال : « آتيني ربّي فأحسن تأديبي » صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله
وأصحابه أجمعين .

وهذه الطريقة الجليلة الرفاعية فروع عظيمة معروفة في البلاد
الإسلامية بحمد الله ، مآثر رجالها شهيرة ، وبركاتهم كثيرة ، وقد صحّ
عند أصحاب هذه الخرقّة أن خلفاء سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله
عنه وخلفائهم بلغت عدّتهم المائة والثمانين ألفاً حال حياته نفعنا الله به وبهم
أجمعين .

﴿ من مشايير خلفاء الإمام الرفاعي وبعض خلفائهم ﴾
﴿ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ﴾

ومحسن هنا أن نذكر لشريك جماعة منهم ومن أصحابهم ، فمن الذين
تخرج بصحبته الإمام العارف الرياني الشيخ حيوة بن قيس الخزازي رضي
الله عنه قال ابن الحاج في ﴿ أم البراهين ﴾ ومثله قال أيضاً الإمام محمد بن
قاسم الواسطي الشافعي في ﴿ البهجة الكبرى ﴾ بإيع الشيخ حيوة بن
قيس الخزازي شيخه الإمام السيد أحمد الرفاعي مع جماعة من الرجال على
نهر دقل بواسط وليس خرقته وذكر الجلال السيوطي قاس سره في كتابه
﴿ الشرف المحتم ﴾ ما ملخصه : إن الشيخ حيوة بن قيس الطراني ليس
خرقة السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه واندرج في سلك أصحابه
في اليوم الذي مُدّت له يد النبي ﷺ والقصة مشهورة . قلت : وقد يكون
ذلك الانسحاب وأبى الخرقّة المباركة الرفاعية وقع مع الشيخ حيوة بن قيس
رضي الله عنه مكرراً مرة بواسط ومرة بالمدينة المنورة النبوية على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام والتحية .

ومن تخرج بصحته المباركة أيضاً الشيخ المحدث الجليل عبد العظيم
 المنذري ، والشيخ العارف بالله إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكازروني
 المصديقي صاحب ﴿ شفاء الأقسام ﴾ والشيخ الحجة الولي الأشهر حمزة
 الأكبر ، والشيخ عماد الدين الزنجي بفتح الزاي نسبة لقرية من أعمال
 واسط يقال لها ﴿ زنج ﴾ وقد كان عماد الدين هذا من حُجَّاب الخديفة
 المستضيء بأمر الله العباسي قبل النضجة والانتساب لنحضة الترفاعية ،
 ومنهم أيضاً الولي المشهور في البقاع الذمسية الشيخ حسن القطناي
 الراعي من أهل ﴿ قطنة ﴾ قرية من أعمال دمشق أخذ عنه الخلافة وليس
 منه الحرقلة عام حجّه الذي مُلِّت له فيه يد النبي ﷺ كما ذكر ذلك ابن
 الخاليج في ﴿ أم الزاهدين ﴾ ومنهم الشيخ عبد المحسن الواسطي ابن شيخه
 سيدنا الشيخ علي الواسطي ، والشيخ تقي الدين الواسطي ، والشيخ
 صالح بن بكران ، والشيخ منصور البضائحي الصغير ، والشيخ أبو أحمد
 جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي المغربي ، وقد ذكر ما عليه من
 العرفان وعلو الشأن الشيخ عمي الدين العربي في فتوحاته وغيرها من
 كتبه ، ومنهم أيضاً الشيخ حسين بن الربيع ، والشيخ محبوب ، والسيد
 حسن النقيب المعروف ببشار الرضوي الموسوي ، والشيخ الولي المشهور
 سعد الله النيرزباني ، والشيخ مقدم الخدادي ، والشيخ عبد الحبير
 الحريوني ، والشيخ أبو بكر خطيب السعدية العلامة الشهير ، والشيخ
 فرج المنفي ، والشيخ أبو القاسم الصلحي ، والشيخ علي بن نعيم
 المشهور العارف ، والشيخ محمود الحيران الرومي أمير آقشهر من بلاد الترك
 ودقيقتها الشجرذ المولع بالله رضي الله عنه ، ومن خلفائه أيضاً الشيخ براق

أحمد أنساب التركستان والشيخ محمد اليسوي شيخ الختن والخطا وبلاد
التركستان الملاصقة للجزين الأقصى ، وقد عليه بتلامذته وجماعة من
مريديه إلى ﴿ أَمَّ عُبَيْدَةَ ﴾ وانتسب إليه وليس خرفته وأمره بالعود إلى بلاده
فعاد ونشر الله على يده أعلام الطريقة ، كما ذكر ذلك الشريف العدني في
كتابه (النجم الساعى) ومنهم الشيخ قيس الحليسي رضي الله عنه .
والشيخ أبو البدر العاقولي الواسطي ثم البغدادي الذي ذكر الشيخ محيي
الدين مآثره وعرفاته في فتوحاته مراراً ومنهم الشيخ محمد الأكبر الدورقي ،
والشيخ مسعود الأنادولي التركي ، والشيخ منصور القروي ، والشيخ عمر
المروتي ، والشيخ عجلان الحسيني المكي ، والإمام الأجل أبو شجاع
الشافعي الفقيه ، ومجتهد المذهب الشافعي الإمام عبد الكريم
الرافعي ، ومنهم الشيخ أبو الفرج عمر الفاروقي ثم الكنازوني
الواسطي ، وعنه أخذ ولده الإمام أبو إسحاق إبراهيم ، وعنه ولده عز
الدين أحمد الفاروقي الكنازوني ، وعنه جماعة أعظم من جملتهم يرهان
الدين العلوي ، وصحاب الدين أبو العلم محمد الحندي ، والنجم
الأصفهاني ، ورضي الدين الطبري ، والنجم الأصفهاني هذا هو شيخ
السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنهما فإنه ألبسه خرفته ويهتجج ، وكل
هذا فاختار الدسوقية كما أنها نجبية فوافعية من طُرق متعددة وأن الشيخ
عز الدين أحمد الفاروقي شيخ هؤلاء الجماعة انتسب إليه جُلَّ علماء عصره
ويتصل به أيضاً نسبة الإمام جلال الدين السيوطي ، والإمام الشعراي
وغيرهم ، ونهايك هذه الطبقة المباركة من طبقة ، ومنهم أبو أحمد
جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي ، وعنه أخذ القطب أبو محمد

عبد الرحمن المدني العطار المشهور بالزيات ، وعنه أخذ القطب عبد السلام بن بشيش ويقال مشيش . وعنه أخذ القطب أبو الحسن الشاذلي قدس سره . وتحصل نسبة الشاذلي أيضاً بالشيخ عبد السلام بن مشيش عن القطب الكبير برقي العراقي ، عن الغوث الأكبر سيدنا السيد أحمد رضي الله عنه ، وعن الشيخ برقي المشار إليه لبس الحرقة الوفاية سيدنا القطب السيد أحمد البدوي ، كما صرح بذلك الشعراوي في الطبقات الواسطي ، والحافظ الشيخ تقي الدين الواسطي ، والإمام أبو الفتح الواسطي نزيل الإسكندرية شيخ مشايخ الإسلام محمد العزيز النويري ، وعلي الملبجي ، وعبد السلام الإقلبي رضي الله عنهم أجمعين ، ومنهم الشيخ تقي الدين الفقير الشهير بندي الواسطي شيخ أشياخ الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس سره أئمه ، ومنهم الشيخ جمال الدين الخطيب الحدادي الواسطي ، والشيخ علي بن نعيم البغدادي ، والشيخ الجليل قطب الرجال العارف الرماني الشيخ يعقوب بن كراؤ الواسطي ، وأماهم رضي الله عنهم أجمعين ، ونفعنا بهم والمسلمين ، وأقول فيه متبركاً مرغجلاً :

أبو العلمين الغوث ذو القدم النبي على إثرها الأفراد لله نذهب
عصائنه زهر النجوم وانهم متى غاب منهم كوكب لاح كوكب

□ □ □

﴿ فلما تفرع عن الطريقة العلية الرفاعية ﴾

﴿ السلسلة الواسطية ﴾

ومن الفروع التي أخذت اسم الطُّرُق المنسوبة للحضرة الرفاعية السلسلة الواسطية ، وسلسلة هذا الفرع تتصل بـسيدنا السيد أحمد الكبير بواسطة الشيخ الإمام المهام عبد السمیع بن أبي تمام عبد الله بن عبد السمیع المعروف بأبي المظفر الهاشمي الواسطي العباسي ، من ذرية الأمير الشهير الشريف الهاشمي الكبير جعفر بن سليمان بن علي بن ترجمان القرآن أعني سيدنا عبد الله بن العباس عم النبي ﷺ وُلدَ انشيخ عبد السمیع الهاشمي هذا سنة ست وستين وأربعماية ، ومات في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وخمماية ، هذا ما ذكره الحافظ السيوطي قدس سره في كتابه (رفع الباس عن بني العباس) وأما ما ذكره الحافظ تقي الدين الواسطي في تزييفه والشيخ الإمام عبد الكريم الرفاعي في ﴿ سوانح العيين ﴾ فإنه يصرح بأن وفاة الشيخ عبد السمیع قدس سره بعد سنة خمس وخمسين وخمماية ، وعنه تلقى ولده الشيخ الحجة القدوة الإمام وفي الله شرف الدين محمد بن عبد السمیع الهاشمي ، وهو الذي جمع كتاب ﴿ البرهان المؤيد ﴾ رواية من قم الأشاذ الأعظم ، والمغوث الأكبر المكرم ، شيخ مشايخ الإسلام ، مرشد الخواص والعموم ، صولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه ، وقد أثنى على الشيخ شرف الدين المشار إليه الإمام السبكي في طبقات الشافعية وعظم شأنه ، وقال السيوطي عند ذكره صنف أشياء وروى الكثير ، وكان من أكابر أهل بلدته وعلمائهم ومن بيت العلم والدين ، ثقة حسن النقل روى عنه الديلمي وأبو

الظاهر الأنطاكي وبالإجازة أبو المعالي الأمير قوهي ، مات في مناس محرم سنة إحدى وعشرين وستمائة .

﴿ وما تفرَّع عن الطريقة العلية الرفاعية ﴾

﴿ ما تفرَّع عن السلسلة الواسطية ﴾

ومن الصرُوح التي اشتهرت بالواسطية سلسلة الفرع المتصلة بيدينا السيد أحمد من طريق الحافظ تقي الدين الواسطي الكبير ، والإمام أبي الفتح الواسطي نزيل الإسكندرية الذين تقدم ذكرهما ولكل منهما شعبة ، ومنها سلسلة الفرع المتصل بالشيخ الجليل : العارف الأصل ، كنز الآداب ، وقُدوة الأحياء ، أبي المظفر منصور بن المبارك الواسطي قدس سره .

قلت : وقد نقل صاحب ﴿ سواد العينين ﴾ الإمام الرفاعي في كتابه المذكور منقبة لهذا الأستاذ الأجل ، وفيها خارقته من عُزَّ كرامات مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه يعذب أن يذكرها بنصها وهامه :

قال الرفاعي : أخبرني الشيخ الجليل الإمام العدل أبو البركات محمد القاسمي العباسي أن الشيخ الجليل القنبر أبا المظفر منصور بن المبارك الواسطي قدس سره جاء عام وفاة السيد أحمد الكبير إلى ﴿ أم عبيدة ﴾ ووقف على قبر القنبر المشار إليه وأشهد في ملا عظيم من الناس .

سرت ناقي ليلاً صبحان من أسرى إلى الساحة القعباء والخضرة الكبرى وحسبت همول السير مُثقلة على أريكة باب دونه جمجمة الخضر أنخت بها والفجر سل على اللجج نصلاً فيا لله ذا الفجر ما الجري

عجبت لصوره العجى كيف تقشعت
 كأن غيّا الصبح والشمس حولته
 إمام به تجلّ الخطوب وينطوي
 عليك بغرم القوم من آل هاشم
 من السُّهر ميمون الطيبة سيّد
 نرى شومن أهل الله تحت لوائه
 لقد أنهم في سجد القرب مرشداً
 تذكّرنا بالعجرات يقابله
 عظيم قرين شيخ مسيرها الذي
 إذا زرت زرت الحسين وصنوه
 من القلاعين الخصم والبيل ماطر
 من الجعفرين ابجاجة الأولى
 توصل به لله واضرع بجاعه
 هو الغوث والغيث السريع ومتقى
 هو المحجة الكبرى على كل قائم
 لمن ساءى عامي برزة وقاته
 به أنقذ منهم الزمان وأرتقى
 عليه سلام الله ما انشلق الدجى

• • •

به مُقلّلات العتم عن مكتب الخير
 جبين الرفاعي ابن فاطمة الزهراء
 بساط قنوب طالما ألوهن الظهراء
 نذل لك الدنيا وتحملوك الأخرى
 تلوح على بيضاء غرته السهري
 فهم جتده برأ وعشاله بحرا
 كما أم طه الأنبيا ليلة الإسراء
 وإن أعيا الإيمان تنفعه الذكرى
 مشاقبه تُسل وآياته تُقرأ
 وشاهدت عنواناً عن المرتضى جهرا
 من الحافظين الجار والدار لا تدرى
 أبو العمّة السوداء وأخيه القوا
 إلى الله في القرا وبشراك بالمرأ
 خزنة طه اليوم والقبلة الخضرأ
 أجل غيره في القوم حُجته صغرى
 فما ضرّني زرت عن عينه الضميرأ
 معاريج غير لا أحيط بها تحيرا
 يصيح وشم الناس من ذكره عطرا

فظهر صوت من قبر السيد أحمد أحاط بالقبّة المباركة يقول : وعليك
 السلام . انتهى .

وسلسلة القروغ الواسطة كثيرة ، ولها شعب شهيرة ، نفعنا الله بهم
أجمعين .

﴿ وما تفرّع عن الطريقة العلية الرفاعية ﴾

﴿ الطريقة البدوية ﴾

ومن الفروع الرفاعية أيضاً سلسلة فرع الطريقة البدوية التي تنتهي إلى
ثالث الأقطاب الأربعة ، الخوث الجليل ، والسيد الشريف الأصيل ، أبو
الفتاح ، وقطب أهل العراق ، مغيث الأمير ، مولانا وسيدنا السيد أحمد
البدوي الحسيني الشهير - رضي الله عنه - بن علي ، بن إبراهيم ، بن
محمد ، بن أبي بكر ، ابن إسحاق ، بن عمر ، بن علي ، بن عثمان ، بن
حسن ، بن محمد ، بن موسى ، بن يحيى ، ابن عيسى ، بن علي ، بن
محمد ، بن الحسن ، بن علي ، بن محمد ، بن علي الرضا ، بن موسى
الكاظم ، بن الإمام جعفر الصادق ، بن الإمام محمد الباقر ، بن الإمام
علي زين العابدين ، بن السبط سيدنا الحسين ، بن سيدة نساء العالمين
فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

قال الإمام الشعراني في طبقاته النونية : وقد رأيت بخط الإمام العالم
المحدث العدل الرضي أبي المحاسن يوسف سبط الحافظ ابن حجر ترجمة
سبيدي أحمد البدوي حين سُئل فقال : هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن
محمد بن أبي بكر البدوي المعروف بالسطوح رضي الله عنه ، أصله من
بني بري قبيلة من عرب الشام ، تسلك على يد الشيخ يري أحمد نلامدة
الشيخ أبي نعم أحمد مشايخ العراق ، وأحد أصحاب سيدي أحمد بن
الرفاعي ، ومولده بقايس سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وطاف البلاد :

وأقام بمكة والمدينة ثم بمصر ثم دخل ﴿ طسنا ﴾ سنة أربع وعشرين
 وستماية ، وأخذ عنه الشيخ المعمر عبد العال كيا سيأت بيته في توجته بعد
 إحدى وستين شيخاً من هذه الطبقات ، وبين جميع من بلغنا أنه من
 اصحاب السطح وأتباعهم المفرقين في أقاليم الأرض ، ولما بلغني من جماعة
 من أهل بيروت قالوا أسرنا الفريج وكنا اثني عشر رجلاً فأقمنا في بلاد
 الفريج يستخدمونا في الأعمال الشاقة حتى كدنا نموت فأقمنا الحق تعالى
 يوماً أننا قمنا ياسيدي أحمد يابدوي إن الناس يقولون لك تأتي بالأسرا إلى
 بلادهم ، وقد سألناك بالنبي ﷺ أن تردنا إلى بلادنا ، قالوا - فقي ذلك
 اليوم نزلنا مركباً ليس فيها أحد وقد كنا فلم يشعر بنا الفريج حتى سرنا في
 البحر نحو ميلين ، فخرجوا وراءنا فلم يدركونا إلى أن وصلنا بلادنا ببركة
 سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه . انتهى بحروفه من الطبقات
 الوسطى .

وقد خرج بتصحبة سيدي أحمد رضي الله تعالى عنه جم صغير ، وحزب
 عظيم من أكابر الأولياء ، وكان رضي الله عنه يربى بالنظر ، قال السخاوي
 رحمه الله : كان سيدي أحمد البدوي إذا نظر المرید نظرة مخصوصة يوجهه
 بتلك النظرة إلى مقام الشهادة . وقال الشعراني أيضاً : وما شهادته من
 كراماته في سنة سبع وأربعين وتسعمائة أن شخصاً راود امرأة عن نفسها في
 قبة فسمعه ويُس أعضاءه ، فكان يصيح حتى كاد أن يموت فأخبروني به
 فحشيت إلى قبره وأمريت بعض الفقهاء أن يسأل سيدي عبد العال في
 الصنيع عنه ، ففرا الجماعة ودعى فانتشرت أعضاؤه وتاب إلى الله من ذلك
 اليوم وصار من الفقهاء الملاح ، وكراماته كثيرة مشهورة في بلاده وبين فقهاء

الأهذية وغيرهم رضي الله تعالى عنهم : انتهى .

ومن تخرج بصحبة السيد أحمد البدوي قدس سره العزيز الشيخ
المصالح ، الشيخ عبد المجيد آخر سيدي عبد العال وهو الذي ذكر الإمام
الشعراني عنه أنه طلب رؤية وجه سيدي أحمد ، وكان سيدي أحمد يلثامين
لأبصرى الناس منه إلا عينيه ، فقال : يا عبد المجيد كل نظرة يرجل .
فقال : ياسيدي رضيت . فكشف سيدي أحمد له اللثام فرأه قحراً مينا .
انتهى .

ومنهم الشيخ عبد الوهاب الجوهري ، قال الشعراني في طبقاته : كان
رضي الله عنه من أجل أصحاب سيدي أحمد البدوي وكراماته رضي الله
عنه كثيرة مشهورة في بلاده .

ومنهم الشيخ عز الدين الموصلبي رضي الله تعالى عنه كان نائبا في
طرابلس هاجر إلى سيدي أحمد لما كان بالعراق فصحبه وخرج عن الدنيا
وكراماته كثيرة ، مات بالموصل رضي الله عنه .

ومنهم الشيخ خليل ، والعلم الطويل ، أحمد بن عنوان البجلي رضي
الله عنه ، صاحب سيدي أحمد البدوي بمكة أوائل جده وهو شيخ
الطريقة العلوانية المشهورة في اليمن والحجاز ، وكراماته مستفيضة مستمرة
إلى عهدنا هذا ، هذا ولو أردنا تعداد أصحاب سيدي أحمد وكراماتهم
ومناقبهم للزم أن نغرد لهم كتاباً مخصوصاً ، وقد اكتفينا بشهرتهم لكونها
غنية عن الإيضاح رضي الله عنهم أجمعين .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في طبقاته انوسطى عند ذكر
الرجال : ومنهم شيخ الحرقه أبو العباس أحمد البدوي الحسيب النسب

رضي الله عنه وشهرته في مصر والشام وأحجاز واليمن والهند والسند والروم والغرب تُغني عن تعريفه ، ولكن نذكر لك يا أخي جملة من أحواله على سبيل التبرك فأقول وبالله التوفيق .
 أعلم أن مولده بمدينة فاس بالمغرب ، فإن أجداده الشرعا انتقلوا أيام الحجاج إلى أرض المغرب لما كثرت القتل في الأشراف ، ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له في منامه يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لنا في ذلك شأنًا ، وذلك في سنة ثلاث ومئائة .

قال الشريف حسن أخو سيدي أحمد : فلما نزل عند عرب ورحل من عرب ويتنفلوننا بالترحيب والإكرام حتى دخل مكة في مدة أربع سنين ، فتلقنا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا وجلستنا عندهم في أرغد عيش حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين رستمية ، ودفن في باب المعلى وقبره جنتك بظاهر يزار في زاوية .

قال الشريف حسن : فأنصت أنا وإخوتي وكان أحمد أصغرنا سنًا وأشجعنا قلبًا ، وكان لكثرة ما يتلثم سميناه بالبدوي ، فأفترقه القرآن مع ولدي الحسين ، ولم يكن في فرسان مكة أشجع من أخي أحمد حتى كانوا يسمونه في مكة العظاب ، فلما جاءت المواهب الإثية وحادث عليه حادث السوء تغيرت أحواله واعتزل عن الناس ولازم الصمت ، فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة ، فلما حصلت له الجسعية استغفرته زلي الأيد ، ولم يزل حمله يزايد حتى كان من أمره ما كان ، ثم إنه في عتوان سنة ثلاث وثلاثين رستمية رأى في منامه ثلاث مرات قائلا يقول له . قم واطلب مطلع الشمس ، فإذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس ثم سر إلى

(طندنا) فإذن بها مقامك أنها الفتى . فاستيقظ من منامه وشاور أهله
وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها الأحياء والأموات ، فلما زارهم وأقام
عندهم مدة خرجنا بعد ذلك قاصدين (طندنا) فأحذق بنا الرجال من
سائر الأقطار بما رصرونا فأومأ إليهم سيدي أحمد فوقعوا ثم رجعوا هاربين ،
ومضينا إلى (أم عبدة) فزنا سيدي أحمد ابن الرفاعي ، وذهب سيدي
أحمد البدوي إلى فاطمة بنت بري ، وكانت امرأة لها حال عظيم وجمال
سديع وكانت تسب الرجال المواردين على العراق أحوالهم ، فسلها سيدي
أحمد وتابست على يديه ، وأخذ عليها العهد أنها لا تعرض لأحد بعد ذلك
اليوم ، وكان قد اجتمع معها قبائل كثيرة من العرب عونا لها على سيدي
أحمد فرجعوا كلهم إلى أمابكهم ، وكان يوماً مشهوداً بين الأولياء ، ثم إن
سيدي أحمد سمع قائلاً يقول له : سر إلى (طندنا) ورب الرجال ،
وذلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبائة فدخل رضي الله عنه إلى
مصر أولاً ، ثم قصد (طندنا) فدخل في الحال مسرعاً إلى دار ابن شحيطه
شيخ البلد ، فصعد إلى سطوح غرفه فأقام فوق السطح نحو اثني عشر
سنة ، وكان طول نهاره وليله واقفاً شاخصاً بصره إلى السماء ، وقد انقلب
سواد عينيه بحمرة تتولد كالخمر ، وكان يمكث الأربعين يوماً قائماً لا يأكل
ولا يشرب ولا ينام ذكره الخافظ ابن حجر رحمه الله ، ثم إنه نزل من السطح
إلى ناحية فيشأ المنارة فصحب بها عيد العمال وعيد المجيد ، فأما عبد المجيد
فسأله أن يكشف له عن ثامه ليرى وجهه فقال سيدي أحمد : يا عبد المجيد
كل نظرة بنفسي . فقال : يا سيدي أرى وجهك وتومت . فكشف الثمام
عن وجهه فحترَّ عبد المجيد ميتاً .

وأما عبد العال فعاش إلى أن مات سيدي أحمد واستُخلف بعده ورثي الرجال وفرتهم في نواحي البلاد ، وكان سيدي أحمد يري بالنظر قون سيدي عبد العال يأتيه بالرجل الخامل الخالي من المدد فينظر إليه نظرة فيملأ مدداً ، ويقول له : قل له يسكن البلد اتفاني هكذا تربيتك للرجال كان يقلب أعينهم بالنظر من غير مجاهدة وكل ذلك كان بالسطح الذي كان فوقه في دار ابن شحيمة ، ومن هنا كان الناس يقولون فلاناً من أصحاب السطح ، ويقولون سيدي أحمد السطوحي ، قالوا : ولما دخل سيدي أحمد (طندنا) كان هناك سيدي حسن الصايغ الأخائي وسيدي سالم المغربي ، وكان سيدي حسن يقول لما قرب نجيء سيد أحمد ما بقي لنا إقامة هنا صاحب البلاد قد جاء هنا ، فكان الناس لا يعرفون مراده فلما دخل سيدي أحمد خرج سيدي حسن إلى (أختنا) فأقام بها إلى أن مات وقبره ظاهر يزار إلى الآن ، وأقام سيدي سالم المغربي فسلم لسيدي أحمد إلى أن مات به (طندنا) وقبره قريب من مقام سيدي أحمد ، وأنكر بعضهم على سيدي أحمد قسلب وانظف اسمه وانصر جماعة من خطباء طندنا لسيدي وجه القبر صاحب الإيوان العالي بها وبينوا له منارة ، فجاء سيدي عبد العال ورفسها برجله فقارت إلى وقتها هذا ، ولما دخل سيدي أحمد إلى مصر خرج الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات هو وعسكره فلحقوا سيدي أحمد وأكرموا غاية الإكرام وأنزلوه في دار الضيافة ، وكان ينزل تزييناً لما أقام بتاحية (طندنا) وكان يعتقد اعتقاداً عظيماً . انتهى .

وليعلم أن سيدي أحمد السدوي أخذ الشيعة في بدايت عن الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمن التيسابوري ، ومنه بسبعة ومبايط تنتهي بيعته إلى

الإمام داود الطائفي إلى الأستاذ حبيب العجمي ، إلى سيد التابعين
 الحسن البصري ، إلى ابن عم المصطفى الإمام علي المرتضى كرم الله
 وجهه ، وأنها سلوكه وبنوغة النهاية ، وإيصاله النجاة ، وقع على يد الشيخ
 بري الرفاعي قدس الله سره كما تقدم . ولهذا أخذت طريقته فرعاً من
 الفروع الرفاعية نصحنا انتسابه رضي الله عنه لخرقة الشريعة الرفاعية .
 وتنسب إليه شعبة خرقة الشناوية ، والمثولية ، والبيومية ، والعلوانية ،
 والسفوحية . والمرزوقية ، وفروع أخر يجمع كل ذلك اسم الطريقة
 البدوية ، للنسوبة إليه رضي الله عنه توفي سنة خمس وسبعين ومئائة ،
 ومناقبه وكراماته وخواصل بركاته وعظيم مناقبه وحالاته كثيرة ، وفي بلاد
 المسلمين معروفة شهيرة ، نفعا الله به وبأتباعه وأتباعه ، وبجميع عباد
 الله الصالحين آمين .

﴿ وما نخرج عن الطريقة العلية الرفاعية ﴾

﴿ هذه الكتيبة الشريعة المحمدية ﴾

ومن فروع الطريقة الرفاعية سلسلة السادة الصيادية ، والأعزبية ،
 والحريرية ، والشمسية ، والكيالية ، والمهنية ، والعزيرية ،
 والجنيدية ، والعجلانية ، والمطنانية ، ومنها فرع الشعبة العلمية المنسوبة
 لشيخ بلاد الشام ، علم الأولياء الكرام الشيخ محمد العلمي الدمشقي ثم
 المقدسي قدس سره ، والواسطية وقد تقدم ذكر بعض رجالها ، والجبرتية
 ومنها فرع العبدرومية ، والزينية وهي المنسوبة إلى الإمام العارف بالله زين
 الدين أبي بكر الخوافي قدس سره العزيز ونسبته تتصل بالغوث الرفاعي
 رضي الله عنه بواسطة الشيخ أبو الفتح الواسطي نفعا الله به ، والنورية

وهي تنسب إلى الشيخ نور الدين حبيب الله الخديفي أحد أعيان السلالة
الضيادية ، والشاذلة العيسوية فإن يدعهم أحدية تنتهي إلى الوثني العزف
بأنه السيد أبي الحسن الشاذلي قدس سره ونسبة الشاذلي بالخرقة تنتهي إلى
الغوث الرفاعي من طُوق ثلاثة تقدم ذكرها .

﴿ ومما تفرع عن الطريقة العلية الرفاعية ﴾

﴿ سلسلة السادة الضيادية ﴾

وليعلم أن سلسلة السادة الضيادية تتصل بعظرة الغوث الرفاعي
رضي الله عنه من طريق سبطه القطب الفرد الجواد : مولانا وقدوسنا إلى الله
تعالى أبي التركات شيخ الشيوخ السيد عز الدين أحمد الصياد قدس الله
سره العزيز ، وتبعنا بعلومه الشريفة آمين .

وقد ترجمه جماعة أجيالاً من أعيان الشيوخ والفاضل العلماء ، وقد وقعت
له على ترجمة مختصرة جامعة كافية في باب في كتاب (قاموس العاشقين)
مؤلف البري الفاضل الكامل الزهبي ، انشيخ عبد المنعم العادي تزيل الشام
وهاهي بثبتها قال قدس سره :

سيدنا القطب الغوث الجامع الخاشع السَّجَّاد . صاحب الخوارق
العظيمة ، والأيادي الحسبية . السيد عز الدين أحمد الصياد ، سبط قوة
أعين الأولياء . إمام خلص الأصفياء ، مولانا السيد الشيخ أحمد الكبير
الرفاعي رضي الله عنهم أجمعين .

قال الشيخ الكبير أحمد الزبرجدي قدس سره في كتابه (الدرر الساقط)
وُلِدَ السيد المعارف بالله ، وليَّ الله ، شيخ وقته مولانا السيد عز الدين أحمد
الصياد ابن الإمام السيد عبد الرحيم الرفاعي الحسيني رضي الله عنها عام

أربع وسبعين وخمسة ، قبل وفاة جده لأمه غوث الثقلين ، أبي
العلمين ، سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه بأربع سنين ،
ولما كبر سلك على يد أخيه أبي الحسن عبد المحسن قدس سره ، وبصحبته
تخرج ونفقه ، وتلقى علم التفسير والحديث من الشيخ عبد المنعم
الواسطي عفي الجفن والإس ، واتفق فقراء هذه الطريقة وشيوخ الطائفة
على أنه لم يرفع طرفه إلى شيء قط حياة من الله تعالى ، وكان كثير الغشغش
والخيا من الله ، زائد البكاه قليل الكلام أجزاء جده الكبير الرفاعي رضي
الله عنه حال موته وهو ابن أربع سنين ، وشر به وأثنى عليه الخير ، وذكر
أن الأسود تزوره بعده ، ونوه على عاله من المكاة والمنزلة الرفيعة ، كان
أسمر اللون ، طويل القامة ، حسن الوجه ، أكمل البعيتين ، وسبع
الجبهة ، خفيف الوجود ، لطيف المنظر ، ذا هيئة وسكينة ووقار ، نوراني
الطلعة ، لا يتمكن الإنسان من إباحة النظر به لجلالة قدره ، تزوج بنت
عمه السيد عبد السلام قدس سره المسماة برفقة رجمها الله ، فاعقب منها
السيد عبد الرحيم فقط وتوفيت ولم تعقب غيره ، ثم لما اشتهر أمير السيد
عز الدين أحمد وعظم أمره ، وسار في الأفاق ذكره ، خاف على نفسه من
آفة الشهرة فخرج من العراق عام اثنين وعشرين وستائة وقصد الحجاز
وتشرف بزيارة جده سيد الأنام ، عليه أكمل الصلاة وأفضل السلام ، ثم
حج واعتمر وجاور بالمدينة المنورة تسعة سنين ، وظهرت على يديه
الكرامات وبني رباطاً في المدينة المنورة بالقرب من سفينة الرصاص معروفاً
برباط الرفاعي ، وأخذ عنه الطريقة ابن نميلة الحسيني حاكم المدينة على
ماكنها أفضل الصناعات والتليات ، والإمام عبد الكريم بن محمد

الرافعي القزويني صاحب الشرح الكبير على التوحيد والشيخ علم الدين بن محمد البخاوي صاحب شرح الشافعية والمفضل وغيرها من الكتب في كل علم . والشيخ العارف بالله تاج الدين الأبيدري ، وخلائق وتلميذ له أناس لا يحصى عددهم ، ودخل مصر عام ثمانية وثلاثين وستاية ، وأقام في المسجد الحسيني وأقبل عليه الناس وتلميذ له العلماء والشيخ وأكابر الرجال والأشراف ، وحضر مجلسه وحلقه ذكره جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله ، والنسب إليه خلق كثيرون وبنوا له بمصر رباطاً مباركاً في عتبة المساج ، وتزوج بذكرية خاتون من آل الملك الأفضل ، وأقام بمصر ستين ، وهاجر منها وترك زوجته ذرية حاملة فولدت له السيد عبي المعروف بابي الشباك الرفاعي في تلك السنة ، وبقي ولد عند أخواله آل الملك الأفضل ، وسبب شهرته بابي الشباك هو أن السيد عز الدين أحد الصيادين عزم على أخجرة فأن لزوجه خذني هذا العقد الجوهري ، فأن رزقك الله بتاً علقه لهُ في عنقها ، وإن رزقك الله غلاماً ذكراً تربطه بزندك على درنجه ، وهذا أنا سأذهب فإذا كبر المولود وأراد أن يجتمع علي ركعتي حيا فليات إلى هذا الشباك الذي سأخرج منه إن شاء الله وليضرب الشباك بيده فإنه يفتح له ويراني حيثما كنت وأراه بإذن الله ، ثم قام فضرب الشباك بيده ففتح له وخرج منه وغاب عن النظر ، وطاقم اليمن ونزل الشام ودخل دمشق وعمر زاوية في ميدان الخصاص تعرف بزاوية الرفاعي ، وخرج منها أيضاً وآل امره أن دخل (متكين) قرية من أعمال (معرة النعمان) من أعمال (حلب) نزل بها بعد الظهر سنة ثلاث وأربعين وستاية يوم خميس . وكان إذ ذاك في القرية المذكورة من أهلها الشيخ

صالح النصارى في الزاهد والشيخ عبد الرحمن بن علوان وفي بيته أخته
 الصالحة خضره أم الخير ، وكانت في غاية الجمال إلا أنها أقعدت من أربع
 سنين ، ففي تلك الليلة رأت في منامها رجلاً يقول : عليك هذا وأشار
 لها إلى رجل أسمر اللون ، طويل القامة ، حسن المنظر ، أسود اللحية ،
 خفيف العارضين ، رفيع القوام ، وسيع الجبهة ، أزهر اللون ، ثم قال
 لها : هذا صاحب السوق تمسكي بحبل ولايته ويعافيك الله ، فلما
 أصبحت أحبرت أخوها الشيخ عبد الرحمن بذلك وقالت بالله عليك تفقد
 قريتنا عل أن يقدم عليها اليوم أحد أهل الوقت فإن هذه إشارة صادقة ،
 فقام الشيخ عبد الرحمن وتفقد القرية فرأى الشيخ الأجل ، القطب
 الأكمل ، مولانا السيد أحمد انصياذ قدس سره ومعه ابن أخيه القطب
 الجليل ، الشيخ شرف الدين أبو بكر ابن مولانا الشيخ الأصيل ، السيد
 عبد المحسن أبي الحسن بن عبد الرحيم الرفاعي رضي الله عنهم ، فدعاه
 وابن أخيه إلى بيته ثم ذكر له رؤيا أخته وطلب منه أن يقرأ عليها مانيسر ،
 فطلب منه أن يعقد له عليها فأجاب فعقد له عليها فدخل رضي الله عنه
 عليها البيت وأخذ بيدها ، وقال : قومي بإذن الله فقامت في الحال وتزوج
 بها ومنها ذرية الطاهرة ، وأكرمهم شيخ الإسلام صدر الدين علي قدس
 سره .

وأما زوجته الحاتون ذرية حفيدة الملك الأفضل فإنها ولدت بعد هجرة
 السيد من مصر غلاماً نجيباً أديباً سمعته السيد عني ومرضت بعد ولادته
 فأسرته والدتها خبر العقد والكيفية التي جرت لها مع زوجها السيد أحمد
 قدس سره ، وتوفيت رحمة الله ، فكفنت ولدها السيد علي جدته وبقي

رضي الله عنه عند أحواله آل الملك الأفضل إلى أن بلغ حد الرجال ، وزهد
وتصوّف وعظّم الناس شأنه فدخل يوماً بيت جدته وبكى فسالته عن
السبب الذي أبكاه فقال : إني أودّ أن رأيت والدي وعرفته وعرفت عشرين
وخبر عزوتي من هو ، فقصّت عليه قصة عقد الجواهر وربطته على ذراعه
وعرفته الشباك الذي ضربه أبوه ، فجاء لجه الشباك وقرأ مايسّر وضرب
الشباك ففتح له وأبصر نفسه في (متكئ) بين يدي والده ، وتلقّى عنه
وبقي عنده أياماً والبسه خرقته وألغ عليه بالعود إلى مصر ، فعرفه أن
القسمة الأزلية خصّصته بمصر وحده ، ففزع لذلك ورجع كما أتى ،
وبعد ما كبرت شهرته في مصر ، وتخرّج أصحابه الرجال وانتسب إليه أهل
النظر المصري على الغالب ، وبني الرباط المشهور الملقون فيه الآن
بمحلة سوق العارضي ، ويقال سوق السلاح بالقرب من ربلة مصر وقبره
فيها ظاهراً يزار وتُعمل له موائد جليل بمصر .

وأما والده السيد عمر الدين أحمد الضياف فإنه عمّت بركته ، وظهرت
دولته ، وفاد الله إليه القلوب ، وبني الزوايا والرباطات بالشام وحمص ،
وقدم حمص على أصحابه الشيخ جمال الدين بن محمد الأمير وجعله شيخ
الرباط ، وأخذ عنه الشيخ الصوفي الشريف السيد القوث نزيل حبيب ابن
السيد الكبير عماد الدين ابن السيد شرف الدين الشرفي الحسيني الخراساني
رضي الله عنهم . وقصده الناس من العراق والمغرب والحجاز واليمن ،
وبلغ مريدوه حال حياته إلى مايزيد عن مائتي ألف ، وأظهر الله على يديه
العجائب وأكرمته بالخوارق ، وكان إذا حلّ بالناس قحط أو جديب
استسقوا به فيستقون ببركته ، وقد مرّ على أرض مزروعة كاه زرعتها أن

يتلف لعدم المطر ، فنزل عن دابته ومشى بين الزرع ويكى وقال مثنوياً
بقول القائل :

رجال إذا الدنيا دجت أشرقتم بهم وإن انحلت يوماً بهم ينزل الفطر
فيا شامساً بالموت لانشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم دُحر



ويخرج من الزرع فيخرج إلّا والسماء عطلت بالمطر ، وبقيت على ذلك
المنازل أياماً حتى استغاث الناس من كثرة المطر ، فدعا الله فانكشف المطر
وطلعت الشمس ، وكراماته كثيرة رضي الله عنه . انتهى .

وقال الإمام شيخ الإسلام أحمد بن جلال المنصري خليفة القطب الكبير
الحائز من الفضل الوافي ، مولانا الشيخ زين الدين أبي بكر الخوافي ،
الرفاعي الطريقة والشرب رضي الله عنهما في كتابه (جلاء الصدأ) عند
ذكر المرحوم نعمنا الله بعلومه : الإمام الكبير ، والعارف الخير ، الزكي
الأعراق ، الزاكي الأخلاق ، ذو الخصائل الحميدة ، والمعاني الثمينة ،
سمي النبي العظيم ، وكفي الرسول الكريم ، السيد أحمد أبو القاسم ابن
السيد عبد الرحيم ، كان قدس سره من عيار انقوام ذا حياء عظيم ،
وخلق حسن ، نالاً كسباب الله أثناء الليل وأطراف النهار بالخشوع
والتمذل ، والتكلم والتدبر ، ولما رجع من بيت الله الحرام زاده الله شرفاً
اختار الخلوة في رواقه وذكر الحي الذي لا يموت مع المداومة على قيام الليل
وحيام النهار وانسكوت نعمنا الله به وبأجداده الطاهرين أجمعين

وقال الإمام ، علم المحدثين الكرام ، عز الدين أحمد ابن الإمام أبي
إسحاق إبراهيم ابن الإمام الأجل أبي الفرج عمر الفاروق الواسطي ثم

الكاكازوني في كتابه (النفعة المسكية) : السيد أبو القاسم عز الدين أحمد الكبير ويلقب بالصياد ، هاجر من العراق إلى الحجاز ثم إلى اليمن ومصر وتزوج فيها من آل تلك الأفضل ، وأعقب بها السيد علي وتركه عند أحواله وهاجر إلى الشام ، كل ذلك خيفة الشهرة ولكيلا يشتغل بالخلق عن الخلق ، وقال بعد كلام طويل : اشتهر أمر السيد أحمد عز الدين أبي القاسم الصياد ، ويقال له في الشام أبو علي ، وفي اليمن أبو الخير ، وقد جعله جدّه بيده وعظم شأنه وبشر به واثق عليه وقال فيه : ستكون له دولة عظيمة وتزوره الأسود . انتهى .

وقال في (جلاء الصدا) : إنه جدّه رضي الله عنه اجلسه على ركبته في زمان طفولته وقبله ولم يكن يُعهد ذلك منه لأحد ، وقال رضي الله تعالى عنه : يكون له دولة وشأن كبير وشهرة . وبعدني تزوره الأسود التي في هذه البقعة . انتهى .

وقال الشيخ عبد العزيز العاني في (المواهب الجميدة) : قال الشيخ شرف الدين أبو بكر ابن عبد المحسن أبي حسن الرفاعي رضي الله عنهما تسامع السيد أحمد الصياد قدس سره حين سافر إلى الحجاز ، فسرنا بغيرتنا من مشرق (هيت) بأرض خالية يقال لها (الجرف) وقد أضربنا العطش حتى كادت القافلة تهلك ، فتفقدنا الماء فلم نجد أثرًا للماء ، فجاء كل من في القافلة وبكى أمام السيد أحمد فتواجد وضرب بعضاء الأرض اتبع ماء غلظ الاصبع من محل ضرب العصا ، فشرب القافلة والدواب ومشيينا عن أحسن حال ، ثم رجعت بعد أن مشيت القافلة فلم أر الماء ، فقلت : يا سيدي غاب الماء ليت لو بقي للناس . فقال : شربت

وشرب الناس من ماء العناية والله تعالى رحيم رؤوف بعباده ، فدفع الخلق إلى الخلق . ثم قال الشيخ شرف الدين قدس سره : وكنا كنا مررنا على نهر ماء استقله السمك من النهر إلى الشاطئ ، وازدحم على قدميه رضي الله عنه ، وكذلك الدواب والوحوش والغزلان في البر الأقصر حتى أن الحيوانات نراها تقف له على حافتي الطريق كالرجال المدعنة تزدهم على ثم قدميه الشريسين . وقال بعض تلامذته : وقع في زرع أهائي (متكون) ناز عظيمة في يوم كثير الهواء شديد الريح فالتجأ اليه ، فخرج من باب رباطه المبارك وأُخِّمَ نحو محل النار وقال : لا إله إلا الله . فإِثْمَ كَلَامِهِ إِلَّا وَالنَّارُ خَدَّتْ وَتَمَّ يَبْقَى لَهَا الْوَيْلُ إِذْ قَالَ اللَّهُ ، ومات أحد إخوانه فجاءت فجاءت إليه أُمُّ المَيِّتِ وهو ساجد في صلاة الضحى فتأخر في سجوده ، فقالت : وحقت لم بقيت إلى يوم القيامة ساجداً ما تركتكَ إِلَّا بولندي . فرفع رأسه الشريف باكياً وإذا بالمريد قد قام حياً فسجد شكراً لله تعالى ؛

وقال الشيخ شرف الدين أبو بكر الرفاعي . قال لي عمي وشيخي وقرة عيني السيد أحمد الصياد قدس سره العزيز لما دخلنا (متكون) وعاقب الله تعالى خضره أُمُّ الخَيْرِ زوجته على يديه : يا شرف الدين طاب لك في (متكون) يشير إلى طول المكث بها وكان الأمر كذلك ؛ وقال : كان عمي السيد أحمد الصياد جبلاً راسخاً في الطريقة ، وإماماً عارفاً عالماً عاملاً بالشرعة ، وله كتاب (الأنوار المحمدية في الوصايف الأحمدية) جمع به فأوعى ، وله حزب الجوهرة ، وهو حزب جليل مجرب لقضاء الحاجات سُلم طائلي ، ولحلل المهبات فزاع كافل ، وعلى العدو كاتيف القاطع

وله أنوار كثيرة ، وأحزاب شهيرة ، وأحوال ووارثات ، وخوارق عادات ،
ومناقب يعي الحاسب عدّها ، لنفعنا الله والمسلمين بعلومه آمين .
انتهى .

قال في (الدر المنقط) : سبب اشتهار السيد أحمد الثاني ابن السيد
عبد الرحيم الرفاعي بالصياد هو أن ملك العجم جاء إلى زيارته بواسط ،
فأعجبه حاله وما هو عليه وحسن اعتقاده به . فقال له . أي سيدي لا
صنعة لك ولا كسب وإنّي أريد أن أعطيك خمسة عيالك وفقرائك من
القرابا ما تصلح به شأنك . فقال رضي الله عنه : لي صنعة وهي الصيد
وأدخل يده تحت مرقعته فألقى في المجلس أسدين مربوطين بحبل من ليف
الأنخل ، وقال : وعرة ربي صيدهما من قلاة برقع الخراب . فقال الملك :
أنعم بك من صياد . واشتهر بذلك ، وبسبب هذه الشهرة خاف على
نفسه من آفة الظهور فهاجر من واسط رضي الله عنه ، وعن إخوته أولياء
الله المخلصين المتجربين من الأغيار الموقنين به تعالى لا بغيره . وكان مع
ما كان عليه من العبادة ينظم الشعر في بدايته ، وسكت عنه في عهده ،
وانقطع عن الأغيار وانقطعت عنه حباؤها بالكلية ، وكان في نهاية أمره كثير
اليكاء والأحزان ، مشغولاً بالله عن الأكوان ، يقطع الأوقات بالاذكار
والسلاوات ، قلبه بسجوده مشغوف ، وسره عليه ملهوف ، ومن شعره
هذا البيت :

صاحبت أهلك في هلاك وهم عدا ولأجل عين ألف عين تكرم

* * *

وكان كثيراً ما يمثل بقول سيدنا الشيخ منصور الواسطي البطائحي نحال
القطب الأكبر سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنهما :

روحي القدا للنازليين بمهجتي وأحضرين مع الفؤاد الطائب
أبكي إذا فُكُرت ظلول ربوعهم ألبأ من القلب الكتيب المذائب
وأُتوب عن ذكر الشؤى طمعاً بهم والاستقامة أصل صبيئ الثائب

■ ■ ■

انتهى .

توفي رضي الله عنه سنة سبعين ومئماية ، وله من العمر ست وتسعون
سنة ، ودفن في القبة المباركة المنورة بمرقدہ العالي تجاه جامع الرباط ، وفي
سنة وفاته توفي ابن أخيه الشيخ شرف الدين أبو بكر ابن القطب المتمكن
أبي الحسن عبد المحسن الرفاعي قدس سره بعده بأيام قلائل . ودفنوه في
الجامع عند الشباك تجاه قبة عمه رضي الله عنهما ، ويحسن أن نقول في
الإمام الصياد رضي عنه الملك الجواد :

ذا القطب نائب شيخ ﴿أم عبيدة﴾ غوث السيرة منقط الطهضان
سبط الرفاعي الخليل من انبيى للمصطفى من أصده الطرفان

■ * ■

﴿وما تفرع عن الطريقة العلية الرفاعية﴾

﴿فروع من السلسلة الصيادية﴾

وهذه التعصبات الفاسخة فروع منها البزية النسوية للشيخ منصور
الصغير الملقب بالجاز الأشهب أبي الصفا ، والشبابة النسوية للشيخ علي
أبي الشباك المتقدم ذكره وغيرهما فنعنا الله بهم أجمعين .

﴿ وما تفرع عن الطريقة العلمية الرفاعية ﴾

﴿ سلسلة السادة الأعزبية ﴾

ومن افروع الجليئة الرفاعية ، سلسلة السادة الأعزبية ، وهي التي
تصل بحضرة العوث الرفاعي رضي الله عنه من طريق سبطه القطب
العوث الأنجب ، والصمصام الأنطاب ، والمصنف الأهيب ، شيخ وقته
محيي الدين أبي إسحاق مولانا السيد إبراهيم الأعرب ، رضي الله عنه .
قال في ﴿ جلاء الصدا ﴾ عند ذكره : تخلّف بعد عمه فقام بعده
بالتحلق موضعية وسيرة حسنة ، وكان حياة من الله تعالى في مرتبة أنه ما رفع
رأسه إلى السماء أربعين سنة ، يتنع بالدون من العيش في الدنيا الدنية ،
ويمنع نفسه من لذيل الأطعمة والأشربة الشهية ، يلبس القصير الحسن
من الثياب ، ورجة ورعية إلى المثلث العزيز الوهاب ، لم يجمع بين قميصين
ولم يتجاوز قميصه رؤوس أصابعه أسوة بجلده الإمام الأجل ، وكانت عمالته
خزاعاً أو أقل ، مائتة الماء لأجله قط باختيار ، وكان طيقه الأرض وصانوبه
الجلدور ، يراعي الأراميل والأبدان ، ويصاحب الغرباء على الدوام ،
والاقتصاد بآثار جده شعاره ، والتمسك بديه دثاره ، والسخاوة والحياء
اختياره ، وكان يقول : أنا يتيم الرواق . وبذلك كان افتخاره . وهكذا
قال له جده إمام الأفاق : أي إبراهيم أنت يتيم الرواق . يوفر الكبار
وبراعهم ، ويرحم الصغار ويدارهم ، التواضع والخشوع سنة ،
والتخضع والتنوع ديدنه ، يحترم المشايخ والعلماء ، وبذل أهل الدنيا
وميتهم ولا يقوم لهم كائناً من كان ، مسكته بحيث يدفع عنه الحر والبر
والمكنه في الليل كان له ورداً ، والفقراء في زمانه كانوا ذوي عزة واحترام ،

يجعلهم وإبراهيم بالإكرام ، وكان من نعم الله تعالى عليه أنه تربي على غدة جده وأبيه وحمله ، وكان إذا سُئِلَ عن حال أبيّ أو نبيّ يخبر عن أحوالهم ، فُكِّلَ عن حال الخليل عليه الصلاة والسلام فقال : مجموع صفاته وبين كيفية أعضائه ، وكان في مجلسه رجل من أهل العلم فقال له الفقراء ما قاله السيد إبراهيم في شأن الخليل ، فقال الفقيه : ما وجدنا ذلك في كتب ولا سمعناه عن أحد . فسمع السيد إبراهيم قوله فتبسم وأشار بيده إلى نحوه ، فنظر الفقيه إلى ذلك المكان فصرخ صرخة وقام ووقع على وجهه مغشياً عليه ، فلما أفاق قال للفقراء : رأيت الخليل عليه الصلاة والسلام وقد تعرّى ويرى أعضائه السيد إبراهيم . وكان يسافر كثيراً ويقول : كلّفني الله تعالى بالسفر .

قال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه للسيد إبراهيم يوماً في الخلوة قم واخلفني . فقام وخلقه وأدخل أسنانه في فيه وجعل يزيده فيه ، فدخلت عنقهما الست رابعة فحدرت وقالت : ينبغي أن يكون ذلك لولدك صالح ، فقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه : صالح ولدك وإبراهيم أيضاً ولدك ، صالح غني وإبراهيم مسكين ، وقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه له في حكاية طويلة : أي إبراهيم رمى العزيز محبتي وشعبتك في الماء وأهواه فكل من شرب الماء وشم الأهواء أحبني وأحبك فعمل ما يحبون يحبونك . وكان السيد إبراهيم يمدح نفسه بهذا البيت ، شعراً :

نرى تخلف الألبام مثلي لكم فتى طويل نجاد السيف رحب الظل

• • •

وكان يشد أيضاً -

أنكم تجعل الجسد شجاعاً أنكم يورث السباح بخيلاً

♦ ♦ ♦

وله أيضاً :

حسب وشاة الحي إن لم يرحموا دنواً نعلل بالمسوى استقامه

♦ ♦ ♦

وذكر الحمذاني في كتبه (بهجة الأسرار) الذي ألفه في مناقب الشيخ
عبد القادر الجيلاني قنس الله سره عند ذكر الشيخ إبراهيم الأعرابي نعمنا
الله به مانعه : ومنهم الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الملقب بالأعرجي ،
رضي الله عنه ، هذا الشيخ من أعيان مشايخ البطائع وأعلام العارفين ،
وحيدور المحققين ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والأحوال الفاضلة ،
والمعارف الزاهرة ، والخفايا الباهرة ، والعلوم الدنية ، والمعاني التورية ،
صاحب المقامات الجليلة والمراتب العلية ، والفصح الموفق في معادن
الأسرار ، والكشف المشرق في مطالع الأنوار ، والافتتاح الموضح عن
حقائق الآيات ، والنظر الجاني بعرائس المغيبات ، له المجلس العالي في
حضائر انقدس ، والمشرّب الحلي من مناهل الوصل ، والمقر السامي في
أرائك القرب ، والمنهاج الموطأ على متن المثلوكوت إلى ملك الجبروت ،
والمعراج الأعلى فوق مراقبي الصعود إلى حضرة الشهود ، وله التقدم في
التعالي والتصدر في الشفائي ، والسبق إلى حلقات المعامد والمعالي ،
والجمع بين أطراف السعادة والتهاني ، وله الباع الطويل في علوم
المسازلات ، واليد البيضاء في معاني المشاهدات ، والفراغ الرحب في

انصرفت الخارق ، والقدم الراسخ في التمكن الواسع ، وهو أحد من
 أظهره الله تعالى إلى الوجود وصرفه في الكون وخرق له العادات ، وأظهر
 على يديه الخوارق ، وأنطقه بالغيبيات ، وأجرى على لسانه الحكم ومكنه
 من أحوال القيامة ، ومكنه أسرار الولاية ، ونصبه قدوة وخجة وهو أحد
 أركان هذا الشأن وإمام أئمة ساداته ، وأعلم العلماء بأحكامه ، وأولي
 الأيدي والابصار بمناهجته عملاً وعملاً ، وزهداً وتحققاً ، ورياسة وجلالة
 صاحب خاله الشيخ آبا العباس أحمد بن أبي الحسن بن الرفاعي رضي الله
 عنه وأخذ عنه عهد الطريق ، وتخرج به ولقي جماعة من مشايخ العراق
 رضي الله عنه انتهت إليه رياسة هذا الشأن بالطايع في وقته ، وتخرج به
 غير واحد من أهل البطايع وغيرهم ، وانتمى إليه جماعة من الأكابر ،
 وتلمذ له خلق من الصالحاء ، واجتمع عنده أئمة من المريدين الصادقين ،
 وانضموا بكلامه وصحبته ، خلف أباه الشيخ آبا الحسن علياً بعد وفاته في
 المشيخة يروى (أم غيبدة) وكان أجل أهل زمانه يومئذ ، وكان قيمياً بنفسي
 أنه يحل المشكلات الواردة مؤيداً في كشف حقيقات الأحوال ، وكان ظريفاً
 جميلاً كريماً متواضعاً خاشعاً ذا حياء وافر وعقل ودين صلب محباً لأهل
 العلم ، مكرماً لأهل الدين ، شديد التواضع ، يحفظ الجناح ، دائم
 البشر ، مشتملاً على أكرم الشيم ، وأشرف الصفات ، وأجل الأخلاق ،
 وأكمل الآداب ، وكان عالماً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله
 عنه يلبس لباس العلماء ويتكلم على أصحابه ، وكان له كلام عال على
 لسان أهل المعارف .

وعدد الحمداني في البهجة للسيد إبراهيم الأعزب رضي الله عنه المناقب

الكثيرة ، والكلمات البديعة وأطلق في ترجمته ، وقال بعد كلام طويل :
أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس الحضرمي
عبد الله الحسيني الموصل ، قال سمعت الشيخ العالم العارف أبا الفرج
حسن الدويري المصري المقرئ يقول : حكى لنا بعض أصحابنا الصالحين
أنه حضر معاً بـ (أم غبيدة) فيه الشيخ إبراهيم الأعزب وفيه أكثر من
سبعة آلاف رجل وأنا في آخر الناس بحيث نعر علي رؤية الشيخ إبراهيم
نبحه عني ، فخطر في نفسي إنكار علي رؤية الشيخ إبراهيم لبعده عني ،
وخطر في نفسي إنكار علي جميعهم ، فلم يتم خاطري حتى جاء الشيخ
إبراهيم يشق صفوف الناس حتى وقف علي وعرك أذني وقال : يا بني إياك
والاعتراض علي أهل الله تعالى ولو وجدت ما وجدت لانتكر عليهم . ثم
ولى عني فحدثت لوجهي معشياً علي فحملت إليه فقال لي : يا بني أتعلم
أن قلوب الخلق بين أيدينا كالمصاييح من وراء الستارة نشهدها رأي
العين ، وهل يخفي الحبيب عن حبيبه شيئاً ؟ أخبرنا الفقيه العالم التامك
برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الصالح بقية السلف أبي زكريا
يحيى بن يوسف العسقلاني الحنبلي قال : سمعت أبي رحمه الله تعالى
يقول : مرضت مرضاً ظننت أني منه ميت ، فذكرت ذلك للشيخ إبراهيم
الأعزب رضي الله عنه وكنت عنده يومئذ زائراً بـ (أم غبيدة) فأطرق
الشيخ ساعة ثم قال لي : يا سيدي أنت ماتت في هذه المدة قد بقي من
عمرك عدة زمان طويل ، قال : وعاش والذي رحمه الله تعالى بعد ذلك
أكثر من خمسين سنة . أخبرنا الشيخ الصالح أبو المحاسن يوسف بن أبي
العباس أحمد ابن شبيب المقرئ المصري ، قال : سمعت الشيخ المقرئ

الغمامة العدل أبا طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن عبد السمیع
 الهاشمي الواسطي يقول : جمع أبو إسحاق إبراهيم الأعزب رضي الله عنه
 مریدیه ذوي الأحوال وحظيهم وأبلغ ، ثم قال : استغفرت الله تعالى لكم
 في أن آخذ منكم أحوالكم وأخبرها لكم عند الله تعالى ليزكيها لكم عنده
 فإني آفأت الحياة كثيرة وإني خلعت عليكم منها . أخبرنا أبو محمد أحمد بن
 أبي النجاة سالم بن يوسف الهاشمي الموصلي قال : سمعت الشيخ العالم
 العارف أبا عبد الرحيم عكرين عبد الرحيم النخعي بها ، قال :
 حضرت برواق (أم عبدة) ساعاً فيه الشيخ إبراهيم الأعزب رضي الله
 عنه فأنشد القول :

زمانی بالنشدود کما ترانی	وألبي الغمام ففقد برانی
ووقتی کله حلو لیدی	إذا ما كان مولای برانی
رضیت یصنعه فی کل حال	ولست یکاره ما قد رمانی
فیا من لیس یشهد ما أراه	لقد عجبت من عینی ترانی

• • •

فتواجه الشيخ إبراهيم ووثب على اخوى على رؤوس الناس ثم انشد
 يقول :

إذا كنت أضمزت غداً أو همت به	يوماً فلا بلغت روعي أمانيها
أو كانت العين ممد فارقتكم نظرت	شيك سواكم فخانتها أمانيها
أو كانت النفس تدعوني إلى سكن	سواك فاحتكمت فيها أعاديها
وما تنفست إلا كنت في نفسي	تجري بك الروح مني في مجاريها
كم دعة فيك لي ما كنت أجريها	وليلة كنت أفنى فيك أقيها

حاشا فانت حل النور من بصري تجري بك النفس منها في مجارها
ما في جوانح صدري بعد جانحة إلا وجدتك فيها قبل ما فيها

■ ■ ■

ثم أشد أيضاً :

حال قلوب العارفين بروفه الحية من دونها حجب الرب
معسكة فيها ومجلى ثمارها تنسم روح الأنس بالله في القرب
جباها فأدناها فحازت مدى الطوى فتولا مدى الأمان ماتت من الحب

■ ■ ■

فصاح الشيخ إبراهيم ونادى بالمرجان ، قال : فرأيت رجال الخب
بزنون عليه من الطوى منى وثلاث ورياح يقولون : نبيك لييك

مكس رضي الله عنه (أُم غبيدة) بأرض البطايح وبها مات سنة تسع
ومستأية ودفن بها ، وقبره هناك ظاهر يزار ، وكسفت الشمس يوم موته ،
فقال الشيخ علي القرشي رضي الله عنه وكان حشد بدمشق : قد كُسفت
اليوم شمس السماء وعابت شمس الأرض . فقيل : ومن شمس
الأرض ؟ فقال : الشيخ إبراهيم الأعزب رضي الله عنه .

﴿ ومن الفروع الشريفة العلوية الرفاعية ﴾

﴿ خرقه السادة الكيالية ﴾

ولعصبائه^(١) الظاهرة تنتمي خرقه السادة الكيالية وهذه الشبة
المذكورة تنتهي إلى الشيخ العارف بالله صاحب الكرامات والبركات
والأخوان الشيخ إسماعيل المجذوب البلخي الحسيني المعروف بالكيال ،

(١) عمود الصير على اليد الشيخ إبراهيم الأعزب الذي تقدم ذكره رضي الله عنه .

وهو قدس سره ينتهي نسبته على (دعوى ذريته) إلى الإمام الحسين رضي الله عنه من جهة أبائه ، وللعنصر الشريف الرفاعي الحسيني من جهة أمه (وتبعاً لقولهم نص من التأخرين على ذلك صاحب قاموس العاشقين وحف في كتابه المذكور) ، وقد أخذ الطريقة العلية الرفاعية عن الشيخ نجم الدين الرفاعي ، وهو أخذها عن والده الشيخ قطب الدين ، عن والده الشيخ شمس الدين ، عن عمه السيد إبراهيم الأعزب ، عن عمه السيد عبد الرحيم ، عن أخيه السيد سيف الدين علي الرفاعي ، عن خاله وابن عم أبيه غوث الرجال ، وقطب أهل الكمال ، السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه ، سكن السيد إسماعيل الكيلاني قرية (تربة) من أعمال (حلب) كان ينفذ على العمل ويسقيه لإخوانه ، وقد أجرى الله على يديه أخواراً ، وتسلسلت في بيته الأولاء من ذريته إلى عهدنا هذا ، وقد ركب الجدار حالة ينفذ وجذبه فصار له ، وأمر الكيل أن يكتال القمح فبارك الله بالقمح واكتال الكيل للناس بنفسه من دون رجل تولي في حدود التسعمائة ، وذريته في (سمرين) و (إدلب) ونفس (حلب) الشهيرة) ونواحيها مشهورة ، ومناقبهم مأثورة ، نفعنا الله بهم وجميع أوليائه وعباده الصالحين آمين .

﴿ وما نخرج عن الطريقة العلية الرفاعية ﴾

﴿ سلسلة السادة الحريرية ﴾

ومن الفروع الشريفة الرفاعية سلسلة السادة الحريرية ، وهي تنتهي إلى الإمام العارف بالله صاحب العرفان الجم والفضل الشهير السيد علي أبي الحسن الحريري ، ابن السبط الأنجب ، والشريف الأدهب ، ذي

المآثر المحمودة والفخر الجلي السيد الشيخ عبد المحسن أبي الحسن علي ،
 ابن السيد عبد الرحيم الكبير الرفاعي ، قال في (النخبة المسكية) :
 سكن (يعني السيد علي أبا الحسن الحريري) قرية (حرير) من أعمال
 البصرة ، وهاجر إلى الشام وتزوج بأرضها وله قرية ، وتخرج بصحبته جمع
 غفير من الرجال ، منهم الشيخ علي أبو محمد الحريري ابن أبي الحسن بن
 منصور المروزي رحمه الله . قلت : وقد كان ابن منصور هذا على حال إلا
 أنه قد غلبت أحواله عليه في قدر على قبض لسانه ، فتقول فيه ما قيل .
 انتهى بحروقه .

وقد شنع طائفة من العلماء على الشيخ علي المروزي الحريري هذا وأخذ
 على الألسن : والذي أظنه أن السبب الأعظم في ذلك انقلابه عن الطريقة
 العلية الرفاعية ، وأخذ عن الشيخ علي المغربي تلميذ الشيخ رسلان
 النوكلي الحصري - نعمنا الله به - في حياة شيخه الشيخ علي البصري
 الحريري الرفاعي ، وقد اتفق القوم على أن الواقف بين شيخين كالواقف
 بين سيفين ، فلذلك كان من أمره ما كان كما هو مفصل في كتب التاريخ ،
 ثم بعد ذلك التجأ إلى شيخه الشيخ علي الحريري البصري الرفاعي ولزم
 رواقه بقرية (سُر) ويقال لها (بَصْر) قرية من أعمال حوران ، وبها مات
 في سنة خمس وأربعين وستماية ، ومنهم من رآه ومنهم من قبله والذي ثبت
 عنه أنه مات على أحسن حال ، وله كرامات وأحوال ، وقد ذكرناه هنا
 نعلم أن العائلة الحريرية الرفاعية غير الطائفة الحريرية المروزية ، فإن
 السيد علي أبا الحسن الرفاعي الحريري لم يطن فيه طائعين ، ولم يذكره
 بسوء ذاكر ، كان على قدم أجداده الطاهرين ، متمسكاً بآثار سيد

المرسلين ، انتهت إليه رئاسة الخرفة في وقته أعقب ذرية مباركة منهم الشيخ محيي الدين تريبيل (حمه) وصاحب الزاوية الرفاعية فيها ، اخذ عن أبيه السيد محيي عن أبيه السيد علي أبي الحسن الرفاعي ، وبقيت ذرية الشيخ محيي الدين الحريري الرفاعي في (حمه) على سير حسن وقدم طاهر وصحة منهج ، وقد تسلسل فيهم الخضوع والانكسار والبذل والسخاء وحب الفقراء ، وثبات التمسك بشريعة سيد الأنبياء ، سراً على قدم متفهم الظاهر ، في الباطن والظاهر ، نفعنا الله بأسلافهم وأخلافهم أجمعين .

﴿ ومن الفروع الشريفة العلوية الرفاعية ﴾

﴿ سلسلة السادة الشعية ﴾

ومن الفروع الشريفة الرفاعية ، سلسلة السادة الشعية ، وهي تنتهي إلى الإمام الهمام ، فخر بني رفاعه الأعلام ، ذي الشرف الموقد ، والعز المؤبد ، شيخ البيت الأحمدي مولانا السيد شمس الدين محمد رضي الله عنه ، كان إماماً جليلاً ، ومبدأ صوفياً نبيلاً ، استخلف بعد ابن عمه السيد إبراهيم الأعزب رضي الله عنهما في رواق (أم غميده) وأثنى عليه رجال العصر ، وترجمه العلماة الأعيان ، ورواه أعظم الشيوخ ، قال شيخ الإسلام ابن جلال في (جلاء الصدا) حين عدّد رجال البيت الأحمدي : ومنهم الإمام الصدر الحكيم ، والهام الحبر الحكيم ، حاوي محاسن الخصائل ، وجامع ثبات الفضائل ، طائر عش الولاية ، وباسط فرش الهداية ، الجيد العناية ، السرفيع الراية ، أبو السادة الأحمدية ، وسيد انفاذ الرفاعية ، صاحب المعارف والمعالي ، والمناصب العلوية العوالي ،

سمي حبيب الله ، المرشد الداعي إلى الله ، السيد شمس الشريعة
والدين محمد ، أكرمه الله تعالى بالنقاء المؤبد ، استخلف بعد ابن عمه
فقصده الإرشاد للخلائق ، ودعاهم إلى حقيقة الخلق ، كان مسكن
البلاء ، ومعدن الخياء ، ذا خلق فائق ، ورأي صائب ناجح ، وصوت
شجي ، وعقل سني ، ومر خفي ، يبكي في خلوته كثيراً ، وكان له حزن
عظيم وإذا قرأ كتاب الله تعالى بفرح كثيراً ، ولا يظهر الكرامات قط ،
ويقول إظهار الكرامات استدراج ، وإخفاءها سر ، وما ينبغي أن تظهر
الأسرار ، يقتضي آلاء جده رأس المهتدين ، ولا يتهاون بأمر يتعلق
بالمؤمنين ، يشاور الأصحاب ، ولا ينطق إلا بالصواب ، كان جده محبه
وبوصيه ، ويحبه ويؤنيه ، ويلقبه بالسديد ورمانة القبان ، وقال يوماً
للفقراء - أي فقراء علي خليفتي ، وعبد الرحيم خليفتي ، ولا فرق بيني
وبين محمد ، وسألت العزيز سبحانه أن يعطيه أكثر مما أعطى مثله أو دوره
فأعطاه .

ولما ولد أذن السيد الكبير في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وادخل
أصبعه في حلقه وضمه إلى صدره ودعى له بمجاميع الكلام ، وقال للسيد
عبد الرحيم : ابتك محمد حكيم الوقت ، وقال أيضاً له : في صوتك سر
من أسرار الله تعالى وعلمة الحق ، وقال أيضاً : لمحمد سر خفي من
الخلق ، وقال عمه السيد علي قدس سره : لو جرتني أهل السراوات وأهل
الأرض لثني أغلب عليهم إلا محمد ابن أخي طيني أراه بحرأمانه ساحل .

وقال السيد إبراهيم الأعزب قدس سره في شأنه : إنه بحر لا ساحل
له ولا يعرفه إلا الله تعالى . نقل أنه لما توفي السيد أحمد الرفاعي رضي الله

عنه أخذ كل واحد من أهل بيته قطعة من خرقته ، وقيل للسيد محمد أنت
أخذ قطعة من خرقته . فقال : أنا ما أرضى من جدي بقطعة من خرقته
أنا أطلب من جدي تحلقه .

ونقل أيضاً أنه في بغداد وقد أتمسوا به أن يصف لهم شيئاً من مناقب
جده ، فقال لهم : كيف أني عن أبي شجرة أنا فرعها . فقالوا : الحسن
والحسين رضي الله تعالى عنهما ينقلان مناقب رسول الله ﷺ وأفعاله .
فقال : لا مستباح الشريعة منها . وكان كثيراً ما يتشد هذه الآيات ويقول
هذه صلة أهل الزمان شعراً :

الناس في زمن الإقبال كالشجرة	من حولها الناس غدا امت بها الشجرة
حتى إذا ما انقصت من حولها نفروا	عنها جميعاً وقيد كانت بهم بيرة
مروءة الناس هذا الشأن كلهم	إلا القليل فابن العشر من عشرة
فإن غلغرت بمن تبقى مودته	فاعقد عليه بدأ واحتفظ له خطرة
ولا تنقف لأمرى من غير تجربة	فربما لم يوافق علمه نظره

• • •

وكان قدس سره يتشد شعراً :

الحب بحر لا يرام قراره

ضمحتناحه للعاشقين يفرق

• • •

وكان بعد وفاة جده يتشد شعراً :

والله ما طلعت شمس ولا غربت	إلا وذكرك مقرون بأشعاسي
ولا جلست إلى قوم أحد منهم	إلا وكنت خديشي بين جلاسي

ولا شربت لذيق الماء من قلماً إلا وجدت عيالاً منك في الكاس

♦ ♦ ♦

وكان ينشد أيضاً شعراً :

بِعَدَدِكُمْ مَا الدار طَيِّبَةٌ لَا وَلَا الْأوطَانُ أوطيان

♦ ♦ ♦

وكان قدس سره ينشد أيضاً شعراً :

بي منك نيران اقوى تلسع فكيف من هجرتك لا تجزع
فلان في مدّ قهت عن ناظري في كل عطر مقلة تدمع
اجنابي الشوق إلى نظرة منكم فمن ذا منكم يشمع

♦ ♦ ♦

كانت مدة خلافته سبع سنين وأشهر ، وتوفي في أول شهر رجب سنة
تسع عشرة ومائة ، وغسله محمد النقيب ودُفن عصر يومه في قبة جده .

﴿ ومن الفروع الشريفة العلية الرفاعية ﴾

﴿ ما تنفرع عن سلسلة السادة الشمية ﴾

ويتصل به ^(١) فروع جليلة ، فمن الفروع المتصلة به الفرع المنتهي إلى
الشيخ الأكبر ، واضم الأئمة - مولانا السيد محمد الخديدي الرفاعي
دعوى (الحديث) يُليده تقرب من راوة بين الحايور وبغداد ، كان ينفخ على
الجلاب ويسقيه لإخوانه ، وله خوارق عظيمة ، ومناقب كريمة ، منها أن
الأسود كانت تزوره في زاويته ، ينتهي نسيبه إلى السيد شمس الدين

(١) يعود القمبر على الحيد شمس الدين محمد بن السيد عبد الرحيم الذي تقدم ذكره رضي الله

محمد بن عبد الرحيم الرفاعي مات قدم الله سره في حدود التسعينات ،
ومناقبه أكثر من أن تذكر .

﴿ ومن الفروع الشريفة العلوية الرفاعية ﴾

﴿ هذا الفرع الطاهر والعلم الظاهر ﴾

ومهم الإمام الكبير ، وأعارف التحرير ، ولي الله السيد رجب الرفاعي
الكبير ولد رضي الله عنه في البصرة سنة تسعين وستة وهو الأخ الصغير
لسيدنا الشيخ تاج الدين ، ابن السيد شمس الدين محمد الرفاعي
الكبير ، سكن (أم غبيدة) وبها ولد^(١) وصار شيخ الرواق الأحدي بـ
(أم غبيدة) وهو ابن أربعة عشرة سنة ، أحرز مشيخة الرواق في سنة أربع
وسبعمائة التسعة التي توفي بها أخوه الشيخ تاج الدين بن شمس الدين بن
الرفاعي شيخ الأحذية بـ (أم غبيدة) كما ذكر ذلك ابن كثير في تاريخه .
وقد كبر شأن السيد رجب قدس سره ، وبرج وعظم حاله ، وأخذ عنه
الطريقة الرفاعية أجلاء مشايخ العراق ، واعتقد عليه إجماع الرجال في
واسط ، وشهرته في البطاح العراقية غنية عن التعريف ، عكف على علوم
الحقيقة ، واشتغل بامر الطريقة ، وأعرض عما في أيدي الخلق ، كان
كثير السكوت ، عظيم الأخلاق ، مهذباً مخلصاً ، رحمه رجال عصره ، بأعين
الاحترام ، ورويت عنه الكرامات التي لا تحصى ، منها أنه منى على عين
رجل انطمست بأبصرته فأبصر بإذن الله في الحال ، نسلت في ذريته

(١) ذكر أولاً ميلاده رضي الله عنه في البصرة وهذا قبل المؤلف سكن (أم غبيدة) وبها ولد فلما مرق
بين الأول والأخير لأن (أم غبيدة) من ضواحي البصرة فلابشوش القارىء فإن الأخير أراد
تعيين مكان ميلاده من البصرة وضواحيها .

المباركة الأولياء في العراق ، وسكن بعض ذريته البصرة بعد خراب واسط
وبقيت فيها إلى عهدنا هذا .

﴿ ومن الفروع الشريفة العلية الرفاعية ﴾

﴿ هذه النبعة الرجبية المحمدية ﴾

ومن بقيتهم ^(١) أحد رجال عصرنا العالم الجليل ، والسيد النبيل ،
عمدة العلماء والأشراف ، ومقخر آل عهد مناف ، السيد إبراهيم ، ابن
السيد بدر الدين ، ابن السيد مبارك ، ابن السيد صالح ، ابن السيد
رجب الصغير من بقية آل السيد رجب الكبير الرفاعي قدس سره ، وبني
السيد إبراهيم نقابة الأشراف في البصرة ثم وبني بعدها منصب الإفتاء
وبقي مفتياً حتى مات ، وله التصانيف الكثيرة العديدة ، والتأليف
الحميدة ، وحسن فيه طر الخاض والمعام ، وذكروا أنه حسنة من حسنات
الأيام ، انتهى عليه الصلحاء والعلماء ، وامتدحه البلغاء والشعراء ، ومن
جملة من مدحه الشاعر النبيل ، والفاضل الوجيه ، المرحوم السيد عبد
الغفار الأخرس نزيل بغداد الموصل الأصل ، فإن له فيه عدة قصائد ،
منها هذه القصيدة الفريدة ، وهي :

بقي السظل الغمام وجناء رسيا عفى من عالج لذيوار سلمى
وسخ عن منازلنا بنجيد ملث القطر نسكاباً وسجيا

(١) يعود الصغير عل ذرية وليّ الله السيد رجب الرفاعي الكبير بن السيد شمس الدين محمد
الرفاعي الكبير الذين تقدم ذكرهم رضي الله عنهم أجمعين ومن أسلافهم وأخلافهم وبقيتنا
سبح وبنوهمم وبحسب حكامهم وأقوالهم وأحوالهم آمين وصلى الله على جدهم الأعظم سيدنا
محمد حبيب رب العالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً إلى يوم الدين .

وعهد في الصريم مضى وصدت
بحيث الكاس تترع بالحنين
وما حيرة وصيا أصاب
تساعدني على اللذات معدني
وتعقرنا العقار وكم عقربنا
وليل ما برحت أدير فيه
أزوحها يابن المزن بكرا
واغنم الشرة بالسندامى
رعى الله الشياح وإن تولي
صحي سكران من خر النصابي
وصاخ إلى العذول وكان صبا
فمن لاح يعنفه لدميع
أزنتي من حوادثها الليالي
ومن لي أن تسالمتي الرزايا
أؤمل نفسي حر لم تعدي
ضلالا ما أعلل فيه نفسي
فما لي واخمسول وكل يوم
أراي إن عزمت على مهم
وإني سوف أركبها لأمر
وإن لياليا أعقرن عظمي
فبما للزمان لقد تعدني

أوانس غيده قهجرأ وصيرما
وغقد الشمل مثل العقد نظما
مرامأ باجتماعها ومزى
وتنعم لي بطيب الوصل نعمي
بها من هذه الأحشاء فما
معتقة تلذ لدي طعما
وأمرج صرورها برضاب ألمي
وكانت لذة الندماء غنما
وذكر عهد يومأ ليوما
وبذل يعد ذلك الجهل حلما
يرى لوم العلول أشد لوما
يكشف كفه مخافة أن ينما
أعاجيبا طالعبرات تدني
فما زالت لي الأرزاء خصما
أمانيتها إلى أجل مسمى
وقولي رثا وعسى وكما
تفوق لي خطوب الدهر سهبا
ثبت عني يد الأقدار عزما
أحاول شأوه إنما رثا
أضاعفتي وما ضيعت خزما
حدودا ما تعداهن قدما

أيسمو الجاهلون بغير علم ؟
تحول يازمان إلى الأعلى
لقد جهل الزمان بعلم مثلي
وكنيت أسود في زمن جهول
فريب من رسول الله يدعى
نعمته الأنجبون وكل قرم
فخلق من منا نور مبین
بنى الشرف الذي يعلو ويسمو
وشيده وإن رغبت أنوف
بناء قصرت عنه السواري
نائل في عظيم من قریش
عليه من رسول الله نور
إذا الأمر المهم دعى كفانا
شفاء للصدور وكم مريض
بروحى منك أزواج هاشمياً
لك النكليم التي جمعت فأوعت
وكم من حجة نطقت فظألت
وجئت بها بغير الفکر فيه
وقد أحيت هذا السدين علماً
وقومت الشريعة فيه حكماً
وكم أعصيت يا مولاي قوماً

فبروى من هزوت به وأظلماً
وخط بكسها فالشقص عما
وإن الجاهل بين نية غم
ولو أني كإبراهيم علماً
بأزكى العالمين أباً وأماً
إلى غير السورى يُعزى ويبنى
فكان الجواهر النبوي جسماً
فما أعلی ماله وأسمى
ولم يبرح لأنف الخصم زعماً
وما استطاعت له الحساد هداماً
نجد أمد الشرى والبدر ثماً
به يمسحو الظلام المظلماً
بدعوقه لنا ما قد أهتماً
يكنون له اشتجار الشهد سماً
حديد القلب واري الزند شهياً
تروح الملحدون بهن كظمي
لها فصحاء غير الحق عجباً
بياناً منك إماماً وفهياً
بحيث الدين قارب أن يوتى
ولم تر غير حكيم الله حكماً
بها فيها وكم أرضيت قوماً

أتكتم فضلك الحساء جهلاً ؟
 مناقبك التجوم وليس بدعاً
 وجدتك سيدي للمدح أهلاً
 وحبي منك جائزني دعاء
 أنال به الشواب بغير شك
 وليس بقي بفضلك كنه مدحي

* * *

وقال يمدحه أفاض علينا من مدده :

أبي السطّل الحديث أو القديم
 وقفت على رسوم دارسات
 ألا شفت منازل آل مبلى
 وحسني حيّ أحباب تناءت
 خلدي ياربح أنفاسي إليهم
 أكتفك بعدهم دعماً كريماً
 رعى الله الأحيّة كيف مرّت
 قضيت نعم عيش مرّ فيها
 وكم غصن هضرت به رطياً
 بحيث أزوج ابن المنزل ثماً
 أقل يعد الخميم وعهد سلح
 سقتها هذه الغيرات صوباً
 كأي حيث أسفها دعوى

بلوغ مرام صبّ من مَروم ؟
 وما يغني الوقوف على الرسوم
 بلدي سلم ورامة والقميم
 يقلب سار عن جسد مفيم
 وإن كانت أحرّ من الشموم
 جرى من لوعة الوجد الليم
 لوالهم بمسرح الصريم
 فلي إن جهلت عن التميم
 جني الزهر حُضِر الأديم
 عضدت حبابه بنت النُحوم
 نجاة من هموم أو غموم ؟
 تنرف به على الخيث العيم
 سقاني البين كاماً من حيم

تلوم بجهلها لياه ويجدي
 سألتك إن رأيت اللوم يجدي
 أما وحشاشة في القلب تركبو
 لقد عدم التصبر فيك قلبي
 وما أنا بعد من أهوى عليل
 وكم دنقا يكافضة سقيم
 وليت دون ذاك الحسي يرمى
 وأحباب أقاسي ما أقاسي
 هم نقضوا العهد وهم أضروا
 وذكرني بعدهم جنات عيش
 وفي دار السلام تركت قومي
 ولي في البصرة الفيحاء قوم
 جرى من صدر إبراهيم فيها
 من الأشراف أعلى من قرين
 إذا عُدَّت قروم بني معد
 عماد الدين قام اليوم فينا
 وقزع من رسول الله دلت
 ونجم في سماء المجد يهدي
 شهاب ثاقب لأزال يزكو
 يعيد ظلام ليل الشك صباحا
 يزيد عضلنا بدقيق فهم

وأين اللاعنون من اللوم ؟
 خليف البرجد حيثما ظومي
 غراماً يا أميمة كالغريم
 ومن يبغى الشراء من العديم ؟
 شفائي منه معتل السيم
 ولكن من هوى طرف سقيم
 فصرغ في سهام لحاظ ريم
 عذاباً من عذابهم الأليم
 بصددهم على الحث العظيم
 رماني في لظى نار الجحيم
 وما أنا من هواهم بالسليم
 أصول بهم على الخطب الجسيم
 على الدنيا ينابيع العلوم
 بهم شرف لزوم والحطيم
 فأول ما يُعد من القروم
 يأمر الله والدين القويم
 أطايبه على طيب الأروم
 إل نهج الصراط المستقيم
 فيقلب كل شيطان رجيم
 إذا ما كان كالليل البهيم
 غذاء للعقول وللأفهوم

ونرجع في الكلام إلى غير
تكاثر حلاوة الألفاظ منه
وروض من رفاض الفضل ضامى
يقصر بالبلاغة باع حسن
وانك إن نظرت إلى علاء
إذا ذكرت مناقبه انشينا
نفيد كرمك له خيم وجئت
وهل في السادة الأنجاء إلا
يفوق الدر في نشر ونظم
وإن المسك من نفحات شيخ
ولم يبرح يقابل مائليه
تعال بمنضله علماً وحسباً
فحاز مكارم الأخلاق ظراً
وفعت إلى علاء بنات فكر
أغار من البسام على القوافي
أماع عن قوافي الأداني

بكشف دقائق المعنى عليم
تعيد الروح في الجسم الرميم
يزهر كلامه زهر الشجر
ويقصر عنه فيس أبين الخطيم
نظرت إلى جبال من حلوم
وكسنت كالدامة الثلجيم
ونعيم الأكرمين أجل نعيم
كريم قد تفرع من كريم
إذا ماقيس في الدر النظيم
يفوق نوافج المسك الشميم
يحسن الخلق والطبع الحليم
تعلم فضل لقمان الحكيم
وحاشاه من الخلق البميم
فكانت منية الكفو الكريم
فلا يحظى بها حظ السليم
مماحة الغيور عن الحرم

• • •

ويحسن أن تذكر هنا البركة من السيد إبراهيم يلبس الخرقة إلى جده
شمس الحقيقة ، وإمام أهل الطريقة ، مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي
الله عنه لما فيه من البركة وحسن التصادف ، فإنه اتصل إليه من أب عن
أب من دون تحلل رجال أخر إلى السيد شمس الدين محمد سبط الغوث

الرفاعي أحمد ، نفعنا الله به ويعلموه الشريعة آمين ، فإنه أعني السيد إبراهيم ليس الخرقه وأخذ الطريق من أبيه السيد بشر الدين ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد مبارك ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد صالح ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد رجب ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد شعبان ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد محمد فروش ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد صالح ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد عبد الله ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد عبد الرحمن ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد حسن ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد حسين ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد يوسف ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد رجب ، وهو أخذ عن أبيه الشيخ السيد محمد محمد شمس الدين ، وهو أخذ عن جده الشيخ السيد الجليل ، والمرشد النبيل ، سلطان العارفين ، ومرشد السالكين ، حامي الحمى البصرة أبي العباس الشيخ السيد أحمد الكبير الرفاعي قدس الله أرواحه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين .

﴿ ومن الفروع الشريعة العلمية الرفاعية ﴾

﴿ سلسلة السادة العجلانية ﴾

ومن الفروع المباركة الرفاعية ، سلسلة السادة العجلانية ، وهي تنتهي إلى الغوث الرفاعي رضي الله عنه من طريق السيد الشريف أبي اليشائر محمد بن عجلان الحسيني تزيل الشام ، وجد السلالة العجلانية نقباء دمشق وشيوخ مشايخها ، وخرقته ترجع إلى الحضرة الرفاعية بوسائط جليلة الأثر ، من أعيان هذا البيت الأكابر ، على أنه قدس سره أخذ عن عمه شقيق والده السيّد العارف بالله صاحب الكرامات الظاهرة ، والمناقب

الفاخرة ، والمقام الشهير بمصر القاهرة ، مولانا الشيخ السيد صدر الدين الرفاعي ، وهو أخذ عن عز الدين حسن بن أحمد الرفاعي ، وهو أخذ عن أبيه شمس الدين أحمد بن محمد الرفاعي ، وهو أخذ عن والده الشيخ تاج الدين محمد بن أحمد الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ شمس الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ نجم الدين أحمد بن علي الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ قطب الدين أبي الحسن علي بن عبد الرحيم الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ شمس الدين محمد المعروف ببضة القضاة الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ محي الدين إبراهيم بن علي الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ مذهب الدين الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ سيف الدين علي بن عثمان الرفاعي ، وهو أخذ عن الشيخ الإمام العارف المحقق ، مربي المريدين ، ومرشد السالكين ، وقطب الواصلين ، القلم المشهور ، البيت المعصور ، سيدنا وأستاذنا السيد أحمد بن الرفاعي صاحب هذه الطريقة الغراء التي نحن سائقون عليها قدس الله سره العالي ، ونور ضريحه المتألي ، آمين .

﴿ ومن الفروع الشريفة العلوية الرفاعية ﴾

﴿ سلسلة السادة الجبرية ﴾

ومن الفروع الشريفة الرفاعية سلسلة السادة الجبرية ، وهي تنتهي إلى القطب العارف بالله ، ولي الله الشيخ إسماعيل بن أحمد الجبري نفعنا الله به ، وأنه تنتمي الشيعة العيدروسية ، فإن الشيخ الإمام ، بقية آل الرسول الكرام ، الشريف أبا بكر ابن عبد الله العيدروس ، أخذ الطريقة الرفاعية وسند الخرقه الأحمدية عن شيخه الإمام أقيام الشيخ عبد الله بن

أحمد باخرمة ، وهو عن الشيخ أبي شكيل محمد بن مسعود بن شكيل
 الأنصاري ، عن القاضي الشيخ محمد بن سعيد بن سعيد ، عن الشيخ أحمد
 الرضاء ، عن الشيخ إسماعيل بن أحمد الجبري ، عن الشيخ محمد بن أبي
 بكر الضجاعي ، عن الشيخ إبراهيم ابن عبد الله الضجاعي ، عن
 الشريف الشيخ محمد بن الشيخ حسين السمرقندي ، عن السيد
 حسين بن السيد أحمد الرفاعي ، عن أبيه السيد أحمد الرفاعي ، عن
 الشيخ تاج الدين ابن السيد شمس الدين محمد الرفاعي ، عن السيد
 أحمد بن السيد علي الرفاعي ، عن السيد علي الرفاعي ، عن السيد محمد
 الرفاعي ، عن القطب الأقرب السيد إبراهيم الأعزب ، عن عمه الأجل
 سيدنا السيد محمد الدين عبد الرحيم ، عن أخيه السيد الجليل سيف
 الدين علي بن عثمان ، عن سيدنا الغوث الأجل السيد أحمد الرفاعي
 الكبير رضي الله عنه ، ولا يخفى أن مؤلفات الإمام أبي بكر العبدرومي
 قدس سره في علوم الشريعة والحقيقة كثيرة جداً ، وقد خدم الحصة
 الرفاعية بكتاب مخصوص ألّفه في مناقب سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي
 وشرفه وأحواله وكراماته وأقواله مناه (النجم السامي في مناقب الغوث
 الرفاعي) وله أهمم العظيمة ، والمآثر الكريمة قال في (المشرع الرّوي في
 مناقب آل علوي) : أبو بكر بن عبد الله العبدرومي ، بن أبي بكر بن عبد
 الرحمن رضي الله عنه السيد الكبير ، عديم الميل والنظير ، وحيد زمانه على
 الإطلاق ، وحائز قصبات السبق على قرانه بالأضيق ، الذي لم ينسج
 الدهر بعد بمثاله ، وعجز من بعده أن ينسج على منواله ، رافع راية المجد
 والكرم ، والمفوّذ بمواهبه رقاب الأمم من العرب والعجم ، سيد السادات

الأشراف ، ومنتقى جواهرها الشفاف ، أفرد ترجمته بالتأليف العلامة محمد بن عمر بحرق ، في كتابه (مواهب القديس في مناقب ابن العبدروس) إلى أن قال : ولقد رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وثمانية به (تريم) المحروسة وقد ذكر العلامة محمد بحرق بعد أن وصف الشيخ أبي بكر العبدروسي العدني المشار إليه بقطانية وقته ، وعدد له المناقب الكثيرة ، والكرامات الوفيرة ، قال - توفي يوم الثلاثاء لأربع عشرة خلت من شوال سنة أربع عشر وتسعمائة ببندر (عدن) المشهور قال في المشرح الروي وقبره به كاشمس الضاحية ، يقصد للزيارة من كل ناحية ، نفعنا الله به وبأوليائه الله أجمعين :

﴿ ومن الفروع الشريفة العلوية الرفاعية ﴾

﴿ العزيزية وهي شعبة من الواسطية ﴾

ومن الفروع التي سبق ذكرها : العزيزية وهي شعبة من الواسطية أيضاً تنتهي للغوث الرفاعي من طريق الإمام الجليل المجمع على جلالته ورفيع قدره الشيخ عبد العزيز المدعري الديري الشافعي خليفة القطب الأجل الشيخ أبي الفتح الواسطي أحد أجيال خلقاء الحضرة الرفاعية والسببية تنتهي إلى الشيخ الجليل السيد السبسي دفين (الأساور) من بقاع (ملية) ومنه بواسط تنتهي إلى الحضرة الأحمدية : والجنالية المنسوبة إلى الشيخ العارف بالله أبي الرجال السيد محمد جندل الرفاعي قدس سره ، ومنه بواسط صحيحة إلى الحضرة الرفاعية ، وحيث أن الفروع الرفاعية كثيرة جداً كلها تؤول إلى مآذنها من الأصول فلذلك اكتفينا

بالإشارة إليها بهذا المقدار^(١) وسيتأتي في آخر الباب بعد تعداد الطرق - إن شاء الله - سند تشرفنا بالخزيفة الرقاعية ، ونبذة يسيرة تشير إلى جلالة قدر سيدنا الخوთ أبي العلمين رضي الله عنه ونفعنا والمسلمين بعلومه وبركاته آمين .

(١) ومعجمي قول الإمام السيد مروج الدين الرقاعي الفخروي رضي الله عنه بمناسبة الخزفة الرقاعية وعظيم لخبها ، وصنعة وصلها ، لفرب يد فاحها رضي الله عنه من يد رسول الله ﷺ مائة ومعنى وهو :

خرق السقم كلها بركات	ذات وصلي عار عن الانقطاع
واجل الجميع وصلاً وفتحاً	خرقة السيد الكبير الرقاعي

■ ■ ■

وإن ذلك أشار الإمام عبد العزيز اليميني بقوله ملخصاً : يس من خرفة بعد خرق الأتمة الأثني عشر وصوره الله عليهم آمم فتحاً ، وأعظم متعاً ، من خرفة السيد أحد الرقاعي رضي الله عنه لصنعة وصلها بيد رسول الله ﷺ حساً ومعنى انتهى . صح .

يقول محقق وصاحبة طيفل مائدة الآل : وجدت هذه الخاتمة في هامش الأصل ولكن هي أيضاً بمن قلم كاتب الأصل بدون أدنى اختلاف ولم يذكر صاحب الخاتمة اسم سوى نقطة (صح) الموجودة الآن بآخر الخاتمة ولكن كانت في الأصل بالحبر الأزهر وهذا مما يدل على أنها من استدارك واستحسان المؤلف ولحجية التخلو وعشرته أكبر دليل يؤكد ذلك .

﴿ الطريقة القادرية ﴾

﴿ وهنا ذكر سند الطريقة القادرية ﴾

﴿ وكيفية اتصال رجالها بسلسلة خرقه الصوفية ﴾

الطريقة القادرية تنتهي إلى القطب الغوث العارف الرباني : والأستاذ الكبير النوراني ، جامع محمد الزاوي والعالي ، أيار الأشهب أبي محمد محيي الدين مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العالي ، وثقنا به آمين .

وقد نسبته صاحب البهجة وغيره فقالوا : هو الشيخ عبد القادر ، بن أبي صالح جنكي . فمت موسى ، بن عبد الله ، بن يحيى الزاهد ، بن محمد ، بن داوود ، بن موسى ، بن عبد الله ، بن موسى الجون ، بن عبد الله المحض ، بن الحسن المثنى ، بن الإمام علم الإسلام سبط رسول الملك العلام ، صاحب الشرف المخلد ، ثاني أئمة أهل البيت الحسن أبي محمد ، بن أحمد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنه أجمعين . وأند رضي الله عنه سنة سبعين وأربعماية ببلدة جبالان من بلاد العجم ، وترجع في حجر والده إلى أن بلغ حد الرجاء ، ثم طرده الخال ، ومنحه الكريم النعال ، فخرج من بلدته إلى العراق ، واشتهر أمره بعد ذلك ورفقته ببصرة العظيم والتبجيل كل حين ، لمعت أنوار إرشاده في العراق ، فعمت بأشعتها الأفاق . فخرج بصحبة الشيخ المعارف بالله قدوة المحققين أبي الخير حماد بن مسلم النداسي ، وليس الخرقه من يد القاضي أبي سعيد يعلى بن المبارك ، بن علي النخرومي ، ولقي جماعة من أعيان زهاد زمانه ، واجتمع على عظماء

العارفين بالعجم والعراق ، قدم بغداد على مافي البهجة القادرية المسماة
 (بهجة الأسرار) سنة ثمان وثمانين وأربعماية ، قال مؤلف البهجة الخمداني
 بعد أن ذكر مقدمه المبارك إلى بغداد : قام رضي الله عنه في أخذ العنود
 الشرعية ، وفي تلقي الفنون الدينية ، حتى فاق أهل زمانه ، وتغير بين
 أقرانه ، وذكر عند ذكر سببه أنه سُئل عن مولده فقال لا أعلمه حقيقة لكنني
 قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي وعمره إذ ذاك ثمان عشرة
 سنة ، قلت : والتميمي هذا هو أبو محمد رزق الله ، بن عبد الوهاب ،
 ابن عبد العزيز ، بن الحارث ، بن أسد توفي سنة ثمان وثمانين وأربعماية .
 وبإسناده قال : ذكر أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافعي الجيلي الحلي
 رضي الله عنه أن مولد الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه سنة
 إحدى وسبعين وأربعماية بجيلان ، وأنه دخل بغداد سنة ثمان وثمانين
 وأربعماية وله من العمر ثمان عشرة سنة .

قيل : هو رضي الله عنه منسوب إلى جيل بكسر الجيم وسكون الجاء ،
 وهي بلاد متفرقة وهي وراء طبرستان وهناك ولد في (نيب) قصبة منها
 ويقال فيها أيضاً قرية على شاطئ دجلة على مسيرة يوم من بغداد مما يلي
 طريق واسط ، ويقال لها أيضاً : جيل ومن ثم يقال : كيل العجم وكيل
 العراق ، وأبو العبر ثابت بن منصور الكلي من كيل العراق ، وجيل أيضاً
 قرية تحت المدائن ، وقال الرواة أيضاً : جيلان منسوب إلى جده جيلان ،
 وأبو عبد الله الصومعي من جملة مشايخ جيلان ورؤساء زهادهم له الأخوان
 السنية والكرامات الجليلة . انتهى بحروفه .

وقال في البهجة أيضاً : كان شيخنا شيخ الإسلام محيي الدين عبد

القادر الجيلي رضي الله عنه نجيب البدن ، رُتِعَ القامة ، عريض الصدر ، عريض النحية ، طويلًا أسمر مقرون الحاجبين ، حقيقًا ذا صوت جهوري وسببت بهي ، وقد عَلِيَّ ، وعَلِمَ وفي رضي الله عنه .

قلت : وقد ظهر أمر الشيخ عبد القادر - رضي الله عنه - وعلا صيته وكثر شأنه ، وانتمى إليه معظم رجال عصره ، وشهد له أكابر وفته بالصولية والهمة والسلطة والنظية والعزومة ، وشهرته في العرب والعجم غنية عن تعريفه . وقد أفرد رجال من الصلحاء بكتب مخصوصة ذكروا فيها مناقبه ومعجائب أحواله الشريفة ، وما كان عليه من عظيم المنزلة ، ورفيع المرتبة والوجاهة وعلو الهمة ، وإقبال الخلق عليه ، وانتفاض القلوب إليه ، وقد جاهد نفسه - رضي الله عنه - كل الجهاد ، وأقل على الله وأعرض عن العبادة ، ودخل بغداد في التاريخ المتقدم الذي ذكره صاحب البيهجة ، ونقضه على جماعة من أعيان علماء العراق حينئذ وهم أبو الوفاء علي بن عتيق ، وأبو الخطاب محفوظ بن أحمد النكوداني ، وأبو الحسن محمد بن القاضي أبي بكر محمد بن الحسين بن محمد الفراء ، وأبو سعيد ابن المبارك المخزومي ، وسمع الحديث من جماعة منهم أبو غالب محمد بن الحسن الباقلائي ، وأبو سعيد ابن عبد الكريم بن حيش ، وأبو انفذايم محمد بن علي بن محمد بن ميمون وغيرهم ، وقرأ الأدب على أبي زكريا التبريزي رحيم الله أجمعين ، ثم بعد ذلك كثر طرقة وارد الحال فخرج إلى البرادي وترك العمران واشتغل بالمجاهدة ، قال في البيهجة : «وبأسناده إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه كان يقول على الكرسي ببغداد مكثت خمسًا وعشرين سنة متجردًا ساكنًا في برادي العراق وغرابه ، وأربعين سنة

أصلي الصبح بوضوء العشاء ، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء ثم استفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة ، وبدي في ركد مضروب في حائط خوف النوم حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السحر ، وكنت ليلة طالبا في سلم فقلت لي نفسي لو نمت ساعة ثم قمت فوقفت موضع خطرت لي هذا وانتصبت على رجل واحدة واستفتحت القرآن حتى انتهيت إلى آخره وأنا على هذه الحالة ، وكنت من الثلاثة أيام إلى الأربعين يوماً لا أكل ولا أجد ما أقتات به ، وكان يأتيني إبليس في صورة فأصبح عليه فيذهب ، وكانت الدنيا تأتيني في زخارفها وشهواتها في صور حسان وقبح فأصبح عليها فتفر هاربة ، وأقمت في البرج المسمى الآن ببرج العجم إحدى عشرة سنة ولطفول إقامتي فيه سمي برج العجمي ، وكنت بائعت الله عز وجل فيه أن لا أكل حتى أظم ولا أشرب حتى أسقى فبقيت مدة أربعين يوماً لا أكل ولا أشرب شيئا ، فبعد الأربعين يوماً جاء رجل ومعه خبز وطعام فوضعه بين يدي ومضى وتركني ، فكادت نفسي تقع على الطعام من شدة الجوع فقلت والله لاحت عينا عاهدت ربى - نيلك وتعالى - عليه ، فسمعت صارخا من باطني يشادي الجوع فلم أرتع فاجتاز بي الشيخ أبو سعيد المخزومي فسمع الصارخ فدخل علي فقال : ما هذا يا عبد القادر ؟ قلت : هذا قلبي النفس وأما الروح فسكنة إلى مولاهما عز وجل . قال : تعال إلي إلى باب الأرج . ومضى وتركني على حالتي ، فقلت لي نفسي : ما أخرج من هذا إلا يأمر . فجدته أبو العباس الخضر وقال : قم وانطلق إلى أبي سعيد . فجدته فإذا هو واقف على باب داره وينتظري . فقال : يا عبد القادر ألم يكفك قولي لك تعال حتى أمرك الخضر يا امرئك ، ثم أدخلني

داره فوجدت طعماً مهيئاً فجلس ولقمني حتى شبعت ، ثم ألبسني الخرقة بيده ولازمت الاشتغال عليه وكنت قبل ذلك في سباحاتي فأثاني شخص صديقي قط ، فقال لي : هل لك في الصحبة ؟ قلت : نعم . قال : بشرط أن لا تخافني . قلت : نعم . قال : اجلس هنا حتى آتيك . وغاب عني سنة ثم عاد إلي وأنا في مكاني ذلك فجلس عندي ساعة ، ثم قام وقال : لا تخرج من مكانك حتى أعود إليك . فغاب عني سنة أخرى ثم جاء وأنا في مكاني ، فجلس عندي ساعة ثم قام وقال : لا تخرج من مكانك حتى أعود إليك . فغاب عني سنة أخرى ، ثم عاد ومعه خبز ولبس فقال : أنا الخضر وقد أمرت أن أكل معك . فأكلنا ثم قال : قم وادخل بغداد . فدخلنا جميعاً ، فقبل للشيخ : من أين كنت تقات تلك السنين الثلاث ؟ قال : من الميوات . انتهى .

﴿ مما تفرع عن الطريقة القادرية ﴾

﴿ هذه الفروع الطيبة الزكية ﴾

ينتهي سند خرقته إلى الإمام الجليل البغدادي رضي الله تعالى عنه وسند الإمام الجليل معلوم غني عن الإيضاح ، ولطريقته المباركة فروع وهي :
 القصادية تنتهي إليه من طريق الشيخ مسلم القصاصي الدمشقي
 قدس سره .

والرومية الأشرفية وهي فرع ينتهي إليه نفعنا الله به من طريق ولده عبد الرزاق قدس سره .

والعزيرية وهي شعبة تنصل به من طريق ولده الشيخ عبد العزيز دفين جيل الحياض من أعمال الموصل قدس سره .

والهتفة والمقدسية وكلاهما يتصل به - أمذنا الله بإمداده - من طريق
 ولده الشيخ عبد الرزاق ، ومنه بلا واسطة أولاده من طريق الشيخ ابن
 قدامة المقدسي أحد من تشرف بلمس خرقته المباركة منه رضي الله عنه وله
 يد في الخرقه طويلة ، وأثر جليلة ، وأحوال مباركة ، اشتهرت في الأفاق
 غاية الاشتهار ، وكانت تبلغ مبلغ الشمس في رابعة النهار ، توفي - بل الله
 ثراه بالرحمة - ببغداد عام إحدى وستين وخمسة ، ودفن في رباطه المبارك
 المنور بقره العظمي ، نفعنا الله به وبأشباعه ، وبجميع المتصكين بأثاره
 الصحيحة من أتباعه آمين آمين .

﴿ الطريقة العلية السهروردية ﴾

وهنا ذكر الطريقة العلية السهروردية ، هذه الطريقة تنتهي إلى الإمام
 العارف ضام ، صدر شيوخ زمانه الأعلام ، أحد أعيان الخرقه وأفراد
 الطائفة أبو النجب ضياء الدين عبد القاهر السهروردي الصديقي شيخ
 الطائفة السهروردية رضي الله عنه .

قال الإمام الشيرازي قدس سره حين ترجمه في طبقاته النوسطنى : انعقد
 عليه إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام ، وكان له القبول التام في الصدور ،
 والتهابة في القلوب ، وبخروج بصحبته جماعة من أكابر المشايخ كاشمخ
 شهاب الدين السهروردي ، والشيخ عبد الله بن مسعود الريسي ،
 واشتهر في الأفاق وفصد من كل قطر ، وكان يقول : التصوف أوله علم ،
 وأوسطه عمل ، وآخره موهبة ، فاعلم يكشف عن المراد ، والعمل يحين
 على الطلب ، والموهبة تبلغ غاية الأمل . وكان يقول : أفضل المقامات
 عندما عند الانغماس فلا يقع له نفس واحد في غفلة عن الله تعالى . وكانت

عبد الله ومجاهدات أمهات فوق الحد ، وله كلام عال في الطريق لا يذوقه
إلا الكامل فتركناه ، سكن بغداد إلى أن مات بها سنة ثلاث وستين
وخمسة ، ودفن بمدرسته على شاطئ الدجلة وقبره بها فاهجر يزار رضي
الله عنه ورحمه رحمة واسعة بعله وكرمه انتهى .

ومما فيه أكثر من أن تذكر ، وقد حصل نشر طريقته المباركة على يد ابن
الحبيب صاحب كتاب (غوارب المعارف) وغيره الإمام الهمام : الحجة المندوة
ولي الله الشيخ عمر شهاب الدين السهروردي الكري قدس سره العاني
وتقنا الله به آمين .

والى الشيخ أبي النجيب المشار إليه تنتهي حرفة طوائف الخلوية كلهم
من طريق ابن أخته الشيخ عمر شهاب الدين ، ومن طريق خليفته الشيخ
عبد الله بن مسعود الرومي ، ومن طريق خليفته الثالث الشيخ قطب
الدين الأبهري رضي الله عنهم أجمعين .

﴿ فروع الطريقة العلية السهروردية ﴾

ولقد هذه الطريقة الماركة فروع كثيرة منها الكبيرة وهي تنتهي للإمام
العارف بالله الشيخ نجم الدين الكري قدس سره ، ولها ينتمي :

فروع البهائية ، والفردوسية ، والسوربخشيه ، والحمدانية ، ومنها
الطريقة العلية الماركية ، المنسوبة إلى الموقر العارف بالله مولانا جلال
الدين الرومي النصديقي دفين (قونية) وهي تنتهي إلى الإمام أبي النجيب
السهروردي من سنانين الأول بواسطة خليفته الشيخ عمارين ياسر .
والثاني بواسطة خليفته الشيخ قطب الدين الأبهري ، وسند الشيخ أبي
النجيب ينتهي إلى الإمام الحفيد البغدادي رضي الله عنه ، والطريقة

السهروردية فروخ جليلة أخرى ، منها الزرية ، والنحجية ، والكلسنية ،
والسيلية ، والدمرداشية ، والشعبانية ، والنحشية ، والجسالية ،
والعسالية ، واليكورية ولها ينتمي كل من شعب الحفنية ، والسمانية ،
والشرديرية ، والدجانية ، والصاوية ، وغالب هذه الفروع مشهورة في
البلاد التركية ، نفعنا الله بأصولهم وفروعهم الصالحة أجمعين ، وعباد الله
الصالحين آمين .

﴿ الطريقة العلية الدسوقية ﴾

وقد تنتمي إلى الشيخ شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه الطريقة
العلية الدسوقية المسبوبة إلى الشيخ الكبير ، والعلم الشهير ، القطب
الغوث الحقيقي ، مولانا السيد إبراهيم الحسيني الدسوقي ، رضي الله عنه
فإنه أخذ الطريقة ونسب الخرقه من كل من الشيخين الجليلين ، والعارفين
بالله نجم الدين محمود الأصفهاني ، ونور الدين عبد الصمد النظري
قدس سرهما ، وهما لبساها من الشيخ نجيب الدين علي الشيرازي ، وهو
لبسها من الشيخ شهاب السهروردي رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

قلت : وكما أن الطريقة الدسوقية تنتهي خرقتها إلى الشيخ أبي النجيب
السهروردي قدس سره من هذا الطريق الذي ذكرناه ، فكذلك تنتهي من
طريقين إلى الغوث الكبير الرفاعي رضي الله عنه قال في (شجرة الإرشاد)
للسيد حسن أبي الإقبال الوفائي الشاذلي الرفاعي قدس سره ماملخصه :
ليست الخرقه المحضية الأحمدية من الشيخ عبد الله العجمي بالصعيد ،
وهو لبسها من الشيخ محمد بن غنيم الصوراني ، وهو لبسها من الشيخ
نجم الدين محمود الأصفهاني ، وهو لبسها من الشيخ الإمام عز الدين

أحمد الفاروئي ، وهو ليس بها من أبيه الحافظ أبي إسحاق إبراهيم
 الفاروئي ، وهو ليس بها من أبيه الشيخ عمر الفاروئي ، وهو ليس بها من شيخ
 الطائفة جناب الغوث الرفاعي رضي الله عنه . ثم قال : وقد لبس عن
 النجم الأصفهاني جماعة عُنِدَ ، منهم القطب الغوث السيد إبراهيم
 الدسوقي ، قال : وللسيد إبراهيم الدسوقي خوقة من شيخنا السيد علي
 أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما بالواسطة ، وعلى هذا فالخوقة الدسوقية
 شاذلية وفاقية بالأرب . انتهى .

﴿ وللطريقة الدسوقية فروع زكية منها الشرنوبية ، والعاشورية وغيرها ﴾

﴿ ترجمة السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه ﴾

السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه ابن أبي المجد ، ابن فويش ،
 ابن محمد ، بن النجاة ، ابن عبد الخالق ، ابن القاسم ، بن جعفر ، بن
 عبد الخالق ، بن أبي القاسم الزكي ، ابن علي ، بن محمد الجواد ، بن
 علي الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ،
 ابن علي الزاهر زين العابدين ، بن الحسين ، بن علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه القرشي الهاشمي رضي الله عنهم أجمعين .

برع واشتهر ، وبرز بإذن الله إلى الوجود وظهور ، وشهد له رجال وقته
 بالولاية الكبرى ، والقطبية العظمى ، وانتهت إليه رئاسة الطريق في
 وقته .

قال الشعراني - قدس سره - في طبقاته الوسطى حين ذكره : قد ترجمه
 بعضهم بأنه أحد الأئمة الذين أسرى الله لهم المغيبات ، وعرق لهم
 العادات ، وأوقع لهم الهيبة في القلوب ، واعتقد على فضله إجماع

الشيخ : وكان مقصوداً بحل المشكلات ، وكشف خفيات الموارد رضي الله عنه .

وترجمه بعضهم أيضاً : بأنه الشيخ الكامل الراغب أحد أعيان المشايخ الواصلين ، وصاحب الكرامات والخوازيق في حياته وبعد شاته ، انتهت إليه رئاسة الكلام على خواطر الخلق ، وتلمذ له جلائق من العلماء والصالحين والفضاة ، وكان له أربعون خادماً من أرباب الأحوال .

وحجاء مرة سبعة من الفضاة بمشحنه ، فلما وصل مركبهم إلى البحر بناحية دسوق أرسل النقيب لهم وقال له إذا فزعهم تخلف جبل و فوجدوا نفوسهم هناك ، فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أحوالهم ، وخبقت ثيابهم ، ثم تذكروا ماوقعوا فيه فتابوا هناك فأرسل لهم النقيب فدفعهم فوجدوا نفوسهم على ساحل دسوق ، وسبح الله تعالى من قديم تلك الأسئلة كلها واعترفوا بما قاتلوا حاربوا لأجله ، فقال لهم الشيخ قولوا ما عندكم من المسائل فصححوا وقالوا : يكفيننا ما جرى لنا وأخذ عليهم العهد وصاروا من تلامذته حتى ماتوا .

وترجمه بعضهم : بأنه الشيخ الكامل صاحب الأفهام العرفانية ، والمصروف الفندية ، والأمرار الربانية ، من كان له المقام العالي في قلوب العلماء والملوك والمهابة في الصدور ، وقصد للزيارة والزيارة من مائر الأساق ، وأمر السباح أن يلفظ الصبي الذي ابتلعه فخرج السباح ولفظه بحضرة الناس ، رضي الله عنه .

وترجمه بعضهم : بأنه الشيخ الكامل الراغب من أجلاء مشايخ مصر والسادات العارفين ، صاحب الكرامات الفخاهرة ، والأعمال الفخاهرة ،

والأحوال الخارقة ، والمقامات السنية ، وأنظم الفخيمة ، صاحب الفتح
الموفق والكشف المخروق ، والنصدير في مواطن القدس والترقي في معارج
المعارف والتعالي في مراقب الحقائق ، كان له الباع الطويل في التصريف
النافذ ، واليد البيضاء في أحكام الولاية ، والقدم الراسخ في درجات
النهاية ، والطور السامي في الثبات والتمكين ، وهو أحد من ملك
أسراره ، وقهر أحواله ، وغلب على أمره ، وهو أحد أركان الطريق ؛
انتهى .

وترجمه بعضهم : بأنه صاحب المحاضرات القيسية ، والمعارض الأعني
في المعارف ، والشايع الأسنى في الحقائق ، والطور الأرفع في المعالي ،
والقدم الراسخ في أحوال النهايات ، واليد البيضاء في علم الوارد ، والباع
الطويل في التصريف النافذ ، والكشف الخارق عن حقائق الآيات ،
والفتح المضاعف في معنى المشاهدات ، وهو أحد من أظهره الله عز وجل
إلى الوجود وأبرزه رحمة المخلوق ، وأوقع له القبول الثام عند الخاص
والعام ، وصرفه في العالم ومكنه في أحكام الولاية وقلب له الأعيان وخرق
له العادات ونطقه بالنبيات ، وأظهر على يديه العجائب ، وصومه في
المهد .

وجاء مرة فقرر يطلب منه أن يلبسه الخرقة فنظر إليه وقال : يا ولدي
التلبس في الأمور مأهول جيد ، فإنه لا يصبح للبس الخرقة إلا من درسته
الأيام وقطعته الطريق عييدها ، وأخلص في سعته ، وقرأ معاني رموز
الطريق ، ونظر في أخبار أهلها ، وعرف مقاصدهم في حركاتهم ومكاناتهم
وأسماءهم وأخلاقهم ، فإن كنت يا ولدي تعقد التوبة في هذا الوقت

فلا تكن مجاناً ولا لعاباً ولا صبي العقل ، فإما الأمر بقول العبد ثبت إلى الله
باللفظ دون القلب ، ولا بكساية الورق والدرج ، وإنها التوبة أن يتوب
العبد عن أن يلحظ المكون بعيني قلبه أو يراعي غير مولاه . فإذا صحَّ
للفقير هذا الأمر هناك يُرجى له صحة التوبة . وكان يقول : قُوَّة العبدني
الجوع ، ومطره الدموع ، وفطره الرجوع ، يصوم حتى يرقى ويلين وتدخل
الرقة قلبه ، وتفتح مفاتيح له ، فيسمع حينئذ القرآن ومواظبه بقلب
حاضر فينتفع ، وأما من أكل رنام : ولغى في الكلام ، وترخص وقال
مأعنى ذلك من ملام : فلا يجيء منه شيء والسلام .

وكان يقول : ما بنيت طريقتنا هذه إلا على النار ، وانجر الهدار ،
والجوع والاصفرار ، ما هي بالشفقة ولا بالفسار ، دعونا من هذه
البطالات فما وجدنا من أولادنا إلى هذا الوقت أحداً اقتضى آثار الرجال ولا
صلح أن يكون عملاً للأسرار ، فأه آه من هذا الزمان الغرور .

وكان يقول : من شروط الفقير أن يكون كالسلطان مهابة ، وكالعبد
الذليل تواضعاً ومهنة .

وكان يقول : الشيخ حكيم المرید ، فإذا لم يعمل المرید يقول الحكيم
لم يحصل له شفاء .

وكان يقول : نبلد صرقتنا هممتنا إلى ربنا لم نعرف سواء ، ولا نعرف
إبليس .

وكان يقول : خلوة الفقير سجداته ، وجلوته سره وسريته . انتهى
وكنياته كثيرة ، ومتافيه شهيرة ، وزيارة قبره بركة ، والتمسك بأذنيه ومحبة
نعمة ، وسيرته رضي الله تعالى عنه مبسوسة في كتب القوم .

﴿ الطُّرُق التي تنتهي أسانيدُها إلى ﴾

﴿ الجُنيد البغدادي رضي الله عنه ﴾

وينتهي إلى الخُرقة الجنيديَّة معظم طُرُق الصوفيَّة المعروفة في البلاد الإسلاميَّة ، دون طُرُق قليلة تنتهي أسانيدُها إلى أيادٍ مباركةٍ أُخرٍ وسيأتي ذكرها ، ولتذكر بالاختصار أسماء الطُّرُق المباركة المتداوِّنة التلقِّي في سائر البلاد المشرقية والمغربية فنقول : هي الطريقة النقيديَّة المنسوبة إلى الشيخ أبي مدين شعيب بن حسن التلمساني ، ومن فروعها النيمونية ، والعنوازية الحموية ، والطريقة العلية السعدية ، وهي المنسوبة إلى الشيخ سعد الدين الجبازي الشيباني دفين (جبي) فليس سره وبشعابه ومن فروع طريقته التغلبية ، والسلامية وغيرهما ، ومن الطُّرُق العلية الطريقة التبراهيمية المنسوبة إلى التولي الكامل الحاج يرام الأنقروي ، وهي كذلك تنصل بالشيخ أبي النجيب السهروردي ، وهذه فروع منها الحلامية ، والحمزوية ، والشمسية وغيرهم ، ومن الطُّرُق العلية أيضاً الطريقة الأدهمية ، والحرازية السهلة الخفيفة ، والنعريفية ، والعقيلية ، والششترية ، والبخرية ، والبسطامية ، والأوسية ، والنقشبندية والشاذلية ، وكلها تنتمي إلى الخُرقة الجنيديَّة العلوية ماعداً الشاذلية من الطريق العلوي الذي ينتهي إلى جابر بن عبد الله الأنصاري والإمام الحسن البصري رضي الله عنهما وهما عن الإمام علي أمير المؤمنين رضي الله عنه ، ومن الطريق الأخر فقد تقدم ذكر اتصال خرقة القطب الشافعي قدس سره بالخوثة الرفاعي رضي الله عنه وهذه النسبة جنيديَّة كما لا يخفى وللشاذلية فروع منها الجزيرية .

والزرقية ، والناهرية ، والمسطرية ، والعنقية وغيرها نفعنا الله بهم
أجمعين .

﴿ الطُّرُق التي لا تتصل بالإمام ﴾
﴿ الجُنُود البَغْدَادِي رضي الله عنه ﴾

ومن الطُّرُق التي لا تتصل بالإمام الجُنُود رضي الله عنه الطريقة البكتاشية
المنسوبة إلى السيد الحاج بكتاش الخراساني ، فإن هذه تتصل بالشيخ أحمد
اليسوي وله وصلة تنتهي بسنتها إلى أفضل أصحاب النبي ﷺ بحر
الفضل المظمّن مولانا وولّي نعمتنا الإمام أبي بكر الصديق رضي الله
عنه ، والبسطامية وهي المنسوبة للاستاذ الأكبر العارف بالله الشيخ أبي
يزيد البسطامي نفعنا الله به ، ووصلته تتصل بحضرة الصديق الأكبر
رضي الله عنه ، والنقشبندية وهي المنسوبة إلى الوليّ الكبير ذي الفضل
النساري الشيخ محمد بهاء الدين الأوسي البخاري المعروف بالشاه
القشند قدس سره ، ونسبته أيضاً تتصل بحضرة أمير المؤمنين سيدنا أبي
بكر الصديق رضي الله عنه .

والأوسية وهي المنسوبة إلى سيد التابعين سيدنا الإمام أوسي الخرمي
رضي الله عنه ، وله خرقتان الأولى عمرية عن ثلثي الفوزيرين أمير المؤمنين
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والثانية عن سيدنا زوج النبول
أحمد الله على بن أبي طالب رضي الله عنه ، والعقيلية وهي المنسوبة إلى
الوليّ الجليل مولانا الشيخ عقيل النجفي العمري قدس الله سره ونفعنا
به ، ونسبته تنتهي إلى الغاروق الأعظم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ، وله يد تتصل بالجُنُود البَغْدَادِي نفعنا الله بعبده العالي ، وهذه

الأصول الطاهرة فروع كثيرة تنتمي إليها ، وتعود في سند الخرفة وتلقين الذكر والمعهد عليها ، آمداً الله بعداد رجال هذه السلاسل الطاهرة ، ونفعنا والمسلمين بهم في الدنيا والآخرة آمين .

﴿ سند اقتضال المؤلف رضي الله عنه ﴾

﴿ بطريقته العلية الرفاعية ﴾

ونذكر الآن كما شرطنا في هذا الباب ذكر سند تشرفتنا بالخرقة الرفاعية فتقول : من الله عني ، وأحسن بفضلته إلي ، فلبست الخرقة وأخذت هذه الطريقة الرفاعية من سيدي ووالدي وقرة عيني وملاذي ووسيلتي إلى الله ، السيد الكبير ، والمرشد الشهير ، الشيخ حسن وادي أفندي ، ابن السيد عني ، بن السيد خزام ، ابن السيد الشيخ علي الخزام دفين (حيش) الولي المقدم ، ابن الولي العارف العبد المرشد الكامل السيد الشيخ حسين بوهان الدين ، بن السيد عبد العلام ، ابن السيد عبد الله شهاب الدين أنبارك الزبيدي البصري الرفاعي ، ابن السيد محمود القصوفي ، بن السيد محمد بوهان ، بن السيد حسن الغواص ، بن السيد الحاج محمد شاه ، بن السيد محمد خزام دفين (الموصل) بن السيد نور الدين ، بن السيد عبد الواحد ، ابن السيد محمود الأسمر ، بن السيد حسين العراقي ، بن السيد إبراهيم العربي ، ابن السيد محمود ، بن السيد عبد الرحمن شمس الدين ، بن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك ، ابن السيد محمد خزام السليم ، بن السيد شمس الدين عبد الكريم ، بن السيد صالح عبد الرزاق ، ابن السيد شمس الدين محمد ، بن السيد صدر الدين عني ، ابن القطب اجواد السيد عز الدين أحمد الصياد ، ابن

السيد محمد الدولة والمدين عبد الرحيم الرفاعي ، ابن الإمام ولي الرحمن
 السيد عثمان ، بن السيد حسن ، بن السيد عسلة ، بن السيد اجازم ،
 ابن السيد أحمد ، بن السيد علي المكي ، بن السيد رفاعه ويقال له الحسين
 نزيل المغرب ، ابن السيد المهدي ، ابن السيد أبي القاسم محمد ، بن
 السيد الحسن ، بن السيد الحسنين ، ابن السيد أحمد ، بن السيد موسى
 الثاني ، بن السيد إبراهيم المرتضى ، ابن الإمام موسى التكاظم ، ابن
 الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام زين العابدين
 علي الأصغر السجاد ، ابن الإمام الهمام ، عظم الإسلام ، عين الأمة
 الأعلام ، مبطل الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي امتحن بأنواع الأيلا
 أمير المؤمنين مولانا أبي عبد الله الحسين الشهيد بكر بلا ، ابن إمام
 الأئمة ، وأمر نجل هذه الأمة ، سيد الأولياء ، وقائد أزقة الأصفياء ،
 أمير المؤمنين مولانا الإمام علي ، ورزقه من زوجته فاطمة سيدة نساء
 العالمين ، بنت سيد المخلوقين ، عليه أفضل صلوات رب العالمين ، وعلى
 آله وصحبه أجمعين .

وسيدي التوالد حفظه الله تعالى لیس الخرقه من شيخه التولي انعارف
 بالله أحد أعيان هذا البيت انعام مولانا السيد رجب المصياي ، وهو
 تلقى سيد الخرقه عن شيخه السيد أحمد الجندي المصياي ، عن أبيه
 السيد مصطفى ، عن شيخه السيد عرفات المصياي ، عن شيخه التولي
 الكبير المحترم السيد خير الله المصياي صاحب العلم قدس سره .

وتشرقت أيضاً بلس هذه الخرقه المباركة من شيخني ومولاي ابن عمنا
 السيد الشيخ الحاج علي أفندي ابن خير الله شيخ المشايخ بحلب ، وقد

ليس شبحي السيد علي الهندي المشار إليه الخرقه الرخاعية من والده الأستاذ
 السيد الشيخ خير الله ، وهو لبسها من شيخه ووالده السيد محمد ، وهو
 لبسها من حضرة والده الأستاذ الورثي العارف بالله السيد الشيخ خير الله
 صاحب العلم ، الذي سبق ذكره المبارك في سند سيدنا الوالد حفظه الله
 تعالى ، وهو لبسها من شيخه ووالده السيد الشيخ أبي بكر وهو لبسها من
 شيخه وابن عمه السيد الشيخ محمد بن حجازي ، وهو لبسها من شيخه
 وابن عمه السيد الشيخ أبي بكر ، وهو لبسها من شيخه وولده السيد
 الشيخ موسى الكبير ، وهو لبسها من شيخه ووالده السيد الشيخ عمر ،
 وهو لبسها من شيخه ووالده السيد الشيخ عبد السمیع ، وهو لبسها من
 شيخه ووالده السيد الشيخ شمس الدين محمد ، وهو لبسها من شيخه
 ووالده السيد الشيخ صدر الدين علي ، وهو صاحب بها والده قطب
 الأنطاب ، ونجيب الأنجاب ، فتوة الأفراد ، وعلم الأوتاد ، القطب
 الخواد ، سيدنا وقدوتنا إلى الله السيد الشيخ أحمد المعروف بالتصاوت رضي
 الله تعالى عنه ، وهو صاحب بها شيخه القطب المتمكن ، السيد الشيخ
 عبد المحسن ، وهو صاحب بها شيخه وهذه الحنيب التتسبب ، صاحب
 العلوم الخفية ، والكرامات العديدة ، أحد المقصرين في الحياة والمراث ،
 صاحب التتسبب والكرامات الظاهرات ، مربي المريدين ، وأئمة
 السلوك ، وسلطان الأولياء والعارفين ، الذي على ياذن الله اسم مريده
 من ديوان الاشياء ، ركب في ديوان السعداء ، موجه كل أخرج ، من
 دلت له الأسوء والأفاعي ، مولانا غوث الثقلين ، أبا العلمين ، الممتاز
 على الأولياء الأعلام بشرفه تقبل يد سيد الكونين ، السيد الشيخ أحمد

بحسب الدين أبا المعالي الحسيني الرفاعي رضي الله عنه ، ونفعنا
ببركته .

ونشرف بلبس هذه الخرقه المباركة الرفاعية أيضاً من يد شيخنا
وسلاطه ، وقرّة عيني وإليّ الله ، العارف بالله ، المستأنس به المعروض عن
الناس ، أبي البركات مولانا السيد محمد بهاء الدين مهدي الرواس ،
الضيادي الرفاعي الحسيني رضي الله عنه ، وهو لبسها من السيد عبد الله
الراوي قدس سره ، وهو لبسها من السيد أحمد الرازي الكبير ، وهو لبسها
من السيد نور الدين حبيب الحديثي ، وهو لبسها من القطب الغوث
السيد الشيخ سراج الدين البغدادي ، وهو لبسها من المرشد الأعظم
الشيخ جمال الدين السليمي ، وهو لبسها من الشيخ قطب الدين
الرفاعي ، وهو لبسها من الشيخ شمس الدين الضيادي ، وهو لبسها من
أبيه الإمام الأجل صاحب القدر الأعلى ، شيخ الإسلام مولانا السيد صدر
الدين علي ، وهو لبسها من أبيه القطب الغوث الفرد الجواد ، مولانا السيد
عز الدين أحمد الضياد رضي الله عنه ، وهو لبسها من جده الغوث الرفاعي
رضي الله عنه .

ونحمداً السيد محمد مهدي الرواس قدس سره وصلة أخرى بالحضرة
الرفاعية فإنه أخذ عن شيخه الإمام العارف بالله السيد عبد الله الرازي ،
عن شيخه السيد أحمد الرازي ، عن شيخه السيد نور الدين حبيب الله
الحديثي ، عن السيد حسين برهان الدين الخزامي الضيادي ، عن أخيه
السيد نور الدين ، عن أبيه السيد عبد الحامد الخزامي ، عن عمه إمام
العارفين السيد سراج الدين ، عن جده السيد محمود المصوفي ، عن أبيه

السيد محمد برهان ، عن أبيه السيد حسن الغواص ، عن أبيه السيد
الحاج محمد شاه ، عن أبيه مقتدى المرجان الأعلام السيد محمد خزام وغيره
(الموصول) ، عن عمه السيد ملك الشدلاوي ، عن أبيه السيد محمود
الأسعير ، عن أبيه السيد حسين العراقي ، عن ابن عمه السيد تاج
الدين ، عن ابن عمه السيد عبد الرحمن شمس الدين ، عن جده السيد
محمد خزام السليم ، عن أبيه السيد شمس الدين عبد الكريم أبي محمد
الواسطي ، عن أبيه السيد صالح عبد الرزاق ، عن أبيه السيد شمس
الدين محمد ، عن أبيه السيد صدر الدين علي ، عن أبيه قطب الأقراد
السيد أحمد المصباح ، عن أخيه القطب المتمكن أبي الحسن عبد المحسن ،
عن جده لاثم يد الرسول المكرم ، غوث الحرب والعجم ، أبي العباس
مولانا السيد أحمد الكبير الحميني الرفاعي رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

﴿ ترجمة الغوث الرفاعي الكبير ﴾

﴿ رضي الله عنه ﴾

وهنا نبذة تشير إلى جلالة قدر الغوث الرفاعي رضي الله تعالى عنه .

قال الإمام ، انحر النظام ، تحية الله على الأنام ، الشيخ عبد
الكريم بن محمد الرفاعي ، مجتهد مذهب سيدنا الإمام الشافعي رضي الله
عنها في كتابه (سواد العينين) بعد أن ذكر نسبة سيدنا السيد أحمد الكبير
رضي الله عنه : حدثني الشيخ الصالح محمد ابن الحسن البراز عن الشيخ
الدرع أبي محمد الفوسي ، قال : مرّ السيد أحمد الرفاعي بموكب من
فقبرائه في أرض البطائح فأنكرت حاله في سري ، فتمت ليلى وإذا
بالنبي ﷺ وهو يمشي على السيد أحمد الرفاعي ويقول : ولدي السيد أحمد

الرفاعي علّم الحنفية ، يُربي بحالته أكثر مما يُربي بمقاله ، من أئمة فقد أحبني ومن آذاه فقد آذاني . فقصت مرعوباً وأقنيت فلماً رأي تيسم وقال :
الرجل الكامل يُربي بحالته أكثر مما يُربي بمقاله .

وقال أيضاً : وُلِدَ رضي الله عنه سنة اثني عشرة وخمسمائة ، ونشأ في حجر خاله فأثّر بهذبه . وتلقّى عن خاله الطريقة وعلم التصوف ، ولبس خرقته وأخذ عنه علوم الشريعة . وتفقّه على الشيخ أبي الفضل علي الواسطي المعروف بابن الفاري ، وعن جماعة من أعيان التوامستين . منهم خاله الصوفي الجليل ، شيخ وقته سلطان العلماء والعارفين الشيخ أبو بكر الواسطي أخو الشيخ منصور . وانتهت إليه الدراسة في علوم الشريعة وفنون القديم ، وخدمه الأئمة والفتهاء والملوك والخلفاء . واتخذ عليه إجماع الطوائف . وقال بتقدمه على جميع رجال عصره المواقف والمخالف ، وأطبق على علوّ قدمه ، ورفعته ربه ، وكرم خلقه ، وبرّقه عن منزلة القطبية الكبرى ، والغزوة العظمى جمجمة الأرض المقدسة الحجاز والشام . واعتزف رجاله وقته بالعجز عن ترك منتهاء في السير ، وقال بذلك الخواص منهم والعوام .

وقال فيه الشيخ منصور : وزنته بجميع أصحابي وبني أيضاً فرجحنا جميعاً ، ويكتفيك أن من أصحابه الشيخ حماد الديلماس البغدادي أجلى أشباح الشيخ عبد المقادر الجيلي ، والشيخ عثمان المطاطحي ، والشيخ خمير ، والشيخ مكّي الطمستاني وأمثالهم وعدّه نفسه الزكية أيضاً ، ويعجبني مقال فيه الخيروزيادي مفرداً :

أيا العلميين أنت الفسرد لكن إذا حُسب الرجال فأنت حزب

• • •

حدثني الشيخ الإمام أبو شجاع الشافعي فيها رواه قائلاً : كان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه علياً شامخاً ، وجيلاً راسخاً ، وعظماً جليلاً ، محدثاً فقيهاً ، مفسراً ذا روايات غاليات ، وإجازات رفيعات ، قارئاً جوداً ، حافظاً مجيداً ، شجوة رحمة ، متمكناً في الدين ، سهلاً على المسلمين ، صعباً على الضالين ، هنباً لنا بشأ لبن العريكة ، حسن الخلق ، كريم الخلق ، حلو المكالمة ، لطيف المعشرة ، لا يملكه جليسه ، ولا ينصرف عن مجالسه إلا لعبادة ، حملاً للأذى ، وفيها إذا عهد ، صبوراً على المكروه ، جواداً من غير إمراف ، متواضعاً من غير ذلة ، كاطم للعظيم من غير حقد ، أعلم أهل عصره بكتاب الله ، ومئة رسوله ، وأعمالهم بها ، بحرأ من يحار الشرع ، سيقاً من سيوف الله ، وارثاً لخلق جده رسول الله ﷺ .

وقال الإمام الرفاعي أيضاً في كتابه المذكور : أخبرني شيخنا الإمام الحجة القدوة عمر أبو حفص شهاب الدين السهروردي عن عمه المولى العارف شيخ الشيوخ أبي النجب وعن شيخه الإمام الفهم ، البحر الطام محمد بن عبد البصري رضي الله عنهم قال : كل الأولياء أمركنا مقدمتهم وما وصلوا إليه وعرفنا متناههم في السير إلا السيد أحمد الرفاعي فإنه لا يعرف متناه في السير وإنما رجاء عصرنا على الإطلاق يعرفون الوجهة التي اتجه إليها ، ومن ادعى الوصول إلى مرتبته والأطلاع على رتبته فكذبوه ؛ أي يخونني هذا رجل لا يعرف ولا يجد ، هذا رجل النسخ من علائق بشريته ، وعوائق نفسه كاستلخ الثوب عن البدن ، والأولياء في عصرنا هذا كبارهم وصغارهم ، المشارقة والمغاربة ، الأعراب والأعاجم

عبال عليه ، يستمدون منه ، ويأخذون عنه ، وهو شيخ الكل في الكل ،
يسح النوال من حجرة جده عليه الصلاة والسلام على قلبه ، وهو يُقسِّمه
على الرجال في الأرضين ، ولا يقطع مدهه ياذن الله ، والدولة له ولديته
إلى يوم القيامة مع طيب نفس المحب ورغم أنف الحاسد ، يفعل الله
ما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا مُنازع لحُكمه .

قال لي شيخنا سنده المحدثين عبيد السميع الحاشمي الزاسطي بهعداد ،
وقد جرى ذكر السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه : أي عبد الكريم كان
السيد أحمد آية من آيات الله ، ومعجزة من معجزات رسول الله ، يمشي
على وجه الأرض موقعت الأبصار على نظيره في عصره ، قل في السلف
مثله ، ولا يوجد في الخلف عديله ، كان طريقه الكتاب والسنة ، كان
فعلاً لا قولاً ، شربها وحكم عليها ، فسر حاله وغلب طوره ، كان إنساناً
عالماً عدلاً لم رأيت له أرحم من كل السلف .

ليس على الله يستنكر أن يجمع العالم في واحد

• • •

رأيت يوماً وقد امتلأت أطراف (أم غيبانة) من زائريه وهو يبكي
ويقول :

حيرت فيك العقلا يا من لعقلي عقلا
كتمت فيك حالتي فضحتني بين الملا

• • •

وكنيت مع الزوار في الحرم النبوي عام حجة الذي مُدَّت نه فيه يد
النبي ﷺ ، وشاهدت اليد النبوية ببركته رضي الله عنه ، وكان فيمن

حضر الشيخ علي الهيتي الذي هو الآن بين أظهرنا ، والشيخ عدي بن مسافر ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، والشيخ الزعفراني ، والشيخ عزاز ، وغير رجل فلما لحى الله عليه بهذه الموهبة العظيمة : والمئة الكريمة ، وآل وقت التصراف جسمه من الحضور النبوي تضطجع بباب الحرم ، وأقسم على الناس أن يدوس كلهم عنقه ، فكانت العامة تمخطى عنقه المبارك والخاصة انصرفوا من أبواب الحر ، وكنت لديه وهو يكي ويقول : اللهم زمني تمكيناً وإيماناً ومعرفة بك وبنيك ﷺ .

وأخبرنا شيخنا الإمام الحجة القدوة أبو الفرج عمر الفاروقني القواسمي قال : حجج سيدنا وشيخنا السيد أحمد الرفاعي عام خمس وخمسين وخمائية ، فلما وصل المدينة تشرف بزيارة جده عليه الصلاة والسلام وقف تجاه حجرة النبي ﷺ ووقف خائف ظهيرة . فقال : السلام عليك يا حدي فقال له عليه أفضل صلوات الله : وعليك السلام يا ولدي . فتواجد هذه النعمة وقال منشداً :

في حالة البعد روعي كنت أرسلها تقبل الأرض عني فهي ناصبي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامسك بيك كي تحطى بها شفتي



فبعد له رسول الله ﷺ بدء الشريفة من قبره الكريم فجلسها في ملا يقرب من تسعين ألف رجل والناس ينظرون يد النبي ﷺ ومسعون كلامه ، وكان فيمن حضر الشيخ حيوة بن قيس الخزازي ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، والشيخ عدي الشامي ، وشاهدوا ذلك هم وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

ولا يخفى أن منقبة مؤيد النبي ﷺ لوئده القطب الجليل الرفاعي رضي الله عنه بلغت بين المسلمين جيلاً بعد جيل مبلغ التواتر ، وصارت بذكرها الركبان ، وعظم مسك خبرها التيقان ، ولذلك اكتفينا بالإشارة إليها بهذا المقدار ، ويحسن أن نذكر بذكر قصيدة من الله ينظمها على عبده الفقير تشير لهذه القصة ، ويشتمل على مدح الغوث الرفاعي رضي الله عنه وهي :

نور قرب في حالة البعد أقبل	فغشى موكب الإمام المجمل
شيخنا السيد الكبير الرفاعي	أعظم الصالحين حالاً وأفضل
لائم الراحة الشريفة في مث	عهد عجل سما بأشرف مرسـل
فرع ذاك الأصل الأصيل سليل الـ	نسب الطاهر الشريف المتسلسل
ناصر السنة السنية شيخ الـ	عزوم أنداهم يميناً وأطول
صاحب الحمة التي قام منها	فوق عرش الكعك للفضل هيكل
فلك القعر بهجة الدهر تعني	تولة الأولياء في كل محفل
ذل في مباحة الدلال كمالاً	وعجيب مدآنل بشدآنل
حل من حضرة الضعكن رحيماً	عز أن ينتهي إليه مكمل
فلهذا أضحي إمام البرايا	وعليه في العارفين المدول
جبل راسخ أمان مملوكاً	عن طريق الرسول لا يتحول
شرفاً حط عن مداه السواري	وقنار خصوصه البيض ثقل
ليت شعري وهل تساعد ليت	وأراني بريحه أقمل
ذاك غاب فيه توتد ليت	من عل ليت الإله تنسل
علم الشرق قطب دائرة الصد	فمنيع الحبيب الإمام للفضل

باب وصل بقضائه لأبيه سيد الأنبياء الأولى يُرُصِّل
 ويعالي عرفانه في المهيم ت إلى الله ربنا يُتوسَّل
 وحسبهم بعمر يرضاه صراعاً أن يرى النجح في الأمور ويُقِل
 رضي الله عنه ما افترَّ ثغر الـ روض لطفاً في ساحة رُشيداً القل

• • •

قال مولانا العلامة الإمام سلطان المحدثين ولي الله الشيخ عز الدين
 أحمد الفاروقي التواسطي قدامي سره في كتابه (النسخة المسكية) : وقد
 طاب لي أن أذكر شيئاً قليلاً من علو مرتبة ولاية السيد أحمد الرفاعي رضي
 الله عنه ، وما من الله به عليه من سمو المنزلة ، وعظيم الرفعة التي قدَّمته
 على أوليائه الله الكبار ، العبيد منهم والأحرار ، منه ما نقله لنا الولي الشامخ
 الأركان الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ يعقوب بن كراز عنهم الرضوان ،
 روياً عن أبيه الولي المحبوب ، الشيخ يعقوب أنه قال : حدثني سيدي
 الشيخ بدر ابن بنت شيخنا القطب الصمداني ، الشيخ منصور البطايعي
 التبراني قال : كان سيدي الشيخ منصور في بعض الأيام جالساً يتحدث
 الناس فلما قضى المجلس وانصرف الناس وبقي سيدي وأنا ولم يكن معي
 ثالث ، فخطر في سري خافط فقلت : أشتهي التعري وألصق جسمي
 بحسب سيدي حتى لا أفسد النار ، قال : فلم يتم خاطري حتى ناداني أي
 بدر تعري وتعان ، قال ففرحت بذلك وشرحت صدري لبطون ما صبرت
 له ، ثم لي خلعت ثيابي وجئت إليه فلم قريب منه وأردت أن أحضنه
 صرخ صرخة عظيمة ولطمني فأرمان على وجهي ووقع هو على الأرض
 وبقيت أنا ملغياً زماناً ، فلما أفتت رأيت سيدي الشيخ منصور ملغياً على

الأرض وهو يخور كما تخور الدابة ، فبقي كذلك ماشاء الله تعالى وسمعه يقول في غيبته نعم نعم ويكررها مراراً ، فلما أفاق ناداني : أي بدر تعال . فجلست إليه وأنا أبكي فقال لي : ما بك أي بدر . فقلت له : كيف لا أبكي وقد جئت إليك فلطميتي ورميتي ، فقال : يا ولدي ما قلت لك تعز غارت المربوبية وخرج لك سهم القدرة فدفعتك عنه وأخذته عنك بنفسي ثم إني حضته . وقلت له : أي سيدي سمعتك تقول في غيبتك نعم نعم فقال لي : نعم يا ولدي أسمعني قلت نعم ؟ فقال لي : أما تعرف السيد أحمد ابن أخي الذي يحيي ، ولينا في كل سنة ؟ وجعل يعفقه لي . فقلت له بلى . فقال : بينا أنا في الموضع الذي وصلت إليه وإذا به قد جازني وصعد إلى مكان لا أعرفه ولا أدري عنه ولا وصلته ولا أعلم إلى أين وصل ، فلما رأيته أخذني الغيرة منه ، فأخذني النداء : أي منصور تأدب هذا السيد أحمد حينما نظيره على غوامق غيوبنا ، أي منصور هذا السيد أحمد نائب الدولة الحمديّة ، وعروس المملكة المصطفوية ، وشيخ جميع الأمم الأحديّة ، وشيخك فقل نعم . قلت : نعم نعم ، فقال : نحن نتصرفه بملكنا كما نشاء . فقلت : نعم نعم ، ثم إني حملت الغاشية بين يديه ، وأخذت العهد على يديه ، فأنا تنبّه بالخرقة وهو شيعي بالخلق والخلق .

وبالسند الصحيح إلى شيخنا الشيخ منصور المصطفى الرباني رضي الله عنه : أنه رأى رسول الله ﷺ وهو يقول له : يا منصور أشرك أن الله تعالى يعطي إلى أخذك بعد أربعين يوماً ولداً يكون اسمه أحمد أترفاعي مثلاً أنا رأس الأنبياء كذلك هو رأس الأولياء ، وحين يكبر فخله إلى الشيخ علي

القاري السواسطي وأعطه له كي يريه لأن ذلك الرجل عزيز عند الله ولا تغفل عنه . قال فقلت له الأمر أمركم بإرسول الله عليك الصلاة والسلام ، وكان الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ .

وقد بشر به قبل ولادته بسنين أكابر الأولياء ، وانتظر ظهوره أعاجد الأصفياء ، وأمروا إخوانهم إذا رأوه وصاروا في زمانه أن يعرفوا حق حرمة ، وعظيم منزلته ، وقالوا : إنه صاحب الوقت والزمان والدولة له وتذريته إلى يوم القيامة ، وقالوا : إنه متى ظهر يفتح أبواب الصالحين ، ويصير الوقت له ولأهله ، ويحججه وتصرفه يصل إلى مرتبة عظيمة . يصرب داغته على جبهات الداراي في أصلاب الأبناء ، وميلك طريقاً لم يسلكها أحد قبله ولا بعده ، وهي طريق الذل والانكسار ، والمسكنة والافتقار ، والخضوع والخيرة . ولم يكن في الطرف إلى الله أعظم وأصعب منها .

ومن بشر به بالأمانيد الصحيحة الثابتة الشيخ الكبير تاج العارفين أبو الوفاء ، والشيخ أحمد كثر العارفين الزاهد ، والشيخ نصر الميرماني ، والشيخ أحمد بن خميس ، والشيخ أبو بكر النجاري الأنصاري ، والشيخ منصور الرباني البجلي وغيرهم رضي الله عنهم والمدين عدديهم لك من عرفتهم غصت بنفوسهم الأوراق ، وانتشر صيتهم في الأفاق ، وقال جده من أهل الولاية بعلو مرتبته عن الخوئية والسلطنة : وأما له عند الله منزلة لا يعرفها أحد من رجال عصره ، وأنه كان في حضرة الحبيب .

وقال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني ، والشيخ يعقوب

وغيرهما من رجال وقته في شأنه . إنه رجل لا يعرف ولا يُعَد ، ولا يصل إلى مرتبته أحد .

﴿ أخلاقه ومزاياه المحمدية التي كان عليها ﴾

﴿ ودعى الناس بلسان حاله ومقاله إليها ﴾

وأما أخلاقه ، فقد وافقتها أعرافه ، طاب أصلاً وخلفاً ، وحالاً وخلفاً ، كان خلقه أنسنة المحمدية ، ومشرية الحالة النبوية ، لم يُعهد له يُسمع في طبقات القوم من بعد الصحابة وأئمة الآل - رضي الله عنهم - عن أحد من الرجال أنه بلغ ما بلغه - فثبت أمراره - من الصفا والمزهد والصدق والتواضع والانكسار ، والحيرة والافتقار ، أتى بكل أخلاق أهل عصره وعباداتهم ، ولم يأت كلهم بكل أخلاقه وعبادته ، وجاء بكل تراسماتهم ومناقبهم ، ولم يأت كلهم بكل كراماته ومناقبه ، فالحمد لله الذي من علينا باتباعه ، وجعلنا من أتباعه :

قال السيد عبد الرحيم صاحب الثبالة : وُلد السيد أحمد - قدس سره - في أوائل رجب ، فكان يشرب اللبن إلى أن قدم رمضان ، فتنبذ عن شرب اللبن نهائياً إلى أن جاء العيد فشرب اللبن - انتهى .

كان رضي الله عنه أعطف أولياء عصره قلباً ، وأكرمهم طبعاً ، ويُجنهم نظراً . قال صاحب (النجم الساعى) حين ذكر شكله وشأنه : كان السيد أحمد الرفاعي عالماً حكيمًا منوراً متواضعاً قانعاً ، قاطعاً عمره في الرياضة ، أسمر اللون ، متوسط النقد ، نير الوجه ، شعره أسود ، وفي صدره شعر أسود ، كريم الخلق ، صاحب أسرار خارقة ، ومواجيد وأحوال ، ملازماً قراءة القرآن ، كثير المحبة والشوق لله ، وفقرًا ومريضة

موازينهم أرجح موازين الحقرا ، ولا تنقطع فقراؤه ومريدوه إلى يوم القيامة
ياذن الله تعالى . انتهى .

وُلد رضي الله عنه بقرية (حسن) من أعمال واسط البصرة المعروفة بـ
(أم عبيدة) في عام وفاء خليفة بغداد أحمد المستظهر بالله العباسي .
وعاش إلى أوائل خلافة أحمد الناصر لدين الله ، وأيامه مضت عن الغالب
حان شهرته العظيمة في أيام خلافة المستجد بالله والسني ، بأمر الله
العادلين المشهورين ، وفن بـ (أم عبيدة) بقية الشهرة مع جده لأمه
الشيخ الولي العارف الشيخ يحيى النجاري الأنصاري قدس سرهما .

قال الشيخ الشعراوي - قدس سره - : كان السيد أحمد الرفاعي - رضي
الله عنه - على جانب عظيم من حسن الخلق ، وكان يضرب به المثل في
تحمل الأذى والعفو والصفح والشفقة على خلق الله .

وقال أيضاً في كتابه المنير ما ملخصه : إن المشايخ اتفقوا أن أكبرهم قدراً
السيد أحمد الرفاعي . كان قطب الأقطاب في الأرض ثم صار قطب
الأقطاب في السموات ، ثم صارت السموات السبع كالخلخال في رحله ،
ثم لأعلم لما بعد ذلك إلى أين وصل . ثم قال : كلما حصل لسيدنا أحمد
من علو القدر والمنزلة حصل بدنه نفسه وصميره وتواضعه رضي الله عنه

قال الشعراوي : كان السيد أحمد الرفاعي شافعي المذهب ، قرأ كتاب
التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي في المذهب . وتفنن في العلوم ، وكشف
مشكلات الغزيم ، وانتهت إليه الرياضة في علومهم .

وقال بنصه عش الولاية الأحمدية سيدي عبد الرحيم بن عثمان : ما
أرى في العصر الذي كان فيه سيدي أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - رجلاً

أنفه وأعلم وأحلم وأسخى وأنفع للمخترقين منه . كان عتوقاً على
 المنهويين ، شفوفاً على المحتاجين ، صبوراً على أذى الخلق ، رحب
 الصدر ، متمسكاً بسنة رسول الله ﷺ متخلقاً بأخلاقه عليه السلام ،
 وكانت حلقة وعظه في صحن رواقه كل يوم تزيد عن خمسة آلاف رجل ،
 حتى إن الأصم والأطروش يسمع كلامه في مجلسه ويحفظه حرفاً بإذن
 الله ، وكان أهل القرى التي حول (أم غيدة) من الجهات الأربع
 يجتمعون على أسطحة بيوتهم وقت مجلسه فيسمعون كلامه كالحاضرين في
 رواق الشريف . وكان يقول رضي الله عنه : أنا من قوم تعلموا وعلموا ،
 وعملوا بما علموا ، فوصلوا وأوصلوا . قال صاحب (أم البراهين) : كان
 السيد أحمد الرفاعي يتفجع الناس بيدد ولسانه وماله ومقاله وأفعاله
 واحتماله .

قال صاحب (جلاء الصدا) مولانا أحمد بن جلال : قدس سره :
 كان السيد أحمد الرفاعي يسكت حتى يقال إنه لا يتكلم ، فإذا تكلم بل
 بعنوة كلامه الغليل ، وذووى العليل ، ترك نفسه وتواضع للناس من غير
 حاجة ، وكظم غيظه من غير ضجر ، وكان لين العريكة ، هين المؤنة ،
 سهل الخلق ، كريم النفس ، حسن المعاشرة ، بساماً من غير ضحك ،
 محزوناً من غير عبوس ، متواضعاً من غير ذلة ، جواداً من غير إسراف ،
 اجتمعت فيه مكارم الأخلاق ، كان فقيهاً عالماً قارئاً مجتهداً محدثاً ، وله
 إجازات وروايات عالياً ، إذا تكلم أجاد ، وإذا سكت أفاد ، يأمر
 بالمعروف لأهله ، وينهى عن المنكر بفعله ، كان كهف الحرائر وملقا
 المحتاجين ، وكعبة القاصدين ، أياً للأرامل والأيتام ، يعطي من غير

سؤال ، ويمتنع من غير إجمال ، إذا قال قولاً أتبعه بصحة الفعل ، وصديق القول ولم يخالف قوله ففعله قط .

﴿ كلامه لروح كل ابن ذوق غذاء ﴾

﴿ وكذا حبه يجده في الماء والهواء ﴾

ومن حِكْمِهِ وكلامه قوله رضي الله عنه : الأدب سُنَّةُ الفقهاء وزينة الأغنياء . وقال رضي الله عنه : من لُجَّ رجلاً ، ونَجَّ ووجد . وقال : خير الناس من ينفع الناس . وقال : ليست النالحة الشكل مثل النالحة المستاجرة . وقال : العاقل لا يشكو إلى قاضٍ ولا إلى سلطان . وقال : قدس سره - لأصحابه : من اشتغل بالعلم كان له معناه أوفر سهم . وقال رضي الله عنه : أبناء الدنيا إن أكرمهم أمثالوك ، وإن أحببتهم أبغضوك ، وإن مازحتهم لا يهابوك ، وإن غبت عنهم اعتابوك ، وفي كل حال يعيبوك ، لأنهم لم يروا حبك لهم والسلام عليهم والتودد لهم والتردد على أبوابهم والترحم بهم إلا لأجل دنياهم وأنتك محتاج إلى عزهم فعز نفسك عنهم وعن صحبتهم .

وقال : الفتوة المصنوع عن عشرات الإخوان ، وأن لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك .

وقال : الصديق الذي تسكن النفس إليه ، ويستريح القلب فيه .

وقال : العاقل يُقدِّم بين يدي كل عمل ، لم ، ولمن ، فإن كان لله أمضاء ، وإن كان لغيره تركه وأبقاء .

وقال : إن ذرية الأولياء منطلون إليها بعين الرحمة في الغائب ، وذرية الظالمين منطلون إليها بعين السخط في الغالب .

وقال : اتقوا الله أجمعين ، كل عدو إلا حاسد نعمة الله فإنه لا يرضى إلا
بزوالها .

وقال : لا تختبروا المسلم إلا بالإنصاف في المعاملة والبيع والشراء ،
والأخذ والعطاء فمعي أنصف فهو مسلم .

وقال : الفقير إذا انتصر لنفسه نص ، وإذا سلم الأمر لمولاه نصره من
غير عشيرة ولا أهل .

وقال : علامة الفقير المصادق جمع الحمة ، وغض الطرف ، وسكون
الجوارح .

وقال : ليس التصوف أحبوني وأكثر مني ولا زمني .

وقال : ما وقف على باب أحد من أهل الدنيا كامل المعرفة .

وقال : من ملكته نفسه ذل ، ومن ملكها ساد .

وقال : من لم يرفع قضيته إلى الله عز وجل عجز وضل عن الطريق .

وقال : الأنس بالخلق انقطاع عن الحق .

وقال : السعيد لا يهمل وقته .

وقال : الرجل يغزو لسانه عن اللسان ، ولا يطلعه في غير حقه ، إذا
نطق ينطق بعلم ، وإذا صمت يصمت بحلم ، لا يعجل بالجراب ،
ولا يحجم على الخفاف ، وإذا رأى من هو أعلم منه نقصت لاستماع
الفائدة ، يحذر من الخطأ ، ويحترز من الغلط والزلل ، لا ينكلم فيما
لا يعلم ، ولا ينظر فيما لا يفهم .

وقال : من أراد صديقاً بلا حيف بقي زمانه بلا صديق .

وقال لسيده سيدنا السيد إبراهيم الأعزب - قدم سره - : يا إبراهيم
دار هذا اللأش جندك جميع الطُّرُق فلم يزأقرب وأوضح وأيسر وأصلح من
طريق النذل والانكسار ، والخيرة والافتقار . فني إبراهيم إذا أرادك لأمر
هناك له ، وعيآه لك .

هذا ما أوردناه هنا من كتاباته الجوهرية على سبيل المركة بالاختصار ،
والأ فكتب الضوم طافحة بكتباته نفعة الله ببركاته وبركاته آمين .

﴿ بعض مؤلفاته ومجالس وعظه العظيمة ﴾

﴿ وثناء العلماء عليها والعارفين ذوي المكانة والفيعة ﴾

وقد جمع كتاباته الحكمية مولانا الشيخ عبد المعظم بن عبد القوي بن
أحمد المنذري في كتاب سيآه (المعجالت الأجدية) أورد فيه مقالته سيدنا
السيد أحمد الكبير رضي الله عنه في كل مجلس على الغائب بعينه ، ومن
مؤلفات مولانا السيد أحمد رضي الله عنه (البهجة) في التصوف ،
و (الطريق إلى الله) في التصوف ، و (معاني اسم الله الرحمن الرحيم)
في التفسير على طريقة القوم ، وتفسير سورة القدر ، و (شرح التيه) في
الفقه الشافعي ، وكتاب (الرهبان المؤيد) وكتاب (الحكم) وإن هذين
الكتابين يشتمل موضوعهما على الحكم الشرعية والتصوفية ، والرواية في
الحديث ، والمجائس في الوعظ وغيرها من العلوم العالية ، والفنون الباهرة
النزاهية ، ومن أجل كتبه المباركة كتاب (الرهبان المؤيد) الذي سبق
ذكره ، فإنه كتاب كريم ، سلك بأهله الصراط المستقيم ، وقد أنشئ عليه
العلماء العارفين ، والمشايع الصالحون ؛ ويعجبني مقالته في شأنه سيدنا
شيخ الإسلام السيد سراج الدين الرفاعي المخرومي رضي الله عنه وهم .

إنَّ السرفاعي جدير بأن يتسج بالأناس برهانه
آياته أعجز عن دركها في ساحة العرفان أقرانه

وقال أيضاً :

لعمرك برهان السرفاعي سبقه لأعناق أصحاب الضلالة قاطع
مرشحة آياته بجواهر حقائقها منها البدور الطوالع

وقال سيدنا الإمام عبد الكريم الرفاعي الشافعي رضي الله عنه في كتابه
﴿ سواد العينين ﴾ عند ذكر كتاب الـ ﴿ برهان المؤيد ﴾ مؤلف سيدنا
الغوث الرفاعي رضي الله عنه : هو الكتاب الجليل ، الذي عزّ شأنه سبكه
عن القليل ، الذي جمعه من مجالس وعظه ودوّنه شيخ الإسلام شرفه الدين
ابن الشيخ عبد السميع الهاشمي العباسي الواسطي نفعنا الله بهم
أجمعين :

قال لي شيخنا القوسي : ما قرأ هذا الكتاب يعني ﴿ البرهان المؤيد ﴾
عل أهل محسن إلّا وظهرت فيه تفجّلات المعرّون والإخلاص ، والشكر
والوقوف عند الحدود المرضية الشرعية . قلت : وقد أتى سيدنا السيد أحمد
هذا الكشف بالعجب العجائب ، في أبقى حقيقة إلّا وكشفها بحكم
قدّراته ، ولا ترك وصلة مقدّمة إلّا ودلّ عليها بإشاراته ، ومباني - إن شاء
الله تعالى - المندسبات ذكر بعض مقولاته الجليلة ، أمّا الله بإمداداته
الجزيلة آمين .

وبحسب أن الفصل ذكر نبذة يسيرة تشير إلى حالته فشره ، وعلمو مكانة

أمره ، فذلك اكتفينا بهذا المقدار ، على أن منزلة الجنبلة أعمّ نوراً من الشمس في رابعة النهار . أفاض الله علينا من بركاته ، وغفرنا والمسلمين ببه وثفحاته آمين .

وبلّغ أن نختم هذا الباب بهذه القصيدة الفريدة التي امتدح بها الغوث المشار إليه مولانا شيخ الإسلام السيد سراج الدين الخزرجي الرفاعي البغدادي - رضي الله عنهما - فإنها أوضحت نزراً يسيراً من مناقب الممدوح وأشارت إلى ما من الله به عليه من مواهبه وجزيل نعمه وأفضاله ، وهي :

طابت بحضرة ذكرك الوثبات	وبها لحزبك حيلة وثبات
وظلال بابك بارفاعي العلل	سوح به تتسزل البركات
ولك اليد البيضاء التي كشفت لنا	سراً لديه تستكيب العسرات
وأخذت من لب الشريعة منهجاً	قصرت لعمرك بعد الخطوات
أرضيت فيه الله جلّ جلاله	ونصرت ما نجأت به الآيات
ومضيت مقتفياً لأثر محمد ﷺ	طوعاً لك الحركات والمكاث
فَنظرت منه بنظرة جذابة	خرقت بها لك في الملا العادات
ومرى بمتبعيك نافذ سرها	تركته في أحيائها الأموات
تور آزاد الحق أن تجس به	رضياً لمن فتكت به الظلمات
أوضحت بأشيخ الوجوه طريقة	سُدّت بغير سلوكها الطرقات
ونشرت فيها داية علوية	خضعت لرفعة قدرها الهامات
وجعلت سنن الانكسار مطية	حُزمت بخلق ما لديه هتات
وسبقت كل العارفين بهمة	فُتحت لواقف عزمها الحضرات

وأكلت مائدة القبول بخشعة
يا صاحب العظمين يا غوث الوري
هذا جزاء الصابرين كما أتى
انقضت شجج الأنباع لأحد
ولنا الأدلة في ثناء طبعك الـ
ولانت معجزة خلك محضه
ثبت مناقبك الرجاح تواتراً
لحرس بها أهل الجحود لأنها
ذلت لسطونك الأسود وما رأيت
ريقت على أعتاب عزك ذلة
والنار تحمد والسلاح مُعطل
الله أكبر إنها عجائبي
شكراً لمولانا الذي أهدي إلى
وإلى طريقتك التي هي باب
والآل والأصحاب والقوم الأولى

ولكم أجمعت غيرك الشفحات
طب إن رمسك عمه الرحمت
والقوم يا ابن المصطفى درجات
في الشربين وما عراك شتات
صحبه والأحزول والكلمات
وضاحية ما شايها الشبهات
لزمنا ونسبها الإثبات
فوق البداة عندها مرقاة
أن تحمها من بأسك الغابات
وكذلك الأنسار والحيات
لما بنديك تكثر الضجرات
بيد النبي بها حجتك الذات
تصدق من فحى به المزلات
وعليه عطر قبره الصلوات
وعليك ما هبت بنا النسيات

♦ ♦ ♦

الباب الثالث

في سبب إطلاق اسم الصوفية : على هذه العصابة المرضية ﴿

قال سيدنا الغوث الأكبر ، والعلم الأشهر : مولانا السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - في كتابه (البرهان المؤيد) مانحه : التصوف الإعراض عن غير الله ، وعدم شغل التفكير بذات الله ، والتوكل على الله ، واللقاء زمام الحال في باب التفويض ، وانتظار فتح باب التكرم ، والاعتناء على فضل الله ، والخوف من الله في كل الأوقات ، وحسن الظن به في جميع الحالات . وقال - رضي الله عنه - في محل آخر من الكتاب المذكور : أي سادة الفقير على الطريق مادام على السُّنة ، ومنى حاد عنها زل عن الطريق ؛ قيل هذه الطائفة الصوفية واختلف الناس في سبب التسمية وسببها غريب لا يعرفه الكثير من الفقهاء ، وهو أن جماعة من مفسر يقال لهم بنوا الصوفة وهو الغوث بن مر ، بن أد ، بن قلابخة الربيط كانت أمه لا يعيش لها ولد ، فذئبت إن عاش لها ولد لترعطن برأسه ، وتجهده ريط الكعبة ، وقد كانوا يجيزون الحاج إلى أن من الله بظهور الإسلام فأسلموا وكانوا محبّاداً ، ونقل عن بعضهم حديث رسول الله ﷺ حين صحبهم أو تعبد ولبس تصوف مثلهم ينسبونه إليهم فيقال صوفي ، ونوع الفقهاء الأسباب ، فمنهم من قال : التصوف الصفاء . ومنهم من قال : المصافاة . وغير ذلك ، وكله صحيح من حيث معناه لأن أهل هذه الحرفة

اتزيموا اتصفاء وانصافاً وعملوا بالآداب الظاهرة ، وقالوا : إنها تدل على
 الآداب الباطنة ، وقالوا : أحسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن ،
 وقال : من لم يعرف أدب الظاهر لا يؤمن على أدب الباطن ، كل الآداب
 محصورة في متابعة النبي ﷺ قولاً وفعلًا وحالًا وخلقًا ، فالصوفي آدابه تدل
 على مقامه ، زوسا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع يُعلم
 نديكم ثقل ميزانه وخضته ، نُحِلَّت النبي القرآن قال تعالى : ﴿ مَا قَرَأْتَ فِي
 الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من ألزم الآداب الظاهرة دخل في جنسية القوم
 وحسب في أعدادهم ، ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة فهو فيهم غير
 لا ينسب حاله عليهم ، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية بل تكون علة
 الضم .

قال رويم : التصوف كله أدب ، وهذا الأدب الذي أشار إليه الطائفة
 أدب الشرع ، كن مشرِّحاً ودع حاسدك بكتاب عليك ، وينسب ما يجب
 إليك .

ولست أبالي في زمانى بريبة إذا كنت عند الله غير مرىب
 إذا كان مرئى عند ربي مترجماً لما خُفِى وأشرف أئسى بغريب

* * *

وذكر صاحب (أم البراهين) أن سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله
 عنه كان يقول :

ليس التصوف بالخيرق من قال هذا ما صدق
 إن التصوف يافتى خرق يُمازجها قلق

* * *

وقد شطرنجها تشبهاً بأذياله - قدس الله سره - فقلت :

(ليس التصوف بالخرق) أو بالتوهم والغلق
(أو بالسعالي والجفا) (من قال هذا ماصدق)
(إن التصوف يافتى) سرُّ على القلب اتسق
(وشرح من مكسوته) (خرق يُأزجها فلق)

♦ ♦ ♦

والشند بعضهم :

تذرع الناس في الصوفي واختلفوا فيه وطنوه مُشتقاً من الصوف
ولست أنصح هذا الاسم غير فتي صافي وضوئي حتى سُمي الصوفي

♦ ♦ ♦

وقد عقد الشيخ المعارف بالله شهاب الدين السهروردي ناداً في ذكر تسمية الصوفية بهذا الاسم في كتابه (عوارف المعارف) قال فيه : أخبر الشيخ أبو زرعة طاهر بن عماد بن طاهر ، قال : أخبرني والدي ، قال : أخبرنا أبو علي الشافعي بـ (مكة) - حرسها الله تعالى - قال : أخبرنا أحمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا أبو عبد الله المخزومي ، قال : حدثنا سفيان عن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول : كان رسول الله ﷺ يحب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف ، فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سُموا صوفية نسبةً ضم إلى ظاهر التسمية ، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ، ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام ، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مرَّ بالصخرة من الروحاء

سبعون نبياً حفاة عليهم العباء يؤفون اثبيت الحرام ، وقيل : إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى . وقال الحسن المصري : لقد أدركت سبعين يدرباً كان لباسهم الصوف ، ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد قالا : كانوا يخزون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين ، وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الصمان إذا أصابه الغيث ، وقال بعضهم : إنه يؤذني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم ؟ يخاطب رسول الله ﷺ بذلك ، فكان اختيارهم ثلبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسبب الجوعة وستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة ، فلم يضرعوا ملأد النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف همهم إلى أمر الآخرة ، وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ، ولما كان حالهم بين سر وطير لتقلبهم في الأحوال وارتقائهم من حال إلى أحسن منه ، لا يقيدهم وصف ، ولا يحبسهم نعت ، أبواب المزيد علماً وحالاً عليهم مفتوحة ، بواطتهم معدن الحقائق ومجمع العلوم ، فلها تعلم تقبيدهم بحال لتنوع وجدانهم ، وتجنس مزيجهم نُسبوا إلى ظاهر الدنسة ، فكان ذلك إيبين في الإشارة إليهم ، وأدعا إلى حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم ، وأيضاً لأن حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ، ولكان أن الاعتناء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر سلف يعز كشفه والإشارة إليه ، وقعت الإشارة إلى زعيم سراً لحالهم ، وغيره على عزيز مقامهم أن تكثر الإشارة إليه وتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلى الأدب ، والأدب في الظاهر والباطن والقول

والفعل ههنا أمر الصوفية ، وفيه معنى آخر وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن نقلهم من الدنيا ، وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من اللبوس الناعم ، حتى المبتي الذي يؤثر طريقهم ، ويحب الدخول في أمرهم ، يوطن نفسه على التثقف والتقلل ، ويعلم أن المأكول أيضاً من جنس المبتون فيدخل في طريقهم على بصيرة ، وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتي ، والإشارة إلى شيء من حالهم وتسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات ، فكان تسميتهم بذلك أنفع وأولى ، وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال أنهم سُموا صوفية لذلك يتضمن دعوى ، وإذا قيل سُموا صوفية ليسهم الصوف كان أبعد من الدعوى ، وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم ، وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على المظاهر من أمرهم ، ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن ، وحكم بالظاهر أوفق وأولى ، فائقول بأنهم سُموا صوفية ليسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع ، ويقرب أن يقال لما آثروا الذبول والجدول والتواضع والانكسار والتخفي والنوازي كانوا كالخرفة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها ، فيقال صوفي نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفي نسبة إلى الكوفة وهذا ذكره بعض أهل العلم . والمعنى المفصّل به قريب ويلازم الاشتقاق ، ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين ، والزهاد والعباد والمتخشقين .

أخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبيه ، قال : أخبرنا عبد الرزاق بن عبد الكريم ، قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد ، قال : حدثنا أبو علي إسماعيل بن محمد ، قال : حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا

خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل من صوف وكساء من صوف وكمة من صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي » وقيل : سَمُوا صوفية لأنهم في النصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتضاع عمامهم وإقباضهم على الله بقلوبهم ووقوفهم برأوسهم بين يديه ، وقيل : كان هذا الاسم في الأصل صغوتي فاستقل ذلك وجعل صوفياً ، وقيل : سَمُوا صوفية نسبة إلى الصُّفَّة التي كانت لفقرائه المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ، ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك الكثر منهم مجتمعين متالفين متصاحبين لله وفي الله كأصحاب الصفة ، وكانوا نحواً من أربعماية رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والأربطة ، وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى صرع ولا إلى تجارة ، كانوا يحتطبون ويبرصخون النبوي بالنهار وسائليهم يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته ، وكان رسول الله ﷺ يرأسهم ويحث الناس على مواسمهم ، ويجلس معهم ويأكل معهم ، ويحيهم نزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَءُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ونزل في ابن أم مكتوم قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ وَتَوَّيْ أَنْ يَخْدَعَهُ الْأَعْمَى ﴾ وكان من أهل الصفة فعوتب النبي ﷺ لأجله ، وكان

رسول الله ﷺ إذا صافحهم لا يترج يده من أيديهم ، وكان يفرقهم على
أهل المدينة والبيعة يبعث مع واحد ثلاثة ، ومع الآخر أربعة ، وكان
سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم ، وقال أبو هريرة : لقد
رأيت سبعين من أهل البصرة يُصلُّون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبته
فإذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته ، وقال بعض أهل
البصرة : جئنا جماعة إلى رسول الله ﷺ قلنا : يا رسول الله أحرق بطوننا
التمر ، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر ثم قال : « ما دال أقوام
يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة
وقد واسونا به وواسيناكم شا واسونا به والذي نفسي محمد بيده إن منذ
شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله ﷺ دخان للبخز وليس هم إلا
الأسودان الماء والتمر » أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في
كتابه قال . أخبرنا الشيخ أبو بكر بن زكريا الطريثي ، قال : أخبرنا
الشيخ عبد الرحمن السلمي ، قال : حدثنا محمد بن محمد بن سعيد
الأنطاقي ، قال : حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام ، قال : حدثنا
محمد بن علي الترمذي ، قال : حدثني سعيد بن حاتم البلخي ، قال :
حدثنا سيف بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبي عبد الرحمن السكري
عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس قال . وقف رسول الله ﷺ
يوماً على أهل البصرة فراءى فقرهم وجهادهم وفتيق قلوبهم فقال :
« أشروا يا أصحاب البصرة فمن بقي منكم على التعت الذي أنتم عليه
راضياً بـ يا فيه فإنه من رفقائي يوم القيامة » وقيل : كان منهم طائفة
بخير يسكنون بالوادي إلى الكهوف والغارات ولا يسكنون القرى والمدن ،

يسمونه في خراسان شكفتية لأن (شكفت) اسم الغار يسبونهم إلى
 المأوى والمستقر ، وأهل الشام يسمونهم جوعية ، والله تعالى ذكر في القرآن
 طوائف الخير والصالح ، فسمي قوماً أبراراً ، وأخريين مقربين ، ومنهم
 الصابرون ، والصادقون ، والذاكرون ، والمحبون ، واسم الصوفي
 يشمل جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة ، وهذا الاسم لم يكن في زمن
 رسول الله ﷺ ، وقيل : كان في زمن التابعين ، ونقل عن الحسن البصري
 أنه قال : رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال معي أربعة
 دنانير يكفيني ما معي ، وشيئاً هذا القول ما روي عن سفيان أنه قال :
 لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرباء ، وهذا يدل على أن هذا
 الاسم كان يُعرف قديماً ، وقيل : لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من
 الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله ﷺ كان أصحاب رسول الله ﷺ
 يُسمون الرجل صاحباً لشرف صحبته رسول الله ﷺ وكون الإشارة إليها
 أولى من كل إشارة ، وبعد انقراض عهد رسول الله ﷺ من أخذ منهم
 العلم سُمي تابعياً ، ثم لما تقدم زمان الرسالة وتعد عهد النبوة ، وانقطع
 الوحي السماوي ، وتوارى النور المصطفوي ، واختلفت الآراء ، وتنوعت
 الاتجاهات ، وتفرّد كل ذي رأي برأيه ، وكثر شرب العلوم شوب الأهوية ،
 وتزعزعت أبنية المتقين ، واضطربت عزائم الزاهدين ، وغلبت الجهالات
 وكثف حجابها ، وكثرت العادات وتعلكت أربابها ، وتزعزعت البديا وكثر
 خطاياها ، تفرّد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية ، وصدق في العزيمة ،
 وقوة في الدين ، وزهد في الدنيا ، واعتصموا العزلة والوحدة ، وانحذروا
 لنفسهم زوايا يجتمعون فيها تارة ويفترقون أخرى أسوة بأهل التصفية ،
 تاركين الأسباب ، مبتلين إلى رب الأرباب ، فأشهر لهم صالح الأعمال

منى الأحياء ، وبها هم صفاء الفهم لقبول العلوم ، وصار هم بعد
الناس لسان ، وبعد العرفان عرفان ، وبعد الإيمان إيمان ، كما قال
حاتمة : أصبحت مؤمناً حقاً . حيث كوشف برئية في الإيمان غير
مايعايندها ، فصار هم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها ، وإشارات
بمعاهدوتها فحرروا أنفسهم اصطلاحات تشير إلى معاني يعرفونها ،
وتعرب عن أحوال يحضون ، فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار
ذلك رسماً مستمراً ، وخيراً مستقراً ، في كل عصر وزمان ، فظهر هذا
الاسم بهم ونسبوا به ونسبوا به ، فالاسم سميتهم ، والعلم بالله
صفتهم ، والعبادة حبيتهم ، والتقوى شعارهم ، وحقائق الحقيقة
أسرارهم . كزأج القبائل وأصحاب الفضائل ، سُكَّان قباب الغيرة ،
وقطآن ديار الخبرة ، لهم مع الساعات من اعداد فضل مزيد ، وغيب
شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد . انتهى .

قلت : والخاصل هم طائفة صفت مناهلهم ، وعذبت مشايرهم ،
مكثروا في القلوب من محبة الله الأساس ، وتردوا بعد ذلك بما يليق لهم من
الزنى والبأس ، فأخفاهم سبحانه وتعالى حالة ظهورهم عن أعين
الأغيار ، ونشر عليهم من أودية القبول أشرف الأستار ، وجردهم نه منهم
رضي الله تعالى عنهم ، وحسن ما قيل فيهم ، جعلنا الله من خواص
محبهم :

له نعمت بساط الغيب طائفة أخفاهم عن عيون الناس إجلالا
هم السلاطين في أطوار مسكنة جروا على فلك الخضراء أذبالا

وقد ذكر سيدنا الكبير السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - في كتابه
 في انبرهان المؤيد في من سيرة هذه الطائفة وحالهم ومراتبهم ما يشفي القلب
 العليل ، ويريد العليل ، وهما يعرفونه ؛

قال رضي الله عنه : ما أحب أن يعرف إلا شقي ، ليس من التصوف
 الحبور ولا أكرموني ولا زوروني ، ما وقف على باب أهل الدنيا رجل كامل
 المعرفة ، الأنس بالخلق انقطاع عن الحق ، من اعتز بغير الله ذل ، ومن
 حرم درجة اليقين سقط من مراتب المتقين ، ومن انقطع لله وصله ،
 الانقطاع إلى الله حال أهل الخال مع الله ، لو أردت أن أتكلّم عليكم
 بلسان الحان لوقرت لكم مشي بغير إياذن الله ، ولكن أقول لكم لو تكلم
 المتكلم حتى أصم الأسماك وكان كلامه مردوداً عند الظاهر فتركه الكلام
 أثلى له ، وإذا سكوت حتى ظل جليسه أنه لا يتكلم ثم تكلم بكلمة
 واحدة سالحة من الباطن ، سالحة في الظاهر ، مقبولة عند الشرع ، فتح
 الله لسماع كنهته القلوب ، وتلقاها السامعون بالإذعان ، ونكف به كل
 حقيقة راعها الشريعة فهي زائدة ، إذا رأيتم شخصاً ترفع في الهواء
 فلا تلتفتوا إليه حتى ينظروا حاله عند الأمر والنهي ؛ أي سادة كل حال
 القوم من أولهم إلى آخرهم تحت أربع درجات ، وكل حال العلماء والفقهاء
 كذلك ؛

فأما الدرجة الأولى من حال القوم فدرجة رجل طلب المرشد لما رأى من
 إقبال العامة على الطائفة فأحب ذلك وفرح بالرواق والجمعية والزني

والدرجة الثانية درجة رجل طلب المرشد عن حسن فطن بالطائفة
 فأحبهم وأحب ما هم عليه ، وأحد بضميم القلب كل ما نقل عنهم ،

وأخذ منهم بالاعتقاد الصحيح البظيف .

والدرجة الثالثة درجة رجل سلك المقامات ، وقطع العقبات ، وبلغ من الطريق العوالي من الدرجات ، ولكن وقف نازة عند قوله تعالى : ﴿ سترهم آياتنا ﴾ الآية فساعة يرى الكون بمشهد الآية التي أريت له فيغيب بها عين أراه إيها ، وساعة يرى نفسه بمشهد الآية التي أريت له في نفسه فيغيب بها ، وهذا المشهد مشهد الإدلال ، ومنه تحصل الشطحات والتجاوز ، واظهار العلو على الاعالي ، والبروز بحال السلطنة ، والظهور بالقول والفعل والحول والقوة .

والدرجة الرابعة درجة رجل سلك الطريق مقتضياً آثار النبي ﷺ في كل قول وفعل وحال وخلق ، حاملاً راية العبدية ، فارساً جبين الدل في الخضرة الربانية ، يشهد على هامة كل شيء ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ يقرأ من صحيفة جبهة كل ذرة مخلوقة ﴿ إلا له الخلق والأمر ﴾ يقف عند حده ، ويبسط على تراب الأدب بساط حبه ، ويمر في أثناء سيره على عقبات الآيات فينصرف عنها إلى المعبود ﴿ ولا يشرك بعبدته شيء أحد ﴾ فصاحب الدرجة الأولى محبوب ، وصاحب الدرجة الثانية محب ، وصاحب الدرجة الثالثة مشغول ، وصاحب الدرجة الرابعة كامل ، وفي كل درجة من الدرجات المذكورات درجات كثيرة تظهر للعارف من حال الرجل .

وأما درجات العلماء والفقيهاء : فالدرجة الأولى درجة رجل طلب العلم للمهارة والجدال والتفان وجمع المال وكثرة القيل والقال .

والدرجة الثانية : درجة رجل طلب العلم لا للمناظرة ولا للمريسة

ولكن ليحسب في أعداد العناء فيمدح بين أهله وعشيرته وأهل قريته ،
مكتفياً بهذا المقدار متمسكاً بالظاهر لا غير .

والدرجة الثالثة : درجة رجل حل عو بعض المشكلات ، وكشف دقائق
الشقولات والمعضلات ، ونقاص بحور الجدل مفسر المهمة لنصرة الشرع
في أحواله إلا أنه أخذته عزة العلم على من هو دونه ، وإذا انتصر للشرع
وعورض بدليل اختطفته نصرة نفسه ، فأفرط وأقام الأدلة على خصمه
وشنّ عليه وربما كفره وطعن فيه ، وهجم عليه ف هجوم الحيوان المنقرض مع
عدم رعاية الحق المحدود شرعاً في كل حال من أحواله وأحوال خصمه .

والدرجة الرابعة : درجة رجل علّمه الله فنصّب نفسه لنبيه الغافل ،
وإرشاد الجاهل ، ورّد الشارح ، ونشر النقائذ ، والنصيحة ونكار ما ينكر
شرعاً وقبول ما يقبل شرعاً يحسن التجرد من الغرض ، يرى أن الحق
ما حشنته الشرع والقبح ما قبحه الشرع ، يأمر بالمعروف وأمر حاكم غير
خليل ولا فظ ، وينهى عن المنكر نهي مشتغل غير ظالم ولا عاد .

فصاحب الدرجة الأولى سيء ، وصاحب الدرجة الثانية محروم ،
وصاحب الدرجة الثالثة مغرور ، وصاحب الدرجة الرابعة عارف ، وفي
كل درجة من الدرجات المذكورات كذلك درجات تظهر من حال
الرجل ، والمعصوم من عصمه الله وقد ظهر لكم .

أي سادة إن غاية طريق الصوفية نهاية طريق الفقهاء ، ونهاية طريق
الفقهاء نهاية طريق الصوفية ، وعقبات القطع التي ابتلي بها الفقهاء في
الطلب هي العقبات التي ابتلى بها الصوفية في السلوك ، والطريقة هي
الشريعة والشريعة هي الطريقة ، والفرق بينهما لفظي والمادة والمعنى

والنتيجة واحدة ، وما أرى الصوفي إذا أنكر حال الفقيه إلا شكوراً ، ولا الفقيه إذا أنكر حال الصوفي إلا ميعوداً إلا إذا كان الفقيه أمراً بلسانه لا بلسان الشرع والصوفي سالماً بنفسه لا بسلوك الشرع فلا جناح عليهما ، والشرط هما الصوفي الكامل ، والفقيه العارف كما ذكرنا قبف يعمل الصوفي الكامل إذا قال له الفقيه العارف أنت تقول لتلامذك لا تصلوا ولا تصوموا لا تنفروا عند حدود الله ؟ بالله عليكم هل يقدر أن ينطق إلا بحاشا لله ؟ كيف يعمل الفقيه العارف إذا قال له الصوفي الكامل أنت تقول لتلامذك لا تكثروا ذكر الله لا تحاربوا النفس بالمجاهدات لا تعملوا بصحة الإخلاص لله ؟ بالله عليكم هل يقدر أن ينطق إلا بحاشا لله ؟ فحينئذ إنجست المادة والمعنى والنتيجة واحتجفت اللفظة لا غير ، فمن حجبته من تصوفه حجاب اللفظة عن أخذ سره المادة والمعنى والنتيجة فهو جاهل ، ما أخذ الله وبأ جاهلاً ، ومن حجبته من التفقه حجاب اللفظة عن أخذ سره مادكره فهو محروم ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ويعلم أن المرء لا يدخل في حنسية القوم بمجرد الاكتساب بحسبهم والتليس بخرقتهم إنما يدخل في حسابهم إذا تأقّب بأدابهم .

قال سيدنا السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنه - في كتابه (الحكيم) :
 ليس الساتحة النكلى قاتلة الساتحة المتاجرة - وقلت في كتابي (فلاح
 التريجد) عند شرح هذه الحكمة : أراء بذلك - رضي الله تعالى عنه - أن
 الذحل في القوم بلا صدق ولا علم ولا عمل لا يعد منهم ولا يكون مثلهم .
 ويهيجني ما ذكره صاحب كتاب (آداب الأقطاب) مولانا علي بن محمد
 الكازروني الرفاعي - قدس سره - في مقدمة كتابه حيث يقول : سألني

زادك الله توفيقاً ، ويسرّ وفتح لك إلى كل خير طريقاً ، أن أذكر لك طرفاً
 من آداب التصوف وقواعده ، ونبذة من أحواله ومراشده ، فأتجت إلى
 ذلك بحاجة معترف بالتقصير ، معتمد على النظيف الخبير ، وسأرشدك إلى
 موضع سدائك ، وأذكك على إرشادك ، وإن كان هذا فن قد طوي
 بساطه ، وإنحل زباطه ، ونسي رسمه ، ولم يبق إلا اسمه ، ذهبت
 الآثار ، وعفت الديار ، ونسيت الآداب ، وعمي الصواب ، وعلمت
 تلك العبارات ، وأضحيت تلك الإشارات ، وغدِم أهل الطريقة على
 الحقيقة والفرضوا ، وطوي بساط الأئس بهم فليت شعري أين مضوا

أما لكم عتسا يصل من محبر؟ فما لي بفسم بعد أن رحلوا جلم
 فلو كنته أفرى أين خيم أهلها وأي بلاد الله إذ رحلوا لقوا
 إذا لذكنا ملك الريح خلفها ولو أصبحت نغم ومن دورها النجم

أطفئت مصابيح القوم فأظلم لفقدهم الكون ، وحصلنا من المعالي
 على الصُور ، وبيتها وبينهم بون (ليس التكلل في العين كالكلل)
 تشبه بالقوم من ليس منهم ، وقام في مقامهم من لا يلقى عنهم :

رضوا بالطيلىسان إذ اكتسوها وتفخيم البرانس والعمامة
 كذا دجج البيوت لمن ريش ولكن لا يطرأ مع الحمامة

اقتصروا على تحسين الظاهر مع سباحة الخواطر ، وفتح السرائر وخبث
 الضمائر ، (فضبح انقطع شيعه المطبوع) حسنت الأشكال ، وفتح
 الخلال ، وغفل لمن خلف ، أنه يقوم مقام السلف ، (وأين الثريا من يد

للتطاول المتناول ، أين النقر من الأسد ، أين الضبع من أبي لهد ، طاحت
 والله بهم طوايح الأقدار ، فلم يبق سوى الآثار ، [تلك أمة قد خلت]
 [قتلك مساكنتهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً] .

قف بالديار فهذه آثارهم تكي الأحبة حبرة وتشوقاً
 كم قد وقفت بها أمثال غبرا عن أهلها أو صادقاً أو مشفقاً
 فأجاني داعي الهوى في رسمهم فارقت من هوى فعز المستفى

أين تلك الأحوال والمقامات ، ذهبت مع من ذهب من القوم ومات .
 وقيت في خلف كجلد الأجرى

كان طريق القوم عدم النوم ، واغتنام الأسفار ودوام الأفكار ،
 والحشوع بين يدي الواحد الجبار ، لا جرم أنه رفعت لهم أعلام الأعلام ،
 يرضى الواحد العلام ، فقصورهم تزار ، ومشاهدهم تُخط بها الأوزار .

لا الندار بعدهم دار السرور ولا تلك المنار والأوطان أوطان

عرفت نفوسهم عن شوائب أقدار هذه الديار فتركوها . وقاموا
 بالعبودية فاحسنوا الطريقة وسلكوها ، وقاموا في مقام الأنس بمحبوبهم ،
 فظفروا في الأخيرة بمطلوبهم . ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾
 وبالأسفار هم يستغفرون ﴿ فهم جلساء الله وأحباء ﴾ . وبحوائضه
 وأودائمه ، إن قاموا فبالله ، وإن فعدوا فله ، وإن نطقوا فمن الله ، وإن
 سكثوا شغلوا بالله .

قال شيخنا السيد علي محمد الدين الرفاعي فيهم :

رجال إذا الدنيا دجت أشرقت بهم
وإن أجدت يوماً بهم ينزل القطر
أقباسهم يظهر الأرض فاحضراً عودها
وحلوا يطن الأرض فاستوحش الظاهر

o o o

فيله حفة القوم ، دس عليهم اليوم ، وقد كثري زماننا المنسون بهذه
المطامير ، والمتلبسون بها سيمهم والمتسمرون بسمتهم ، فتوثوا المذهب
وتتروا صفاء الشرب ، ألا ترى أنهم يتصدرون ويتدقون ويحيدون إلى
ثقب الكف والاحترام ، والحنج المريدين ومخاطبتهم هم بالمسحاة .
ففسوا بذلك أركان التعوف وغيروا معانيه ، واخذوا بيوت العبادة
حوانته السيئة ، واكتفوا بأسس الرفعات والمصنوعات وتقصير الآثاب مع
إهمال الآداب إلى آخر ما قال ، انتهى .

وأحسن منه ما قاله سيدنا الغوث الأكبر - والعلم الأشهر ، مولانا
سيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله عنه في كتابه (الزهدان المريد) وهو :
أياها المتصوف إلى هذه البطالة جبر صوفياً حتى نفوز لك أيها الصوفي ،
أي حبيي تظن أن هذه الطريقة تورث من أبك ، تسلسل من جدك
تأليك باسم بكر وغيره ، نصير لك في وثيقة نسبك ، تنقش لك على
جب خرقك ، على طرف تاجك ؟ حسبت هذه البطاعة ثوب شعور وناجاً
وعكازاً ، بدناً وغمامة قبيرة ، وزياً صالحاً ؟ لا والله ، إن الله لا ينظر إلى
كل هذا ، ينظر إلى قلبك ، كيف يخرج فيه سره وبركة قرنه وهو غافل عنه

بحجاب الشايع ، بحجاب الخبيرة ، بحجاب السبعة ، بحجاب
 العصف ، بحجاب السوج ، ايش هذا العقل الخالي من نور المعرفة ؟ ايش
 هذا الرأس الخالي من جوهر العقل ؟ ما علمت بأعمال الطائفة وتلبس
 لباسهم باسمكيز ، يا أخي لو كلفت قلبك لباس الحشمة ، وظاهره لباس
 الأدب ، ونفسك لباس الذل ، وأمانتك لباس المحرم ، وساتك لباس
 الذكر وتخلصك من هذه الحجب ، وبعدها تلتفت بهذه الثياب كان أولى
 لك ثم أولى ، لكن كيف يقال لك هذا القول وأنت تظن أن حاجتك كتاب
 انشوم ، وشريك كتوبهم ، كالا الأشكال مؤتلفة ، والقلوب مختلفة ، لو
 كنت على بصيرة من أمرك خلعت أبائك وأهلك ، وجدك وعمك ، وقديمتك
 وتاجك ، ومزريك ومعرجك ، وأتينا بالله الله وبعد حسن الأدب
 لبس ، وأظنك بعد الأدب تقطع نفسك عن الشوب والعماريض
 انقاطعة ، أي مسكين تلي مع وحمك ، مع حبالك ، مع كذبك ، مع
 عجبك وغرورك ، وتعمل نجاسة ثنائيتك وتظن أنك على شيء ، وكيف
 يكون ذلك ، تعلم علم التواضع ، تعلم علم الحرية ، تعلم علم المسكنة
 والإنكسار ، أي بطلان تعلمت علم الكبير ، تعلمت علم الدعوى ،
 تعلمت علم التعالي ، ايش حصل لك من كل ذلك ؟ تطلب هذه الدنيا
 الجائفة بظواهر حال الآخرة ؟ ليس ما صنعت ما أنت إلا كمشترى
 النجاسة بالنجاسة ، كيف تغفل نفسك بنفسك ؟ وتكذب على نفسك
 وأبناء جنسك ، لا يغرب المحب من محبوه حتى يبعد عن علقه ، رمى
 بعض الشريدين ركبونه في بعض الأسار ليستقي الماء فخرجت مخلوطة
 بالشهيب ، فرمى بها في البحر وقال يا عزيزي وحقت لأأريد غيرك ، من
 أنت نفسه مراداً صدار مراداً ، من أثبت نفسه طالباً صر مطلوباً ، من

عكف على الباب دخل الرحاب ، ومن أحسن التصيد بعد الدخول تنذر في غربة الوصل :

دخل غلّ كرم الله وجهه ورضي الله عنه مسح رسول الله ﷺ فرأى
عربياً في المسجد يقول : إلهي أريد منك شربة . ورأى أنا نكر المصدق
رضي الله عنه في زاوية أخرى يقول : إلهي أريدك شئان مايزن المرادين ،
شئان مايزن الحقتين ، تلعب الأمان بالعقول ، تلعب بالجمع . كل يظفر
بجناح غنمه إلى أمله ومقصده قلبه ، فإذا بلغ غاية غنمه وقف فلم يجاوزها
قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ عِندَ اللَّهِ شَاكِلَةٌ ﴾ أي على بيته ومحمته انتهى

وقد اتصف الصوفية - رضي الله تعالى عنهم - بعلوم الحق لأنهم أوفروا
الناس حظاً من الاقتداء برسول الله ﷺ . واحققهم برحمة شئته وأخلاقه
الشريفة ، سلكوا طريقته ، وآتدوا حقيقته ، فتراهم مع علم الحق على
جانب عظيم من لين الجانب ، وحن الطباع ، وصفاء المشارب :

هَيُّوْنَ لِيُنُوْنَ أَيْسَارُ بِنَا أَيْسَرُ سُوْأَمِنْ مَكْرَمَةِ إِبْنَاءِ أَيْسَارٍ
لَا يَنْطَفِقُونَ عَنِ الْمَحَبَّةِ إِنْ نَفَقُوا وَلَا يُهَازُونَ إِنْ مَلُوا بِأَكْسَارٍ
مِنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ ثَقُلَ لِأَقْبَتْ سُدُّهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

♦ ♦ ♦

رضي الله عنهم أجمعين ، ونفعنا بهم والمسلمين آمين .

﴿ الخاتمة ﴾

﴿ تسأل الله حبها ﴾

﴿ في علم التصوف وفضله ، وعلو مقام أهله ﴾

علم التصوف حقيقة الأشياء ، وهو الذي يكشف للرجل حقيقة
الحسب والنفس ، فيعرض بسببه كل الإعراض عن الأشياء الفانية
واسماها ، ويتعلل بالحقيقة الباقية ويقف على راسها ، ولا يصحح ذلك إلا
بالعمل الصالح تحقيقاً لقول النبي ﷺ « من عمل بها بعنه ورثته » الله علم
مالم يعلم ، وقد أوضح العرف والعلم شأن علم التصوف وبها مزياه ،
وسألي إن شاء الله في هذا الباب بما يسر قلوب أولى الألباب .

قال في (كشف المظنون) : علم التصوف هو علم يعرف به كيفية
ترقي أهل الكمال من التدرج الإنساني في مدارج سعاداتهم . والأمور
العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية . وأما لتعبير عن هذه
الدرجات والمقامات كما هو حقه فغير ممكن . لأن العبارات إنما وضعت
للمعاني التي وصل إليها فهم أهل المراتب ، وأما المعاني التي لا يصل إليها
إلا غائب عن ذاته فصلاً عن قوى بدنه ، فليس بممكن أن يوضع لها
ألفاظ فصلاً عن أن يعبر عنها بالألفاظ ، فكيف أن المعقولات لا تدرك
بالأوصاف . والمفهومات لا تدرك بالخيالات ، والتجليات لا تدرك
بالحواس . كذلك مامن شأنه أن يُعاین بعين اليقين لا يمكن أن يدرك

يعلم اليقين ، فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد في الوصول إليه
بالبیان دون أن يطلبه بالبيان ، فإنه طور وراء طور العقل :

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا الخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهد وكيف يشهد ضوء الشمس مكتوف

❦ ❦ ❦

وهذا ما ذكره ابن صدر الدين ، وأما ابن حجر فإنه جعل الطرف الثاني
من كتابه في العلوم المتعاقبة بالتصفية التي هي ثمرة العمل بالعلم :

قال . وهذا العلم أيضاً ثمرة تسمى علوم المكاشفة لاكتشف عنها
العبارة غير الإشارة ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إن من العلم
كهية المكنون لا يعرفها إلا العلماء بالله تعالى فإذا نظفوا بنكرو أهل
الغربة » .

مرتب هذا الطرف في مقدمة وروحة لها شعب وثمره وقار : المدوخة في
علوم الناطق ، ولها أربع شعب ، العبادات ، والعبادات ، والإنشادات ،
والشجيات . فليخص فيه كتاب (إحياء العلوم) للغزالي ، ولم يذكر الثمرة
فكأنه لم يذكر التصوف المعروف بين أهله .

قال الإمام القشيري : أعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم ينسجم
أغابيلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، إذ لا أفصلية فوقها فقبل هم الصحابة ، وما أتركهم أهل
العصر الثاني سُمي من صحب المصنخاية بالتابعين ، ثم اختلف الناس ،
وتباينت المراتب ، فقبل لخواص الناس عن طم شدة عناية بأمر الدين
انزهاد والعناء ، ثم ظهرت البدعة وحصل التداخي بين الفرق ، فكل

مربق أذعنوا أن فيهم زهاداً ، فانصرفوا خواص من أهل السنة المراعون
نفسهم مع الله سبحانه وتعالى ، حافظون قلوبهم عن طريق الغفلة
باسم التصوف ، واشتهر هذا الاسم هؤلاء الأكابر قبل المائتين من
الهجرة . انتهى

وأول من سُمي بالتصوفي أبو عثمان المتوفى سنة خمسين ومائة .

قال السهروردي - قدس سره - في العوارف : والتصوفي هم القرب ،
ونيس في القرآن اسم صوفي ، واسم الصوفي ترك ووضعت للمعقوب علي
عاشم شرح ذلك في بابه ، ولا يعرف في طرف بلاد الإسلام شرقاً وغرباً هذا
الاسم لأهل القرب وإنما يعرف للمتوسمين . وكم من الرجا المقيدين في
بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يُسمون صوفية . لأنهم
لا يتربون برقي الصوفية ولا مشايخ في الأقطار ، فيعلم أنا نعي بالصوفية
(المخرين) فمناج الصوفية الذين أسماؤهم في الطبقات وغير ذلك من
الكتب كلها كانوا في طرف المخرين ، وعلمهم علوم أحوال المخرين ،
ومن نطعن إلى مقام المخرين من جملة الأبرار فهو متصوف عالم بتحقيق
بعلمهم ، فإذا تحققت بحضرت صار صوفياً ، وماعداهما من قبيز بزي الصوفية
ونسب إليهم فهو مُتَشَبِّه ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ .

وقد أتى سيدنا وقرة أعين الإمام أبو العنمين السيد أحمد الرفاعي .
رضي الله عنه - في كتابه البرهان بما تحو له الأفكار والأدهان ، من تفاصيل
عجيبة ، وأساليب غريبة ، نذكر أساس هذا العلم الكريم . وتدل على
فهم صراطه المستقيم . فقال - رضي الله عنه ونعمنا والمسلمين بعلومه
آمين - :

العزيز المقتدر واحد ، أظهر القدرة على أنبأ متفرقة ، وهاتان
 متباينة . وهو واحد في ذاته ، غير متحيز ، ولا منقسم ، ولا حال ، ولا
 متحد ، ولكن تجلّى لعباده بأفعاله وقدرته ، وجعل إليه طرقاً ولطرق
 أدلاء ، وكل دليل آية مخصوصة ، وكل طريق باب مخصوص ،
 وحجاب مضروب ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء
 حجاب ﴾ وتم في الطرق حدود مضرورية ، وأعلام منصورية ، لا يمكن
 عبورها إلا بإذن ، فمن كان مأذوناً له في تجاوز الحد المضروب إلى ما وراءه
 فتح له الباب وأدخل ، والدخول لا يكون إلا مع الشرح ، والشرح مثل
 عنه رسول الله ﷺ فقال : « هو نور يقذفه الله في القلب » قيل : يا رسول
 الله ما علامته ؟ فقال : « التجافي عن دار الغرور والإيماء إلى دار الخلود
 والاستعداد للموت قبل حلول الموت » وبالشرح النوراني تنفتح أبواب
 القلوب ، والرحمة باب من أبواب الله سبحانه يفتحها على قلب من يشاء
 ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا أمل لها ﴾ الآية والنبي ﷺ رحمة ﴿ وما
 أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وكما انفتحت أبواب السماء بالرحمة التي هي
 المطر انفتحت أبواب الوحي للنبي ﷺ الذي هو رحمة للعالمين ، وباب
 لدخول المظنين ، فكلمها ظهرت من القدرة على قضاها حجاب عن المظهر
 فمن جاوزه إلى ما وراءه من الأسرار كان من المكاشفين بعلم المنكوت
 المنتهزين في بحبوحة القدس ﴿ أولئك هم النوارثون الذين يرثون الفردوس
 هم فيها خالدون ﴾ وإلى باب الفردوس دعا مصباح الوجود وسراج
 الكونين ﷺ وجاء به ﴿ يأت به سواء من الأسرار العجيبة ، والمعاني
 الغريبة ، واللغة الفصيحة والاستعارات الصحيحة الشريفة ،

والتمثلات المطابقة ، والإشارات المتوافقة ، والرموز الغامضة ،
والكشف الواضحة ، والأحكام الكاملة ، والسياسات الشاملة ،
والآداب الجامعة ، والأخلاق الطاهرة ، فمن كان بصيراً نظر إلى حال
باطن الصورة المحسنة الروحية ، ورأى نسيط أنوارها على صفحات
الألاء الناصية الجسمانية بالسمت والوقار ، والهيبة والسكينة ، والإطراق
والنسيم والبشر ، وشاهد هذه النعوت الباطنة والظاهرة كلها فظهر لها بها
ليخرج من حير الدين وقفاً مع ظاهر الإيداء ، وحججوا به عن المدي ،
ويعلم أن الرسول ﷺ يقول في معناه صورته وحركاته وسكناته لا منه فيه
شيء وأنه نحو من أنيته لقيام الشواهد له به ألا ترى كيف يقول له ﴿ وما رُميت
إذا رُميت ولكن الله رمى ﴾ فغراء من فعله في فعله تدل على شيء على حركة
الناموس المسحر ، أو يضاف فعل إلى الحسم المقدر المصور ، أو يُثبت
تصرف لمتدبر المبدئ ، فإذا نظر الناظر إليه بعين التصريف لا بعين
التصرف - يعلم حقيقة الباني والمبدئ عليه ، وأنزل كل شيء في منزلته
وضوح له الحق الصريح من غير محممة ولا تلويح ، ويميز القيم من
الصحيح ، ويهدي هدى الله لا يهدي البشر ، وكان من المخلصين على
سر القدر ، والمنزهين عن التقليد الذي هو مظنة العر ، ﴿ قل أولو
جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ من التسلل بظواهر الآثار ،
والامتناع من الغي بالخير ، وذلك هو نقلك بالحكمة والموعظة الحسنة إلى
معرفة الحق ليعرفوا به الله ، ويعلموا أن المثلد لما يالف بغير هدى من الله
تابع هواه وجهته ، ويهدي الله عز وجل هو ما كشف لك عن حقائق
الأمور ، وهو الذي يكتب بقلم العقل على ألواح الصدور ﴿ كتب في

قلوبهم الإيمان ويُدْعُهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴿ فَمَنْ أُتِيَ بِالرُّوحِ عَرَفَ الْيَوْمَينَ بِالرُّوحِ
وَعَلِمَ أَنَّ عِيسَى أُتِيَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ
بِرُوحٍ ، مَنْ عَلِمَ هَذَا وَذَاقَهُ كَانَ مِنَ الْمُؤَيَّدِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالنُّكُوبِ كُلِّهَا .
وَفِيهِمْ قِيلَ : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يوقنون ﴾ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿ هدى الله
هو الهدى ونبي بعده إلا أتباع الأحرار ﴾ ولكم اتبعت أهواءهم من بعد
مناجاةك من العلم ﴿ المذنب والكشف الإنهي ﴾ إنك إذا لم تطالبين ﴿
الذين أنزلوا النفس عن رتبة انكشف إلى رتبة موافقة أبواب الأحرار ،
الذين هم في ظلمات آرائهم المنطحة بأوصاف الطبيعة ، المحجوبة في
ظلمات الحس ومن كثر سواد قوم فهم منهم وحشر معهم ، ومن وافق قوماً
كان منهم ﴾ فإذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ وبعد الكشف إلا الحجاب
﴿ فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من
العلم ﴾ .

وقد علمت أن الحياة الدنيا مشغلة عن الحياة القصوى ، وإن اعرض
عن الاستعداد للحياة الخفية نادم بعد مفارقة الحياة الدنيا عرق بار
جهنم ، فتذكر حين لا تنفعه الذكوى ﴿ فيقول يا ليتني قدمت لحياي
فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ﴾ حتى يعلم أن الدار
الآخرة هي الحيوان ، فلو كان يعلم لكانت الدار الآخرة دار
حياته إذ هي حياة العلماء ، ولهذا اشترط لو كانوا يعلمون فتقدير
النكلام لو كانوا يعلمون لكانت الآخرة دار الحيوان في حقهم ولكن
جهنم حبيبهم ، وإلى ظلمات الصور أفعالهم ، وفي سجن الجسم
المحصور بثلاثة أبعاد سجنهم ، فإليه يُرَدُّ وفيه يُعَذَّب ، فلا بد من حشرها

وذلك هو الذي ذكره الشارع من حشر الأجساد ورث الأرواح إليها عند من
 وفقه الله سبحانه إلى الإيمان بذلك ، وشرح صدره لقبول تصديقه بإخلاقه
 أن ما جاز ابتدؤه لاستحصال إعادته فاستترع أعوان في الشاهد من المذخر
 ﴿ قل بحجتها الذي أنشأه أول مرة ﴾ ولا يحجب عن معرفة الله سبحانه
 ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إلا من استحوذ عليه شيطانه
 وهواه فأصله عن الحق وأعوأ حتى مفته الحق سبحانه وأخزاه ويجعل الخلود
 في النار جزاءه ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
 ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ ﴿ أو تشكّ النّس لعنهم الله فأصمهم وأعمى
 أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ فأصبحوا صمّاً بكفاً
 عمياً فهم لا يعلمون ، وكيف يدبر القرآن من لا يدري حقيقة القرآن ولا
 إنزال القرآن ولا منزل القرآن ولا المنزّل عليه القرآن ، والقرآن هو المعر
 المحيط وعلى سواحه العود والعبر وجميع أصناف الطّلب ، وأنواع المعادن
 تلقى في وسيله في الجزائر ، وله ظهروطن ووجد ومطلع ، وهذه أربعة
 أركان بُني عليها فهم القرآن ، فالظاهر هو التنزيل ﴿ نزل به الروح
 الأمين ﴾ والباطن هو التأويل كما قال ﴿ : انلهم فقهه في الدين وعلمه
 التأويل ﴾ والحمد هو الذي يتوقف عنده وهو الذي يفصل بين التشبيه
 والتعطيل ، والمطلع هو موضع إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به
 إلهام الملك وفضلة الروح ، ولا يشهد معانيه ولا يطلع على حقائقه إلا من
 كان له كشف ومشاهدة وقلب سائماً مستمّ وأسلم ﴿ قال أسلمت لربّ
 العالين ﴾ ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
 شهيد ﴾ فأول المراتب معرفة التنزيل ، والثاني معرفة التأويل ، والتّزِيل
 يعني أن يكون أمراً كما جاء لا يُحرّف ولا يُبدّل لأنه أساس التأويل ،

والشؤيل منزل على التنزيل لا يخرج به عن مطابقة التنزيل ، فلا يعطل
بمعانيه إلى التعطيل ، ولا يجاد به عن موافقة طريق السنة الواردة عن سيد
المرسلين ، والرتبة الثالثة وهي الوسطى ، وهي الحد المانع الجامع يجمع
بين ظاهر التنزيل وباطن القائل ، ويمنع من التشبيه والتعطيل ؛

والرتبة الرابعة هي الأطلاع عليه بالنور المبين ، الذي لا يوجد إلا عند
المؤمنين ، وهو تعليم العزيز الرحيم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا
بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تمشون به ﴾ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ
ويعلمكم الله ﴾ فانه سبحانه معلم الفهم ، والرسول معلم الحكم
والحكمة ويطلع على معالم الفهم ، ويوصل إلى مقام الأطلاع بإرشاده إذ
هو واسطة بين العباد وربه ﴿ كما أرسلنا قبلك رسولا منكم يتلو عليكم
آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ﴾ فالرسول هادج واسطة لا بأتاصيل ﴿ وذلك لتهدي إلى صراط
مستقيم ﴾ والله تعالى هو الهادي ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشاء ﴾ وكذلك هو معلم الدلالة ، والله سبحانه وتعالى معلم
الأصالة ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾
﴿ وعلمناه من نزلنا علما ﴾ ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ فرق بين العلم
والخلق ، فدل على أن علم الله سبحانه وهو صفته غير مخلوقه كنهه بقلم
العقل على ألواح الصدور ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا
العلم ﴾ فالعقل مستمد من العلم الأزلي وهو القرآن الذي القي إلى
محمد ﷺ حصل للرسول بتعليم جبريل ، وتعليم جبريل هو تعزيم الله عز
وجل وتعليم الرسول ﷺ هو تعليم جبريل ، فإذا كان تعليم الرسول هو

تعليم الله سبحانه ، فالله سبحانه يعلم الملائكة بلا واسطة والملائكة
وسائط بين الرسل وبين الله سبحانه ، والرسل وسائط بيننا وبين الملائكة ،
والله سبحانه معلم الكل وهادٍ لكل والمبين لكل ، وإن كان الرسول مبيناً
فهو في الشيين كما هو في الهداية ، شيخ أقيم لتعريف الخلق بأنفسهم إليه
الحق وله ولاية الظاهر بالحكم ، وله سبحانه ولاية الباطن بالتولي ﴿ لتبين
للمناس ما نزل إليهم ﴾ ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من
قبلكم ﴾ فما من شيء أضيف إلى الرسول ظاهراً في حال من الأحوال
لإثبات الأحكام إلا وقد لقي باطلاً لإثبات التوحيد ، حتى لا يقف أحد
مع ظاهر ما أبدي إلى محمد دون النظر إلى الإبداء ، ومعرفة جبرائه على
ظاهر محمد ﷺ من الميدي عليه ، وهو الذي برز الأمر في الأفراد والإصدار
إليه ﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾ فهو محل التلقي لا هو
الملقي ولا إليه الإلقاء ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا راحة
من ربك ﴾ وليت شعري أيش الكتاب من الكتابة ؟ سوى أنه منصف من
حيث كان محلاً قابلاً لها لا من حيث أنها لم تول فيه ، ولا هي صفته وإنما
هي صفة الكاتب بدت في الكتابة لا من الكتاب وإليه تعود في الوصف لا
إلى الكتاب ، فهي صفة الكاتب لا صفة المكتوب ، فلذلك قلب
محمد ﷺ كتاب كتب الله فيه القرآن كما يكتب الكاتب في اللوح ، وإن
كانت الكتابة في الشاهد تكتب بواسطة القلم في اللوح ، والقرآن انكتب
بواسطة جبريل في لوح قلب محمد وكان بمنزلة اقلم والمكتوب قديم وهو
الكلام الأزلي ، والكاتب والمكتوب فيه مخلوقان كاللوح والقلم ، فإن قلب
محمد ﷺ مخلوق وجبريل عليه السلام مخلوق ، وما كتب الله عز وجل
بواسطة جبريل قديم ، فالقرآن إذاً قديم وهو علم الله ، ولا يبعد أن يكتب

في قلوب العباد على سبيل الحفظ والعلم لا على سبيل الحلول والانتقال لأن الله سبحانه هو الحافظ له لا العبد ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له حافظون ﴾ ويروي أنه لما خلق الله سبحانه وتعالى القلم قال له أكتب قل ما أكتب ، قال : أكتب علمي في خلقي . وعلم الله مكتوب في خلقه والإيمان مكتوب ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ ولانسأل عن كيفية هذه الكتابة وكيف ارتسامها في الصدور فإن ذلك يستدعي فتح باب كبير من أبواب المكتوب ، فإن الكتابة تستدعي لوحاً ومذاهباً وقلماً وأصابعاً وبدأً وقدرة وإرادة وعلماً وكتابةً ، وذلك من علوم الكاشفة إذ علم ذلك غاية الأنبياء ومباني الأنبياء ، فإن النبي ﷺ أول ما كشف بسر القلم حين رأى جبريل في صورته أول مرة وعطه ، وقال : اقرأ فقال : « ما أنا بقارئ » الحديث المعروف ، أول ما كشف من الوحي يسعفة الكتابة والقلم والتعليم وخلق الإنسان ، وهذا مجمع العلم وخزانة الأسرار ، وهذا أصل ما وراءه ، فقال : اقرأ ، قال : « وما اقرأ » قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ خلق الإنسان من علق ﴿ اقرأ وربك الأكرم ﴾ الذي علم بالقلم ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ فإن كنت من أرباب البصائر ففي متفرد كلامنا ما يدلك على معانيه ، فإن الكلام لم يخل من إشارة إليه ، ونبيه عليه ، ومعرفة لا تحتمل التصريح فإن خواص عبرات أسرار خفية ، وفتح باب الأسرار عزيز ، وإفهام الخلق ما لم يأنقوا مسالكه من الأسرار عمير ، وبحره عبق يغرق فيه أكثر الجواهر إلا من توفى الله عز وجل أمره ، وهو يتولى الصالحين . انتهى .

وقال المشهور ردي أيضاً في عوارفه : ومن القنوب ما هي بمثابة الأخاذات ، أي العذرات جمع أخافة وفي المصنع والقدير الذي يجتمع الماء فيه ، فظنوس العلماء الزاهدين من الصوفية والتشيخ تركت ، وقلوبهم صفت فاعتصمت بمزيد الفائدة فصبروا أخاذات ، قال مبروق : صحبت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالأخاذات لأن قلوبهم كانت راعية فصارت أوعية العلوم بها رزقت من صفاء الفهم ،

أخبرنا رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل إجازة ، قال : أخبرنا أبو سعيد محمد الحلبي ، قال : أخبرنا القاضي أبو سعيد محمد الفرخزافي ، قال : أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي ، قال : أخبرنا ابن فنجوية ، قال : حدثنا ابن حبان ، قال : حدثنا إسحاق بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا إبراهيم بن عيسى ، قال : حدثنا علي بن عيسى ، قال : حدثنا أبو حمزة الثمالبي ، قال : حدثني عبد الله بن الحسين ، قال : حين نزلت هذه الآية ﴿ وتعبها أذن ﴾^(١) راعية ﷺ قال رسول الله ﷺ : سألت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي ، قال علي : فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى . قال أبو بكر الواسطي : أذن وعث عن الله أسراره ، وقال أيضاً : راعية في معانيها ليس فيها غير ما شاهدتها شيء ، فهي

(١) أذن راعية على التوحيد . والتشكي للإيمان بأن الوحدة فيهم ثمة ، ولتوحيد النفس ثمة من وجه مبهم ، والدلالة على أن الأذن فواحدة إذا رعت وحفظت عن الله فهي الصوت الأعظم عند الله ، وإنما سواها لا تلتصق إليهم وإن اعتكف العالم منهم .
يقول محققه واصله هكذا وجدت هذه الحاشية في هامش الأصل كتبت بالحرف الآخر فكتبتها كما هي بمرورها .

الخالية عما سواه ، فيما اضطراب الطبايع إلا ضرب من الجهل ، فقلوب^(١) الصوفية وعت لأنهم زهدوا في الدنيا بعد أن أحكموا أساس الثقوى ، فبالتقوى زكت نفوسهم ، وبالزهد صفت قلوبهم ، فلما عدوا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام يواطينهم ، وسمعت آذان قلوبهم ، فأعانتهم على ذلك زهدهم في الدنيا ، فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الإسلام أحاطوا علماً بالكتاب والنسنة واستنبطوا منها الأحكام ، وردوا الحوادث المشجدة إلى أصول من النصوص وحقى الله تعالى بهم الدين ، ثم عرف علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذهب العرب في اللغة وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص واختلاف وجوه القراءة ، وصنفوا في ذلك الكتب فأشبع بطريقهم علوم القرآن على الأمة ، وأئمة الحديث ميزوا بين الصحيح والحسان ، وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامي الرجال ، وحكموا بالخرج والتعديل لئيبين الصحيح من المستقيم ، ويتميز المعوج من المستقيم ، فيحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظاً للنسنة ، وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفرع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع ، واستيعاب الحوادث بحكم النصوص ، وتفريع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف ، وتفرع من علم الخلاف علم الجدل ، وأخرج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين ، فكان من علمهم علم القرايض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة ، وإلى غير ذلك فتمهدت الشريعة وثابته واستقام الدين الحنفي وتفرع ، وتأسل اهتدى النبري المصطفوي

(١) وفي نسخة (قلوب) .

فأنبت أراضي قلوب العلما الكلاء والعشب بها قملت من مياه الحيا من
 اقلنى والعلم قال الله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالأت أودية
 بقدرها ﴾ قال ابن عباس الماء العلم والأودية القلوب : قال أبو بكر
 الواسطي : خلق الله تعالى درة صافية ولا حظها بعين الجلال فذابت حياه
 منه فسالأت فقال : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالأت أودية ﴾ فيضاء القلوب
 من وصول ذلك الماء إليها ، وقال ابن عطاء : (أنزل من السماء ماء) هذا
 مثل ضربة الله تعالى للعبث إذا سال السيل في الأودية لا تبقى في الأودية
 نجاسة إلا كنسها وذهب بها ، كذلك إذا سال النور الذي قسم الله تعالى
 للعبث في نفسه لا تبقى فيه غفلة ولا ظلمة (أنزل من السماء ماء) يعني
 قسمة النور (فسالأت أودية بقدرها) يعني في القلوب الأنوار على ما قسم
 لها في الأزل (فأنما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها
 جفوة ﴿ وأما ما يرفع الناس قيمك في الأرض ﴾ تذهب البواطن ، وتبقى
 الخقائق ، وقال بعضهم : (أنزل من السماء ماء) يعني أنواع الكرامات
 فأخذ كل قلب يحفظه ونصيبه (فسالأت أودية) قلوب علماء التفسير
 والحديث والفقه (بقدرها) وسالأت أودية قلوب الصوفية من العلماء
 الزاهدين في الدنيا المتسكين بحقائق التقوى بقدرها ، فمن كان في باطنه
 ثوب حبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وأدى
 قلبه بقدره ، فأخذ من العلم طرفاً ضالماً ولم يحفظ بحقائق العلوم ، ومن
 زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالأت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت
 أعذات . قيل للحسن البصري هكذا قال النفعاء . فقال : وهل رأيت
 ففيها قط ؟ إن النقيع الزاهد في الدنيا . فالصوفية أخذوا حظاً من علم

الدراسة ، حافادهم علم الدراسة العمل بالعلم ، فلما عملوا بها علموا
أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتبشروا عنهم
بعلم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين ، قال الله
تعالى : ﴿ فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ فصار الإنذار مستفاداً من الفقه والإنذار إحياء
النذر بقاء العلم ، والإحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين ، فصار الفقه في
الدين من أكمل الرتب وأعلها ، وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتضي
الذي يبلغ رتبة الإنذار بعلمه ، فمورد الهدى والعلم رسول الله ﷺ أولاً
ورد عليه الهدى والعلم من الله عز وجل فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً ،
فظهر من ارتواء ظاهره الدين ، والدين هم الانقياد والخضوع مشتق من
الدون فكل شيء انضغ فهو دون ، والدين أن يضع الإنسان نفسه لوجه
عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه ﴾ فباتفرق في الدين يستولي الذبول على الجوارح ويذهب
عنها نضارة العلم ، والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد في النفس
والحال مستفاد من ارتواء القلب ، والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر ،
فصار قلب رسول الله ﷺ بالعلم والهدى بحر أمواجاً ، ثم وصل من بحر
قلبه إلى النفس فظهر على نفسه الشريعة نضارة العلم ورثه فتبدلت نعوت
النفس وأخلاقها ، ثم وصل إلى الجوارح جنود فصارت رتبة ناضرة ،
فلما استتم نضارة واعتلاً رباً بعثه الله تعالى إلى الخلق ، فأقبل على الأمة
بقلب مواج بمياه العلوم واستقبلته جداول الفهم ، وجرى من بحره في

كفى جدولاً فسط ونصيب ، وذلك الفسط الواصل إلى المهوم هو الفقه في
 الدين . روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « ما عبد الله
 بشيء أفضل من فقهه في الدين وفقهه واحد أشد على الشيطان من ألف
 عابد ولكل شيء عباد وعباد هذا الدين الفقه » حدثنا شيخنا شيخ الإسلام
 أبو النجيب إمامنا قال : أخبرنا أبو طالب الزيني ، قال : أخبرتنا كريمة ،
 قالت : أخبرنا أبو الخيثم ، قال : أخبرنا الفريسي ، قال : أخبرنا
 البخاري ، قال : حدثنا سعيد بن حفص ، قال : حدثنا ابن وهب عن
 يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال : سمعت معاوية
 عطياً يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقيهه
 في الدين وإنا أنا قاسم والله يعطي » وإذا وصل ماء العلم إلى الفهم انفتح
 بصر القلب ، فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الغي ، ولما قرأ
 رسول الله ﷺ على الأعرابي ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ ومن يعمل
 مثقال ذرة شراً يره ﴿ قال الأعرابي : حسبي . فقال رسول الله ﷺ :
 « فقه الرجل » وروى عبد الله بن عباس « أفضل العبادة الفقه في الدين »
 والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة للقلب فقال : ﴿ لهم قلوب
 لا يفقهون بها ﴾ فليألفقها علموا ، ولما علموا عملوا ، ولما عملوا عرفوا ،
 ولما عرفوا اعتدوا ، فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع إجابة وأكثر اتقياداً
 لعالم الدين ، وأوفر حظاً من نور اليقين ، فالعلم جملة موهوبة من الله
 للقلوب ، والمعرفة تميز تلك الجملة ، والهدى وجدان الخلوص ذلك
 فالله ﷻ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم » أخبر الله وجد
 القلب النبوي الهدى والعلم ، فكان هادياً مهدياً وعلمه صلوات الله عليه
 منها وراثة معجونة فيه من آدم أبي البشر صلوات الله عليه حيث علم

الأمياء كلها والأسماء مائة الأشياء ، فكلمه الله تعالى بالعلم وقال : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ قادم بما رُكِب فيه من العلم والحكمة صار ذا تفهم والصرفة والصفحة والرافة واللفظ والحب والبغض والفرج والغم والغضب والرفضا والتكياسة ، ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واعتدى إلى الله تعالى بالنور الذي وهب له ، فأنبى عليه الصلاة والسلام بُعث إلى الأمة بالنور الموروث والموهوب له خاصة ، وقيل لما خاطب الله تعالى السموات والأرض بقوله سبحانه ﴿ آتَيْنَا طُغْيَاءً أَوْ كَرِهًا قَالُوا آتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ نظر من الأرض وأجاب موضع الكعبة ، ومن السماء ما يجاذبها . وقد قال عبد الله بن عباس : أصل طينة رسول الله ﷺ من سرّة الأرض بمكة . قال بعض العلماء : هذا يشعر بأن ما اجذب من الأرض ذرة المصطفى محمد صلوات الله عليه ومن موضع الكعبة حيث الأرض قصار رسول الله ﷺ هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له ، وإلى هذا الإشارة بقوله عليه السلام : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وفي رواية « بين الروح والجسد » وقيل : لذلك سُمي أمياً لأن مكة أم القرى وذرته أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه ، فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ، ولكن قيل : الماء لما شُج رعى الزبد إلى التواحي ، فوقعت جوهرة النبي ﷺ إلى ما يجاذي تربته بالمدينة ، فكان رسول الله ﷺ مكياً مديناً حينه إلى مكة وتربته بالمدينة ، والإشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله ﷺ هو ما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ورد في الحديث أن الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيفة الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج الغرقى ، وقيل : كان المسح من بعض

الملائكة فأضاف الفعل إلى السبب ، وقيل : معنى القول بأنه مسح أي
 أحصى كما تخصي الأرض بالمساحة ، وكان ذلك بطن نعيان وإد بجنب
 عرق بين مكة والطائف فلما خاطب الله الذر وأجابوا بيلى كتب العهد في
 رق أبيض وشهد عليه الملائكة وألقمه الحجر الأسود ، فكانت ذرة
 رسول الله ﷺ هي العجبة من الأرض ، والعلم والهدى فيه معجونان
 فبعث بالعلم والهدى موزوناً له وموهوباً ، وقيل : لما بعث الله جبريل
 وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض ، فأبت حتى بعث الله عزرائيل لقبض
 قبضة من الأرض ، وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه فصار بعض
 الأرض بين قدميه وبعض الأرض موضع أقدامه ، فخلقت النفس مما سئ
 قدم إبليس فصار مأوى الشر ، وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس فمن
 تلك الثرة أصل الأنبياء والأولياء ، وكانت ذرة رسول الله ﷺ موضع نظر
 الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يحسها قدم إبليس ، فلم يصبه حظ الجهل
 بل صار منزوع الجهل موفراً حظاً من العلم ، فبعثه الله تعالى بالهدى
 والعلم ، وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس ، فوقع
 المناسبة في أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الأول ، فكل من
 كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظاً من قبول ما جاء به ،
 فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظاً وافراً وصارت
 بواطنهم أخاذات ، فعلموا وعملوا كالأخاذا الذي بقي منه ويزرع منه ،
 وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة بأحكام أساس العقوى ، ولما
 تركت نفوسهم انجلت مراني قلوبهم بما صقلها من القوى ، فانجل فيها
 صور الأشياء على هيئتها ومبايشتها ، فبانت الدنيا بفتحها فرفضوها ،

وظهورت الآخرة بحسبها فطاموها ، فلما زهدوا في المادية انصببت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصباباً ، وانضاف إلى علم الدراسة علم التوراة . انتهى .

قلت : وعلم التوراة هذا هو العلم الذي يورثه الله قلوب من يشاء من عباده الذين يعملون بما يعلمون ، فتكون لهم تلك التوراة نتيجة العلم الذي عملوها به بدليل الحديث الشريف الذي تقدم ذكره وهو : « من عمل بما يعلم ورثه الله علمه ما لم يعلم » قلت : وهذا العلم المورث هو العلم اللدني الذي أفاضه الله على قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وأهل العلم العاملين بما عندهم الله ورثة الأنبياء والمرسلين صفوات الله عليهم أجمعين بشاهد قول النبي ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء » ولما كان العلم لا يتم إلا بالعمل ولا يحصل نتيجة العمل إلا بالصدق والإخلاص فيه أحسن الطائفة التصوفية رضي الله تعالى عنهم منار التينات في الأعمال ، وتجردوا من ذميم الأخلاق والخصال ، وسلكوا السبيل إلى الله بهمة عالية وقلب سليم ونفس مرصية وعزيمة رفيعة وأتقوا عن الأعيار ، فأعقبهم ذلك شرف القرب من الملك الحبار ، فترامهم في الدنيا عزيز نوع الإنسان ، وأعيان عصابة العرفان ، وفي الآخرة حيث الدفاتر تقرأ وتنتشر ﴿ في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر ﴾ .

وقد أتى سيدنا السيد أحمد الكبير - رضي الله عنه - في كتابه البرهان بما فيه الكفاية في هذا الباب فقال - رضي الله عنه - ركعتان من فقيه في دينه أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه ، فأياكم وإهمال حقوق المعلماء - وعليكم بحسن الظن فيهم جميعاً ، ولما أهل التقوى منهم العاملين بما عندهم الله فهم الأولياء على الحقيقة فلنكن حرمتهم

عندكم محفوظة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما يعنيه ورثة الله
علم ما يعلم » وقيل صحيح : « العلماء ورتة الأنبياء » الحديث . هم
مادات الناس وأشرف الخلق ، واللهون على طريق الحق ، لا تقولوا كما
يقول بعض المتصوفة نحن أهل الباطن وهم أهل الظاهر . هذا الذين
الجامع باطنه لب ظاهره : وظاهره الخوف بآفته ، لولا الظاهر لم يكن ،
لولا الظاهر لم كان ، وما أصبح ، القلب لا يقوم إلا بحمد ، بل لولا الحمد
نفس . والقلب نور الحمد ، هذا العلم الذي مرآة بعضهم بعلم الباطن
وهو إصلاح الخلق . فالأول عمل بالآفاق وتصديق بالجان . إذا انفرد
فنبسك بحسن نيته وظهره طويته وقطعت وسرقت وزنت وأكلت الربا
وشربت الخمر وكذبت وتكبرت وأغلظت القول في العائدة من نيتك
وظهره قلبك ، وإذا عبدت الله وتغنفت وصمت وصدقت وتواضعت
وأبطلت قلبك الربا والغشاة في العائدة من عملك ، فإذا نعتك أن
الباطن لب الظاهر والظاهر طرف الباطن ولا فرق بينهما ولا غنى لكلاهما
عن الآخر ، عقل نحن من أهل الظاهر وكأنك قلت من أهل الباطن ،
قل نحن من أهل ظاهر الشرع ، وقد ذكرت باطن الحقيقة ، أي حالة
باطنة لتقوم له بأمر ظاهر الشرع بعملها ، أي حالة ظاهرة لم يأمر بظاهر
الشرع بإصلاح الباطن لها ، لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر
والباطن فإن ذلك زيف وبدعة ، لا تعملوا حقوق العلماء والفقهاء فإن ذلك
جهل وحق ، لا تأخذوا بحلولة العلم وتبطلوا مرارة العمل فإن تلك
الحلولة لا تصح بغير تلك المرارة ، وإن تلك المرارة تنتج الحلولة الأبدية
﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ نفس قرآني يشهد لكم بالكفاة على

الأعمال ، والإخلاص أن يكون العمل لله لا لعدو ولا لأخرة مع تحسن
الطن به سبحانه تعالى في كل حال من الأحوال ، وعمل من الأعمال ،
وقول من الأقوال ، إيماناً به وامثالاً لأمره وطلباً لمَرْضاته .

أي سادة يقولون قال الحارث ، قال أبو يزيد ، قال الخلاج ، ما هذا
الحال ؟ قبل هذه الكلمات ، قولوا : قال الشافعي ، قال مالك ، قال
أحمد ، قال نعيم ، صححوا العلاقات البينة وبعدها تمكثوا بالمقولات
الزائدة ؛ قال الحارث وأبو يزيد لا ينقص ولا يزيد ، وقال الشافعي ومالك
انجح الطرق وأقرب المسالك . تبنوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل
وبعدها ارفعوا أهمة اللغوامض من احتكام العلم وحكم العمل ؛ يحمل
علم أفضل من عبادة سبعين سنة أي من العبادات الزائدة عن المفروضات
التي يتعبد الرجل بها بغير علم ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون ﴾ ﴿ لم هل يستوي الظلمات والنور ﴾ أشياخ الطريقة وفرسان
مبادئ الحقيقة يقولون لكم حضوا بأذبال المعياء ، لا أقول لكم تفتشوا
ولكن أقول لكم تفتحوا ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وما اتخذ
الله ديناً جاهلاً ، ولو اتخذ لعنه ، لو لم لا يكون جاهلاً في فقه دينه ،
يعرفه كيف يصلّي ، كيف يصوم ، كيف يزكّي ، كيف يحج ، كيف
يذكر ، يفتح علم المعاسة مع الله ، فمثل هذا الرجل وإن كان أمياً فهو
عالم ولا نقول له جاهل إلا من جهل العلم المقصود ، ليس العلم علم
المبادئ والبيان والأدب الذي عناء انشغاره والحدك والمناظرة ، انعلم
المختصر علم ما أمر الله به ونهى عنه ، والعلم الجامع الأتم علم التفسير
والحديث والفقه ، والفنون القلطية والقواعد النظرية التي وضعت وسبأها

واضعوهما علوماً هي فتوى تدخل تحت قول القائل العليم بالشيء ولا الجهل
 به ، صموا أسماعكم عن علم الوحدة وعلم الفلسفة وما شاكلها فإن هذه
 العلوم موالى الأقدام إلى النار - حماة الله ودينكم - الظاهر الظاهر ، اللهم
 إيماناً كبيراً العجائب ﴿ قل الله تم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ لا تقطعوا
 الوصلة مع العلماء حالهم حالوا عنهم ، لا تقولوا فلان غير عامل خذوا
 من علمه واعملوا به ودعوه وعمله إلى الله ، الأولياء رضي الله عنهم
 بأخذون الحكمة لا يبالون من أي لسان ظهرت ، وعلى أي حجر كتبت ،
 وبواسطة أي كافر وصلت ﴿ ويتذكرون في خلق السماوات والأرض ربنا
 ما خلقنا هذا باطلا ﴾ الأولياء قناطر الخلق يعبر الخافقون عليهم إلى الله
 تعالى ، أولئك العاملون المخلصون الخالصون استخلصهم تعالى لعبادته
 وقربهم من حضرته ، فاحجب قلوبهم حجاب الغيب طرفة عين ، أخرجوا
 البين من البين أقاموا طلائع الحكم على الأسرار ، وقاموا الليل وصاموا
 النهار ، بعضهم غلب عليه الفكر ، وبعضهم غلب عليه الذكر ،
 وبعضهم جمع شتات الأمر ﴿ رجال لا تلعبهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾
 أوصيكم كمال الشوصية بعد علم واجبات الدين بصحتهم فوزها تزيق
 مجرب ، عندهم راسي الأمر كله ، عندهم النصدق والصفاء ، والنوق
 والوفاء ، والتجرد من الدنيا ، والتجرد عن الآخرة ، والتجود إلى المولى ،
 وهذه الخصال لا تحصيل بالقراءة والدرس والمجالس لا تحصيل إلا بصحبة
 الشيخ العارف الذي يجمع بين الحال والمقال ، يدل بقوله ، ويبيض
 بحاله ﴿ أولئك الذين هداهم الله فيهداهم اقتده ﴾ .

وقال رضي الله عنه في عمل آخر من كتابه التذكير : يا أخي لا تجرد بي ،

انقطع وأنت تظن البوصل ، ورأيت أنك عماء وأنت عن طائفة من
الجهل ، فقد فاتك اليوم ، وميتك القديم ، وعمت اليوم ، لا أقول لكم
انقطعوا عن الأسباب ، عن التجارة ، عن الصنعة ، ولكن أقول انقطعوا
عن الغفلة والحرام في كل ذلك ، لا أقول لكم اعملوا ولا تلبسوا الثوب
الحس ، ولكن أقول بياكم والاشتغال بالأهل عن الله ، وبياكم والزهر
بالثوب على الفقراء من خلق الله ، وأقول لانظفروا الزينة فوق ما يلزم
تياهم تكسر قلوب الفقراء ، واتحدوا من بخلكم العجب والغفلة
وأقول نفوا ثيابكم ﴿ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق ﴾ وأقول نفوا قلوبكم وظهروها فذلك أولى من تنقية الثياب ، إن
الله لا ينظر إلى ثيابكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ، ويخشاك أم مثل ذلك قال
لسيد مينا عليه الفضل الصلوات والتسليمات : « حاربوا الشيطان
بعضكم ، بتبعية بعضكم ، بخلق بعضكم ، بحال بعضكم ، يقال
بعضكم ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعندوان ﴾ وقال تعالى : ﴿ الذين يقاتلون في سبيله صمًا كأنهم بياض
مرصوف ﴾ يقاتلون الشيطان والنفس وعدو الله ، يقاتلون الشيطان كيلا
يغتهم عن الله ، يقاتلون النفس كيلا تشغلهم بشهواتها الذنية عن عبادة
الله ، يقاتلون عدو الله لإعلاء كلمة الله ، ونشر علم الدلالة على الله
﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ عظموا شأن العلم
لعظمي يقوم بواجباته لأنه درك حقائق الأشياء مسموعاً ومعقولاً ، أعطوا
الإيمان حقه فهو إقرار باللسان ، واعتقاد بالوجدان ، إثموا حكم الإسلام
فهو متابعة الشريعة ، والإعراض عن الطبيعة ، لتحقيقها بالعرفة فهي أن
تعرفوا الله بالوحدانية ، ظهرها البينة فهي الحطرة في الغيب فلا يطلع عليها

أحد غير الله ، اتقوا الأدب فهو وضع الشيء في موضعه ، أوجزوا الموعظة فهي بإزالة أصحاب الغفلات ، أبلغوا بالنصحة فهي الأطلاق على حفظ طريق الزهد . أصدقوا في المحبة فهي تسهيل مسامحة العيوب ، اكتملوا الأدب في الدعاء فهو رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات ، شيدوا مسر التصوف فهو ترك الاختيار ، اتقوا طريق العبادة فهي ترك الدنيا ، يترك المدعوى ، واحتمل البلوى ، وحب المولى ، مهّدوا سبيل القرب فهو الانقطاع عن كل شيء سوى الله ، تحققوا بالصدق فهو موافقة السر والعلانية ، عظموا قدر نعمته العالمة فهي نفس بلا بلاء ، ورزق بلا عناء ، وعمل بلا رياء . تقوا عند خد الاستقامة فهي أن لا يختار على الله شيء ، غمروا الخلال فهو الذي لا يضمه آكله في الدنيا ولا يأخذ لأجله في الآخرة . سدوا مناج الطاعة فهي طلب رضا الله في الأقوال والأفعال والأحوال ، حذروا مصير النصار فهو إيلاف القلب عند حكمه الذي ، طهروا العزلة والخلة فهي التباعد عن أبناء الدنيا بترك الطمع وهجر الاختلاط بالناس فلما وإن كان المود بينهم بشخصه ، ألا إن الولي من على وجهه عن النفس والشیطان والدنيا والآخرى ، وولى وجهه وقلبه إلى المولى ، وأعرض عن الآخرة والأولى ، ولم يطلب إلا الله تعالى ، وإن القانع من رضي بالقسمة ، واكتفى بالبلغة . انتهى .

أقول : هذه الخصال الحميدة ، والأخلاق السعيدة ، هي حال الصوفية ونقائهم ، ومدعبيهم ونظامهم ، أرشدكم الله إليها ، وطبعهم عليها . هم العلماء الربانيون ، والعابدين المخلصون . والمعارفون الخائفون ، طرحوا الأثيار ، واشتغلوا بالله الواحد القهار ، شعارهم

الذكر ، وعضائهم موافقة الأمر ، وذرعهم النصر ، ورأس ما همم الفكر ،
وعينهم الشكر .

هم المحتضرون الخالمون برهم وما نظروا الدنيا ولا طلبوا الآخرة
نعمائت بهم في مدح الحق همه نتيجة بين التضايها هي التكري

• • •

أخذوا بالرسول الله ﷺ القدم على القدم ، وانطعت أرواحهم على
أفنا بمحبته فأنجح هم ذلك اليقاء المحض بعد العدم .

ملكوا سبيل محمد خير النور وشكروا بالأنباء لأمره
فحققوا بطريقه وتنوؤوا بهذا فاعتزقوا التذي من بحر

• • •

اللهم بحرهم عندك ، وبقربهم منك ، وبعاء وجوههم المباركة
لديك ، وحفظ لنا إيماننا ، وأصلح أحوالنا ، وأزرع حبة التوفيق والهداية
في قلوبنا ، وفرح بطنك وكرمك جميع كروينا ، وشر بعائناك تعموزنا ،
وأشرح صدورك صدورنا ، واسد لنا في الدنيا والآخرة ، وأصلح عواقبنا
بموضوعات كرمك المراحرة ، وأصلحنا بشفعة ذيل نيك سيدنا وميد
المخلوقين . محمد رسولك الصادق الأمين ، واحشروا تحت لوائه وبالدنيا
والمسلمين ، واغفر لنا وارحمنا بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين . واختم
لنا بخير ، إنك على كل شيء قدير وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب
العالمين .

تم الكتاب بلطف الله الملك الوهاب في ٢٧ شوال من شهر حنة

١٣٠٤ .

﴿ ويناسب هذا المقام ذكر قصيدة لي ﴾ مدحت بها ساداتنا الأقطاب
الأربعة أعني سيدنا ومولانا صاحب اليد والبرهان المؤيد حضرة السيد
محيي الدين أحمد الرفاعي الحسيني ، وسيدنا الغوث الجليل حضرة
السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني ، وسيدنا الغوث الشهير حضرة
السيد إبراهيم المدوني الحسني ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم

﴿ وهي ﴾ :

توه جنانك عن مقام الفاضل	وأمسك طريق القوم غير مكابر
واحفظ مقادير الشيوخ فإنهم	فازوا بمعرفة الكرم الخافر
سلكوا طريق الهاشمي محمد	وتشتموا قلماً بذيل الظاهر
وتسلقوا بعد الصحابة ذروة الـ	حلوا وعلوها يعزم ياهر
وتستقوا حتى لجهد الأربع الـ	أقطاب قادات الطريق الطاهر
﴿ أعني الرفاعي الذي آثره	ظهرت لباد في الأنام وحاشر ﴾
علم الشيوخ هزير غايات الهدى	غوث الوجوه بكل خطب قاهر
سلطان ككبيرة الأكابر تاجهم	فحل الرجال بيرة ومآثر
خضعت لهيئته الأسود وردة الـ	سد السيف مقلوب التصلال البائر
والشار تحمد والسجوم كأنها الـ	جماء الزلال لوارد أو صادر
يوسمها بلشم يحين بحر الأنيا	رتباً علت هام الهلال الزاهر
وأنى بأخلاق تورثها عن الـ	سمختار والسلف الشريف القاهر

وروى عن الطاهر البشول نياية
أخذ التواضع والخضوع طريقة
هو أول الأقطاب منزلة إذا
﴿واذكر أخاه ألباز سلطان الحمى
شيخ تطلينس ظاهراً يفساخر
واقى لها بعد السلوك بحالة
وبها التجلى مثل العروس بحلة
سارت مأثره فسير الشمس في ال
هو غوثها المندوب يوم مئمة
كنم من عنايات له ومكارم
شهدت له كل الرجال بأنه
يتم عن الكسار والحسن ابته
أحواله في الأولياء شهيرة
﴿واذكر أخاه السيد البدوي من
غوث البرية أحمد المولى أبو ال
هو ملجأ العاني الأسير ومزيل ال
ما أم مشهده الكريم عويجز
أفض السلوك على السطوح بغيبة
شأن وأحوال لصلواته سرت
موروثه عن جده المولى الحسين
رفعت له بين الأكابر راية
لله من سلطان برهان علت

وعن الحسين وشيله والباقر
قامت حقيقتها بركن عامر
حدث مشارلهم بغير تفاخر
عين الرجال الغوث عبد القادر
دلت على حال الغني الشاكر
قد حملت عيث الفقير الضائر
حسنية قد رصعت بجواهر
أقسطار ظاهرة لعين الناظر
ولكر مضى الكرب أكرم جابر
وعوارف وأشائر وبشائر
غوث الضعيف على الزمان الجائر
وهنت له من كابر عن كابر
وجيبيله أمواج بحر زاخر
نروى غرائب سره يتواتر
يقتان ذو الشرف العظيم الظاهر
سلاجي الكسير وركن ظهر الحائر
إلا وقابله بعزم ناصر
تركته للأخرى بحال الحاضر
في الخافقين على جناح الطائر
موروثه عن جده المولى الحسين
تسمو على فلك الأثير الدائر
أحكام دونك بغير عاكر

تبعته قادات الشيوخ تمسكاً
 ﴿واذكر أخاه السيد الغوث الدمر
 ذو الفتق والرتق الذي ساد الأولى
 دانت له أهل الكمال وأصبحت
 وشوكة التصريف ضربة عزمه
 هو قطبها المخطوب للخطب الذي
 مولى من انسابات أهل البيت
 قطب تسلسل في البرية مجده
 تجلي به الكرب الثقيلة والرضا
 مولاي إبراهيم غوث زمانه
 هو رابع الانطاب من أبوابهم
 وهم لدى أهل الحقيقة واحد
 صلى عليه الله ما لمع الضحى

بحسابه والقوم أهل بضائر
 في الحضي الحصى للمائر ﴿
 وعلا يصت في البرية مائر
 تنني عليه صدورها بمحاصر
 كم مرة قطعت حبال الفاجر
 يلوي الرقاب فراغ يأس غادر
 أعيان الوجود يبطلن وبظاهر
 من طاهر عن طاهر عن طاهر
 برحابه سهم الفقير الزائر
 بحيوحة الاحسان ويل الماطر
 ملجأ العفاة بكل هول صادر
 والكل من بيت النبي العاصر
 وبدت كواكب آله للباصر

❦ ❦ ❦

﴿ وقد أُنشِدت ببغداد ﴾ في المقام المبارك القادري أيضاً ﴿ هذه القصيدة ﴾ الفريدة والذرة النضيدة ﴿ وهي ﴾ :

للغوث عبد القادر الجيلاني طرنا بأجحة من الأشجان
والسرى ترى عتباته جنتاً لنيل الأمن والأمان والإحسان
فهو ابن بنت محمد خير الورى وحفيد حيدرة العليّ الشان
الباز الأشهب عقد سلسلة ضياء ضئضي سيرة أصلها الشيطان
ومليل آل عن مراتب قلدهم ومسوها يتقاهم القمران
غوث شمس سماء طلعه انجبت في الشرق ثم سرت إلى الأكوان
وإمام إرشاد بكعبة هديه طاقت شيوخ العجم والعربان
وله كرامات عجائب مرها تبدر لفساية أخير السدوران
ولكم له من نعمة وعناية حلّت عقال الخائف اللهبان
سلطان ككبجة أترجال وصاحب المقدم الرفيع وفارس الميدان
والسيد السند الجليل المرتضى لدفاع عطف نوابي الحداث
مولاي محيي الدين باز الله قلبك الوقت وارث جده العبداني
وعليه دار رضى الطريقة في الورى ورعى العلا والفضل والعرفان
علم الحجب في الشرق عنقا مغرباً^(١) ببحر الحقائق وأصبح البرهان
غياث من ناداه يوم كريمة ومطيت ناديه بكل زمان
شيخ المشيخ العارفين بربهم وإمام أهل الوجد والإذعان
وأجل أرباب الخشوع وعين أصحاب الخشوع سيد الأعيان

(١). قوله عنقا مغرب بمعنى أنه نادر الوجود .

وأمر جيش الصالحين وصاحب العزم العتيق الهيكل الصمداني
ورئيس ديوان الرجال بحضرة الـ أسرار بل قنديلها النوراني
والجبهة الفرد الغيور الضيفم الشهم انهمام العارف الرباني
قطب ثمره مظهره وعناية في الصالحين فما له من ثاني
عظمت مراتبه بأصل طاهر وبهيت عز شامخ الأركان
ومن العبا شملته نفحة وصيلة نبوية حسنية العسوان
وعليه من عليا علي الخريطين سرّ السيادة بامر التمعان
هو ملجئي في الناثبات وموثلي وحسبي من رُمني إذا عاداني
ووسيلتي للمصطفى والآله وذريعتي للواحد الديان
وبه أنود وأستظل بظله أبداً ليحصل في المخاف أمانتي
حسبي هذا المازني بنجح جناحه تسمو يدي ويثك عقده رهاني
لا زال رجب ضريحه مثوى القبو ل ومهبط الزحمات والرضوان
ما طاب من ذكره قلب متيم ذي غربة شاء عن الأوطان
أوما بحسن الظن مدت راحته للغيوث عبيد القادر الجيلاني



(وكنت) مرة على ركن من أركان مقامه الكريم المسهم بأنوار
التكريم :

ربطت بحبل عتقا الشرق جبلي ومنه لجأت بالحضن الجليل
هو الكشاف للبلوى سريعاً هو السجلى فداءك وأرجو جيلي



(لطيفة) رأيت ببغداد رجلاً مجذوباً فداخطني من معاملته لي هبة عظيمة وخفت منه فكثيت تشبهي وقرّة عيني وتاج رأسي المولى العارف بالله تعالى السيد محمد مهدي الرواس الصيادي الرفاعي قدس الله سره وروحه ونفعنا به عريضة و (هذا نصها) :

امولاي يا قطب الزمان ومن به بفرّج عن قلب المسكين همه
لقد راغني مجذوب طور بحاله واخشى بأن يعدو إلى العبد سهمه
فلاحظ دقيقاً أنت قوة ظهرك وجاوبه كي يحصى من الخط قهقهه
(فأجاب) رضي الله عنه بما نصه :

أخشى بروز الحال من طور طارق محب يعمى حالنا ضياء فهمه
وهل تصرع الأحوال من أنا شيخه ويرعجه من طارق الدهر همه
ويرهب من شيخ العواجز أحمد أبوه وعبد القاذر القحل عمه
لعمرك حاشنا أن يمسك مسائل يسهم ولو أدلاه كالسرق غزوه
يصول وقد يرميك بالسهم إنما يرد عليه من يد الخيب سهمه



﴿ وقلت في واقعة ﴾

أذكر ساداتنا الأقطاب الأربعة وأعرض لجلالة

الأولياء جميعاً رضي الله عنهم ونفعنا بهم :

صدر القوم (سيدنا الرفاعي)	هزيم الحاضرة الغوث الكبير
(وعبد القادر) الجلي شيخ	الشيخ أعارف الأسد الشهير
وسامي الهمة (البدوي) ذخري	أبو القتيان ضيغتها الغيور
وججاج الحمى القلب (الدسوقي)	يعبد الغاية القسوم الخطير
ممن في القوم أربعة بدور	بهم يدجا الملمة نستجير
ضدور الأولياء يلا نزاع	وأهل الله كلهم صلور

﴿ قلت ﴾

رفعت يدي والقلب راح متاجياً
 لجأت إليك أرحم صميم ضراعتي
 تفضل علي كسري بحبر ودأبي
 وعذبي يدي ياكاشف الضر إنني
 دعوتك والجللى أحاطت بزلتي
 وأثقلني كربي وضاعقت متاهجي
 قطعت حبال السمع عن كل حادث
 تساهمني الأسقام حتى كأنني
 بليت بأنواع الهموم لهمة
 وأصبحت كالغيب المخاط بموج
 وبالحوت في قعر تغلغل جره
 أعاسم أسرار العباد تولني
 تنكرت الأيام حتى كأنها
 وصبار دئي الطبع والعرق عاليا
 ونحرير علم الدين والرأي جاهلاً
 ونات أعالي القوم في وحدة العنا
 ويسن بفيه الحي أصبح ضاحكاً
 وكم يشهد الشهم الغيور بواعثاً

أغث بأعظيم الطول وأقبل دعائيا
 وحاشاك ما خبيت يارب لاجيا
 ينضر فقد أعنى الأطباء دائيا
 أخذت منك لي فخرأ وليأ وواقيا
 وثبت أمامي خيلها ووراثيا
 وإنسك يارباه تعلم حاليا
 وجشك موثق الحوادث شاكيا
 أشابه مرطاً مه الدهر باليا
 علت بي فحرق بانتصار بلاثيا
 يرى خلاصاً حيناً وآخر عاليا
 ولم يلف إلا أنك يارب راعيا
 رضيتك ياربي وليأ مواليا
 غدت بانقلابات الشؤون لاليا
 وعزم كريم الذات والبيت واعيا
 وجاهل معنى العلم بالزعم قاضيا
 وقاoul أنشاء الأداني الأعاليا
 وطرف شريف الطور لهم باكيا
 تشير به أسقامه ودواعيا

كائن ينسب الأيام بكم إذا دعوا
 عماء وأهل الحق بين ظهورهم
 يعادون للحق الصديق وكم وكم
 إلهي تداركني بطفلك إنتي
 وما أنا إلا من ينسب الدهر واحد
 نعم إنني مايت بالسرداعياً
 جعلت لقلبي من تجليك حضرة
 ونور حياتي بالخشوع والرضا
 ولا تقصيني عن إثر أشرف مرسل
 عليه صلاة الله ما لاح يارق
 وآل وصحب والرفاعي من عدا

لحق صراح ما أجابوا المناديا
 ولكنهم طيشاً يرون المراثيا
 يرالسون للغي المجلي الأعاديا
 ضعيف وقد حبلت ضعفي المساويا
 أروح وأغمدو عن حقوقك لاهيا
 منواك على وزري وما رحت راجيا
 تنأجيك فاجعلني بذكرك ناجياً
 وأكمل على دين النبي مماتيا
 لأقضي وألغى المصطفى الطهر راضيا
 وعطر مسكي الرياض السوداء
 أراء بأحكام الطريق أماميا



يقول ناسخه وتحققه طبعي مائدة الآل والمستشرف باعنائهم عند نوابهم
لخدمة العال ، أفقر الوري وأحق من توى عبد الحكيم بن سليم عبد
الناسط المقبالي المدعني : قد فرغت من نسخة وتحقيقه عصر يوم
الجمعة ١٠ ربيع الأول من شهر مسنة ١٣٩١ هجرية الموافق
١٥/٥/١٩٧٠ ميلادي أسأل الله الكريم المنان أن ييسر طبعه على أكمل
وضع ، ليناسب حسن طبعه مع حسن أسلوبه ووضعته ، وأن يجعل فيه
الخير العام ، والإصلاح الظاهر الباطن ، في سائر البلاد وعلى مدى الأيام ،
أمين وصلى الله وسلم وبارك على حبيبه سيدنا محمد وعلى آله المحبين
المعظمين ، وأصحابه الكرام القاضين المرضيين والحمد لله رب العالمين

الفهرس

٣	كلمة الافتتاح للمؤلف رضي الله عنه .
٥	المقدمة وضممها البحث على التمكن بالكتاب والسنة وقم البدعة .
٧	(تنبيه) الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين أصول وفروع وفي هذا البحث تعريف البدعة وأقسامها وميزانها مقرر كل ذلك بالسنة الأئمة الحقيقيين والعلماء العاملين الذين يحق لهم أن يقرروا .
٧	كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه في المحدثات .
٨	كلام الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد السلام في البدعة وبيان أقسامها .
١١	في الباب الأول في أصل طريق السادة الصوفية :
١١	(الركن الأول) الوفاء بالمعهود ، وفيه سبعة فرائد .
١٩	(الركن الثاني) الرضا بالمرجود .
٢٤	(الركن الثالث) الصبر على المفقود .
٢٩	(الركن الرابع) الوقوف عند الحدود .
٣٤	كلمة للسيد أحمد الرفاعي بلوغة :
٤٣	كلام للسيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه في تعريف حكم الطريق .

٤٤	كلام للسيد الشيخ حسين برهان الدين الرفاعي الصيادي لنا سُئل أي الطرق أقرب .
٤٥	كلام للشيخ شهاب الدين السهروردي في تعريف أقسام الصوفية .
٤٨	كلام لسيدنا أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه .
٦٤	﴿ الباب الثاني ﴾ في ذكر خرقه الصوفية والخرقة الرفاعية ونبذة من مزايا الإمام الرفاعي الكبير رضي الله عنه .
٦٥	كلام للسيد حسين برهان الدين الرفاعي الصيادي في معنى ليس الخرقه .
٦٦	كلام للسهروردي في معنى ليس الخرقه .
٧١	ترجمة أول أشياخ الطريق بعد الإمام علي الحسن البصري رضي الله عنهما .
٧٥	ترجمة الإمام الجليل البغدادي رضي الله عنه وإمامته في الطريق بإقرار أهل العلم
٧٨	سند الطريقة العلوية الرفاعية وفروعها .
٨٠	بعض خلفاء الإمام الرفاعي المشاهير وبعض خلفائهم رضي الله عنهم أجمعين .
٨٤	من فروع الطريقة العلوية الرفاعية السلسلة الواسطية وأولها الإمام عبد المسيح .
٨٥	من فروع الطريقة العلوية الرفاعية مانفرع عن السلسلة الواسطية .
٨٧	من فروع الطريقة العلوية الرفاعية الطريقة البدوية ومانفرع عنها وترجمة شيخها السيد أحمد البدوي رضي الله عنه .

٩٣	من فروع الطريقة العلية الرفاعية مجموعة من الطرق ذكرت جملة كتعداد .
٩٤	من فروع الطريقة العلية الرفاعية سلسلة الصيادية يقدمها السيد أحمد الصياد . وترجمته رضي الله عنه عظيمة حافلة يتأكد الأطلاع عليها .
١٠٣	من فروع الطريقة العلية الرفاعية مائفرع عن السلسلة الصيادية .
١٠٤	من فروع الطريقة العلية الرفاعية سلسلة السادة الأعزبية يقدمها السيد إبراهيم الأعزب .
١١٠	من فروع الطريقة العلية الرفاعية مائفرع من الأعزبية السادة الكبالية .
١١١	من فروع الطريقة العلية الرفاعية سلسلة السادة الحزبية وفيها عمرة للمريد .
١١٣	من فروع الطريقة العلية الرفاعية سلسلة السادة الشمسية .
١١٧	من فروع الطريقة العلية الرفاعية انفرع الطاهر والعلم الظاهر السيد رجب .
١١٨	من فروع الطريقة العلية الرفاعية المنبعا الرجبية المحمدية السيد إبراهيم .
١٢٤	من فروع الطريقة العلية الرفاعية سلسلة السادة العجلانية .
١٢٥	من فروع الطريقة العلية الرفاعية سلسلة السادة الجبرية .
١٢٧	من فروع الطريقة العلية الرفاعية العزيزية وهي شعبة من الواسطية .
١٢٩	الطريقة القادرية .

١٣٣	فروع الطريقة القادرية .
١٣٤	الطريقة العلية السهروردية .
١٣٥	فروع الطريقة العلية السهروردية .
١٣٦	الطريقة العلية الدسوقية .
١٣٧	ترجمة السيد إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه .
١٤١	الطرق التي تنتهي أسانيدھا إلى الجنيد البغدادي رضي الله عنه .
١٤٢	الطرق التي لا يتصل بالإمام الجنيد البغدادي رضي الله عنه .
١٤٣	سند اتصال المؤلف رضي الله عنه بطريقته العلية الرفاعية .
١٤٧	ترجمة الغوث الرفاعي الكبير رضي الله عنه .
١٤٧	كلام الإمام الراقص في الغوث الرفاعي رضي الله عنهما .
١٤٨	كلام الشيخ منصور البيطاطحي في ابن أخته الغوث الرفاعي الكبير رضي الله عنهما .
١٤٩	كلام الإمام أبو شجاع الشافعي في الإمام الرفاعي الكبير رضي الله عنهما .
١٤٩	كلام الإمامين الجليلين أبو النجيب السهروردي ومحمد بن عبد البصري في الإمام الرفاعي رضي الله عنهم .
١٥٠	كلام سند المحدثين عبد السمیع انباشمي الواسطي في الإمام الرفاعي الكبير رضي الله عنهما .
١٥١	كلام الإمام أبو الفرج عمر الفاروقي في الإمام الرفاعي رضي الله عنهما .
١٥٣	كلام يرويه الإمام أحمد الفاروقي عن الشيخ يعقوب في الإمام الرفاعي الكبير رضي الله عنهم .

- ١٥٤ بمن بَشَّرَ بالغوث الرفاعي قبل ولادته بسنين .
 كنيحة من الأولياء ينشرون برئيسهم فيكبرونه .
- ١٥٦ أخلاقه ومزاياه المحمدية التي كان عليها ودعى الناس إليها .
- ١٥٩ كلامه وحكمه لروح كل ابن ذوق غذاء .
- ١٦١ بعض مؤلفاته ومجالس وعظه العظيمة وثناء العلماء والعارفين عليها .
- ١٦٣ قصيدة للسيد سراج الدين امتدح بها السيد المترجم رضي الله عنهما .
- ١٦٥ ﴿ الباب الثالث ﴾ في سبب إطلاق اسم الصوفية ، على هذه العصاة المرضية وأول الكلام به للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه .
- ١٦٧ كلام السهروردي في أسباب تسمية الصوفية بهذا الاسم .
- ١٧٤ كلام للمؤلف والسيد الرفاعي الكبير في وصف السادة الصوفية رضي الله عنهم .
- ١٧٧ كلام علي بن محمد الكازروني الرفاعي صاحب (آداب الأقطاب) يصف فيه الصوفية .
- ١٨٠ كلام الرفاعي الكبير يصف الصوفي الحقيقي رضي الله عن الجميع .
- ١٨٣ ﴿ الخاتمة ﴾ نسال الله حُسْنَهَا وهي عظيمة جداً جداً فيها كلام للسيد الرفاعي وللسهروردي تحير له الأفكار والأذهان .

قلت : في محبة الآل الكرام ، السادة الأطهار الأعلام
رضي الله عنهم

مودة أهل البيت فرض كما يدرى	وَجِبَهُمْ حَبْلُ السَّلَامَةِ فِي الْآخِرَى
فجدهم الهادي ووالدهم علي	وَأَتَتْهُمْ خَيْرَ النَّسَاءِ الْبُشْعَةَ الزَّهْرَى
وهم روح هذا الكون في كل حضرة	مَأْتَرَهُمْ تُعَلِّى وَأَيْتَهُمْ تُقَرِّى
وقد نزل القرآن حول بيوتهم	وَفِي (قُلْ تَعَالَوْا) زَادَهُمْ رَيْبُهُمْ قُدْرَى
وفي آية القريب وفي (هل أتى) أتى	لِمَجْدَعِهِمْ شَأْنٌ مَعَا فِي الْوَرَى ذِكْرَى
هم الناس أهل البيت والخيف والصفاء	وَرَمَزَ الْعِزَابَ وَالْمَذْخَرِ وَالْمَذْكُورَى
سلالة مصباح النبين سيد الـ	رُجُودَ خِتَامِ الْمُرْسَلِينَ لِي الْإِسْرَى
عليهم سلام الله إنسي غيبهم	يَحَقُّ وَلَوْ جُودَ مِنْهُمْ الْعَطْفُ وَالْبَشْرَى
فهم ملجأ المسكين والحصن في البلاء	وَهُمْ كَيْةُ النَّصْرِ وَالْأَمْرِ وَالْإِجْرَى
وهم روضة البحر الذي فيض جوده	سَفَى الْمُلْكَ وَالْأَمْلَاقَ وَالْأَنْبِيَا طُرَى
عليه صلاة الله والآل ما انجلى	مَجِيئًا الشَّامِ بَرًّا بِهِمْ فَاغْصَا جَهْرَى

وقلت أمدح الإمام شيخنا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الرواس رضي
الله عنه ونفعنا به :

للسيد المهدي * نيابة النبي * ودولة المعالي * عن جده علي
شمس الكمال الزاهي * سلطان أهل الله * نرى جمال الله * في ذلك الولي
ذو المشهد المقبول * والصارم المسلول * أنموذج الرسول * في المحضر الكوني
قد جاء للاتباع * بأشرف المساعي * عن جده الرفاعي * قام بذاك الزيّ
أشاع في البلاد * مآثر الصيادي * وركنه في الوادي * بالجانب الغربي
ذو الراحة السيلة * والهمة الفعالة * وروحه الجواله * في العالم العلوي
آدابه تخفيه * وربّه يديه * بمهجتي أفديه * من ظاهر خفي
فوجهه والفجر * وعزمه والنصر * لا بد هذا البدر * يُجلي بكل حي
فيوضه كالبحر * بكل أن تجري * قامت به لو تدري * روح العليّ الحي
ستملاً البرية * أنواره القدسية * فاريط حبال النية * بركنه القوي
قامت له الإشارة * وصحّت البشارة * وتمت العبارة * في المحفل الغيبي
هذا منار السر * وغوث هذا العصر * جلا نظام الأمر * في نشره والطّي
طابت به القلوب * وزالت الكروب * وانجلت الغيوب * عن سرّه الخفي
به مناط الأمر * في كل أمر يجري * وحجتي في حشري * محبة المهدي
أعلى منار الحق * في غربنا والشرق * وناب بين الخلق * عن جده النبي
تهدي له صلاتي * بمسك روح الذات * لتنتفي صفاتي * بالحال الأحمدي

* * *